شرح مختصر لكتاب

أخلاق حملة القرآن للآجرّي

أ. أناهيد السميري

ألقيت في ربيع الأول عام ١٤٣٦ هـ في مكة المكرمة

بسم الله الرحمن الرحيم

أخواتنا الفاضلات، إليكن سلسلة تفاريغ من دروس أستاذتنا الفاضلة أناهيد السميري حفظها الله، وفّق الله بعض الأخوات لتفريغها، ونسأل الله أن ينفع بها، وهي تنزل في مدونة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ)

https://anaheedblogger.blogspot.com/

تنبيهات هامة:

-منهجنا الكتاب والسّنة على فهم السّلف الصالح.

-هذه التّفاريغ من اجتهاد الطّالبات ولم تطّلع عليها الأستاذة حفظها الله.

الكمال لله -عزّ وجلّ- فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم فيه من خطأ فمن أنفسنا والشّيطا ونستغفر الله.

والله الموفّق لما يحبّ ويرضى.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله ربّ العالمين والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمد الله –عزّ وجلّ– حمدًا كثيرًا كثيرًا طيبًا مباركًا أن جمعنا في هذا المكان المبارك، نسأله –سبحانه وتعالى– أن يجعل مجلسنا مجلسًا مباركًا تحيط به الملائكة ويذكره الله فيمن عنده.

إن شاء الله سنتدارس سويًا كتاب: (**أَخْلاقُ حَمَلَةِ الْقُرْآنِ للآجرّي**) وهو من أئمة أهل السّنّة والجماعة ونجد في كتاباته أنّه دائمًا اهتمام بالأخلاق الّتي هي ناتج الاعتقاد السويّ، فكأنه يقول: من اعتقد اعتقادًا سويًّا يجب أن يتخلّق بأخلاق حسنة، وقبل أن يتكلّم عن أخلاق حملة القرآن الّتي هي مقصده قدّم بمقدّمة ثمّ بثلاثة أبواب:

- أولًا: باب: فضل حملة القرآن.
- ثانيًا: باب: فضل من تعلّم القرآن وعلّمه.
- ثالثًا: باب: فضل الاجتماع لدرس القرآن في المسجد.

لكننا سنتدارس مختصر أخلاق حملة القرآن، وهذا الكتاب له أهمّية عظيمة بالنّسبة لطلبة العلم وحفّاظ كتاب الله –عزّ وجلّ– لأنّ الواقع يشهد أنّ هناك حفظ للحروف على اللّسان، ثمّ عندما نتأمّل واقعنا ونبحث في قلوبنا عن آثار كلام الله العظيم –وقلوبنا هي المكان الّذي ينظر إليه الله–ونفتّش جيّدًا وبصدق نجد الحقيقة المرّة وهي أنّ كلام الله على ألسنتنا يجري لكن بينه وبين قلوبنا سدّ، حتّى أنّ كثيرًا جدًا من كلمات القرآن إذا سمعتها لا تثير مشاعرك بحيث أنّك تصل في النّهاية أن تملك كلمات لكنّها ميّتة! **وحياة القلب بحياة الكلام الّذي يحمله وموت القلب بموت الكلام الّذي يحمله**، ونقوم بعمل تجربة بسيطة لتتصوروا المسألة:

سنقارن بين الجماعة الّذين أوّل مرّة يحضرون حلقة في الحرم وبين الجماعة الّذين أتوا سابقًا ونجرّب، نقول لهم: (الحرم–الصّفوة–الدّرس).

- سنجد عند مَن أتوا سابقًا هذه الثّلاثة كلمات: (الحرم–الصّفوة–الدّرس) لها مشاعر أوّل ما يسمعها السّامع تثيره، فالكلمة عنده حيّة، يفهم معناها ويملك تجاهها مشاعر.

- في مقابل أن مَن هذه أوّل مرّة له، يأتي في شوق لكن ليس كمَن عاش سابقًا، فعندما يقال له: "سنجتمع في الدّرس" يكون تفكيره في الحرم، ثمّ عندما يعيش الدّرس تصبح الكلمة لها حياة.

فتصوّر هذا مع كلام الله كلّه، عندما تسمع في كتاب الله –عزّ وجلّ– عن الملائكة حملة العرش –مثلًا– تذكّروا أوائل غافر فيها الخبر عن حملة العرش: {الّذين يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا ربّنا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ}[1] الآن ماذا تحمل في قلبك تجاه حملة العرش؟! إذا لم تكن هذه الآيات تامّة الوضوح عندك فلن تعرف أنّك هنا في الأرض لك علاقة بحملة العرش خصوصًا لو ثُبت، اسمعوا مرّة أخرى ماذا يقول الله عزّ وجلّ؟ {الّذين يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ} ماذا يفعلون؟ {يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ} ثمّ ماذا يفعلون بالنّسبة لنا؟ يستغفرون للّذين تابوا، ثمّ تأمّل وصف النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– لحملة العرش العظام فقد قال في حقّهم: (**أُذِن لي أن أُحدِّث عن ملكٍ من ملائكةِ اللهِ، من حملةِ العرشِ: إنَّ ما بينَ شحمةِ أُذنهِ إلى عاتقِه، مسيرةُ سبعمائةِ عامٍ**)[2]. (أُذن) المقصود: للنّبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– هؤلاء حملة العرش العظام ما هي علاقتك بهم؟ يستغفرون للّذين آمنوا، يعني أنت في الأرض تتوب وهم يستغفرون لك، لو كان القلب مليئًا بالمشاعر تجاه هذا الأمر سيكون أمره مختلفًا عن مجرّد كونك تقرأ الآية وتحفظها وتسمعها وتخرج الحروف من مخرجها.

ونتيجة أنّ القرآن أصبح فقط مجرّد كلامًا يقوله الحافظ سبّب بعد ذلك أمورًا كثيرة، أن يدخل حافظ القرآن حلقة الحفظ ويخرج وقد ظهرت أمراض قلبه في الحلقة وما شُفي قلبه بالقرآن، يخرج وقد ظهرت أمراض قلبه من العلوّ والكبر وإرادة سبق النّاس للدّنيا لكن بصورة القرآن فقط، تجد النّاس في العادة يتنافسون حول الدّنيا في دنياهم، وهذا الّذي يقرأ القرآن وهو لا يحمله في قلبه يتنافس ويبقى القرآن بالنّسبة له مجالًا للتّنافس ويُظهر أمراض قلبه بدلًا من أن يشفي أمراض قلبه! وهذا الّذي نراه بأعيننا حولنا، أنّنا ننتظر أن يخرج

(1) سورة غافر: 7.

(2) أخرجه أبو داود (4727)، وصحّحه الألبانيّ.

الّذي يدرس القرآن أكثر صلاحًا، لكنّه يخرج وإذا لم يكن في نفس المستوى يكون أسوأ! لأنه أتى ومعه حجّة أيضًا، **فيكون جمع على نفسه أمرين:**

- أنّه باقٍ على أمراض قلبه.
- أنّ معه شواهدًا يستشهد بها على ما في أفعاله من خلل!

هذا الواقع الآن الّذي نعيشه يحتاج إلى علاج، العلاج لا بدّ أن لا يتعدّى كلام الله وكلام رسوله، وقد كتب الآجري في رسالته هذه كلام يحتاج أن نتأمّله كثيرًا ونضعه أمام أعيننا قبل أن نفتح أي حلقة نحفظ فيها، سواء أنا كنت معلّم أو متعلّم فالأمر سواء، لا بدّ أن أقرأ هذا الكلام وأفهمه من أجل أن أصل إلى أن أنفعل بالقرآن كما ينبغي.

من اسم الكتاب أكيد الأمر واضح؛ هو مختصر لكن اسمه (أَخْلاقُ حَمَلَةِ الْقُرْآنِ) أي: سيخاطب حملة القرآن سواء كانوا معلّمين أو متعلّمين، وسيكلّمهم عن أخلاقهم الّتي يجب أن تكون.

الطريقة كالتالي؛ سنقرأ جزءً من المتن أوّلًا ثمّ نعلّق عليه سريعًا.

الْمُقَدِّمَةُ

(أَحَقُّ مَا أَسْتَفْتِحُ بِهِ الْكَلامَ، الْحَمْدُ لِمَوْلانَا الْكَرِيمِ، وَأَفْضَلُ الْحَمْدِ مَا حَمِدَ بِهِ الْكَرِيمُ نَفْسَهُ، فَنَحْنُ نَحْمَدُهُ بِهِ:

{الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا (1) قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (2) مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا}[1].

و {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ (1) يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّماء وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ}[2].

أَحْمَدُهُ عَلَى قَدِيمِ إِحْسَانِهِ، وَتَوَاتُرِ نِعَمِهِ، حَمْدَ مَنْ يَعْلَمُ أَنَّ مَوْلاهُ الْكَرِيمَ عَلَّمَهُ مَا لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ، وَكَانَ فَضْلُهُ عَلَيْهِ عَظِيمًا. وَأَسْأَلُهُ الْمَزِيدَ مِنْ فَضْلِهِ، وَالشُّكْرَ عَلَى مَا تَفَضَّلَ بِهِ مِنْ نِعَمِهِ، إِنَّهُ {ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ}[3].

وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ، وَنَبِيِّهِ، وَأَمِينِهِ عَلَى وَحْيِهِ وَعِبَادِهِ، صَلاةً تَكُونُ لَهُ رِضًا، وَلَنَا بِهَا مَغْفِرَةً، وَعَلَى آلِهِ أَجْمَعِينَ، وَسَلَّمَ كَثِيرًا طَيِّبًا).

بسم الله:

مقدّمته هذه للرّسالة يظهر فيها براعة الاستهلال، **وبراعة الاستهلال** معناها: أنّ مَن يقرأ المقدّمة يستطيع أن يتصوّر عن أيّ شيء سيتكلّم، فلمّا بدأ واستفتح قال: (أَحَقُّ مَا أَسْتَفْتِحُ بِهِ الْكَلامَ، الْحَمْدُ لِمَوْلانَا الْكَرِيمِ).

---

(1) سورة الكهف: ١ – ٣.

(2) سورة سبأ: ١ – ٢.

(3) سورة آل عمران: ١٧٤.

و (أحق) أي: حقّ علينا خصوصًا قبل أن نتكلَّم عن النّعمة العظيمة الّتي سنتكلّم عنها أن نبدأ بحمد الله –عزّ وجلّ– ثمّ يقرّر قاعدة مهمّة جدًا قاعدة توافق السّنّة وتخالف البدعة، يقول فيها:

(وَأَفْضَلُ الْحَمْدِ مَا حَمِدَ بِهِ الْكَرِيْمُ نَفْسَهُ): وعلى هذا يكون منهج أهل السنَّة: إذا أردت ذكر الله فالخير فيما علّمنا رسول الله، إذا أردت حمد الله فالخير أن تحمد كما حمد الله نفسه، **وأتى بآيتين:**

- أتى بآية الكهف.
- وأتى بآية سبأ.

انظروا لآية الكهف وآية سبأ ما علاقتهما بأخلاق حملة القرآن؟

- نبدأ بالكهف؛ قال آية الكهف من أجل أن تعرف أنّ الله حمد نفسه على إنزال الكتاب، فهو يتكلّم عن أخلاق حملة القرآن فكأنّه يقول: الله يستحقّ الحمد خاصّة أنّه أنزل الكتاب كما في الكهف: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الّذي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ}.
- وفي سبأ يُحمد على أنّه يملك ما في السّماوات وما في الأرض وله الحمد في الآخرة: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الّذي لَهُ}.

نحن كلّنا نحمد الله في الدّنيا، المسلمون يحمدون الله –عزّ وجلّ– في الدّنيا، والكفّار لا يحمدون ربّهم في الدّنيا، فالله يقول: {وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآَخِرَةِ} من سيحمده في الآخرة؟! هل المؤمنون فقط؟! لا، كلّ الخلق يشتركون في حمده لِما يظهر من كمال صفاته ومطابقة الخبر يوم القيامة لِما سمعوا في الدّنيا، يشترك في ذلك المؤمن والكافر، فالّذي آمن له حمد خاص والكافر حمده سيدور حول أنّه وجد كلّ ما أخبر الله به عن نفسه وعن الغيب موجود، أين أُخبر به؟! في القرآن ولذلك: {وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآَخِرَةِ} تدلّ على أيّ شيء؟ أنّه في الآخرة سيظهر للنّاس كلّهم صدق ما أخبر الله به في القرآن عن الغيب؛ فلذلك عندما يقع في قلب أحد منّا أنّ الكفّار، المخالفين، المبتدعة، إلى آخره، يغيظونه في الدّنيا بأنّ الحقّ لم يظهر. ماذا يقول؟! لكنّه سيظهر، ونحمد الله وقتما يظهر وسيعرف كلّ النّاس أنّ الحقّ هو ما أخبر الله –عزّ وجلّ– به في كتابه.

ثمّ أخبر عن أمور يحمد الله –عزّ وجلّ– عليها، قال: (**أَحْمَدُهُ عَلَى قَدِيْمِ إِحْسَانِهِ، وَتَوَاتُرِ نِعَمِهِ**):

(**قديم إحسانه**): أي: هو الأوّل الّذي ليس قبله شيء، ما بنا من نعمة فمن الله.

(**وَتَوَاتُرِ نِعَمِهِ**): أي: ابتدأنا بالنّعم ولازالت النّعم موجودة.

(**حَمْدَ مَنْ يَعْلَمُ أَنَّ مَوْلاهُ الْكَرِيْمَ عَلَّمَهُ مَا لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ**): أبرز صفة خاصة يُحمد الله –عزّ وجلّ– عليها، وأنت يا حامل القرآن من الأمور المهمة جدًا أن تحمد الله عليها: أنّه علّمك.

على ذلك قارئ القرآن وحامله كيف يكون أدبه وكلامه وقتما يصف علمه بالشيء؟! ماذا يقول؟! أوّل خطوة: النّسبة إلى الله، يقول:

(**أَحْمَدُهُ عَلَى قَدِيْمِ إِحْسَانِهِ، وَتَوَاتُرِ نِعَمِهِ، حَمْدَ مَنْ يَعْلَمُ أَنَّ مَوْلاهُ الْكَرِيْمَ عَلَّمَهُ مَا لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ**). فلا يقل: (أنا اجتهدت)، (أنا تعلّمت)، (أنا ذكيّ)!

فمعناه أنا ليس لي شيء، إنّما مولاي هو الّذي علّمني ما لم أكن أعلم.

قال: (**وَكَانَ فَضْلُهُ عَلَيْهِ عَظِيمًا**): انظروا إلى النّاس تجدونهم يفتخرون بشهاداتهم الّتي تتصل بالدّنيا، وقارئ القرآن الّذي يبتدئ بالحمد الحقيقيّ أنّ الله علّمه ما لم يكن يعلم، المفترض أن يشعر أن الله امتنَّ عليه بمِنَّة عظيمة، ما هي المنَّة العظيمة؟ أن خصّه بحفظ القرآن.

(**وَأَسْأَلُهُ الْمَزِيدَ مِنْ فَضْلِهِ**): **أي أنّك الآن عندك ثلاث مشاعر تحرص عليها:**

- أوّلًا: نسبة النّعمة إلى الله.

- ثانيًا: الشّعور بفضل الله العظيم.

- ثالثًا: طلب المزيد.

هذه خطّة عمل، خطّة حياة، ستعيش بهذه الطّريقة طوال حياتك، كلّما تذكّرت نعمة العلم الّتي علّمك الله إيّاها تنسبها إلى الله، وتعبده بالشّعور أنّه تفضّل عليك بفضل عظيم، أن امتنّ عليك بحفظ القرآن فلا تشعر مثلًا أنّ هذا طبيب وهذا مهندس فله الحظ الأوفى! وإذا لم توجد عندك هذه المشاعر فهذا مكمن الخطأ، **ومن هنا لا يستطيع الإنسان أن يتخلّق بأخلاق حملة القرآن لأنّه يفتقد مسألة مهمة وهي الاعتزاز بمنّة الله والشّعور بها**، فمن أوّل الأمر إذا شعرت أنّك أقلّ حظًّا من النّاس حولك الّذين لهم في الدّنيا حظّ؛ إذًا أنت ليس من أهل الطّريق، لا بدّ أن تشعر أنّ فضل الله عليك عظيمًا.

(**وَأَسْأَلُهُ الْمَزِيدَ مِنْ فَضْلِهِ**): أنت تريد المزيد لا تعتقد أنّ المزيد فقط بعملك إنّما بسؤال الله.

(**وَالشُّكْرَ عَلَى مَا تَفَضَّلَ بِهِ مِنْ نِعَمِهِ، إِنَّهُ {ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ}**): تعتقد أنّه ذو فضل عظيم.

انظروا الصّلاة على الرّسول -صلّى الله عليه وسلّم- كيف جائت صيغتها في كلامه؟ قال: (**وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ، وَنَبِيِّهِ، وَأَمِينِهِ عَلَى وَحيِّهِ وَعِبَادِهِ**).

(**عبده**): هذا تقرير لا يحتاج إلى نقاش، لكن كونه قال: (**وَرَسُولِهِ، وَنَبِيِّهِ، وَأَمِينِهِ عَلَى وَحيِّهِ وَعِبَادِهِ**): ماذا تفهمين من هذا؟ أنّه لازال في براعة الاستهلال، يقول: سأكلّمكم عن القرآن بعدما تصلّون على الرسول -صلّى الله عليه وسلّم- الّذي هو أمين على الوحي وعلى العباد.

(**صَلاةً تَكُونُ لَهُ رِضًا، وَلَنَا بِهَا مَغْفِرَةً**): أي: يرضى الله -عزّ وجلّ- ويغفر لنا.

الحمد لله انتهينا من المقدمة.

قال: (أَمَّا بَعْدُ...

فَإِنِّي قَائِلٌ، وَبِاللهِ أَثِقُ لِلتَّوْفِيقِ وَالصَّوَابِ مِنْ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، وَلا قُوْةَ إِلا باللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ:

أَنْزَلَ اللهُ –عزّ وجلّ– الْقُرْآنَ عَلَى نَبِيِّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَأَعْلَمَهُ فَضْلَ مَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ، وَأَعْلَمَ خَلْقَهَ فِي كِتَابِهِ، وَعَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ: أَنَّ الْقُرْآنَ عِصْمَةٌ لِمَنْ اِعْتَصَمَ بِهِ، وَحِرْزٌ مِنْ النّار لِمَنْ اتَّبَعَهُ، وَنُورٌ لِمَنْ اِسْتَنَارَ بِهِ، وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ، وَهُدَىً وَرَحمَةٌ لِلمُؤمِنِينَ.

ثُمَّ أَمَرَ اللهُ خَلْقَهُ أَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ، وَيَعْمَلُوا بِمُحْكَمِهِ: فَيُحِلُّوا حَلالَه، وَيُحَرِّمُوا حَرَامَهُ، وَيُؤْمِنُوا بِمُتَشَابَهِهِ، وَيَعْتَبِرُوا بِأَمْثَالِهِ، وَيَقُولُوا: {آَمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا}[1].

ثُمَّ وَعَدَهُمْ عَلَى تِلاوَتِهِ وَالْعَمَلِ بِهِ: النَّجَاةَ مِنْ النَّارِ، وَالدُّخُولَ إِلَى الْجَنَّةِ.

ثُمَّ نَدَبَ خَلْقَهَ–عَزَّ وَجَلَّ–إِذَا هُمْ تَلَوْا كِتَابَهُ أَنْ يَتَدَبَّرُوهُ، وَيَتَفَكَّرُوا فِيهِ بِقُلُوبِهِمْ، وَإِذَا سَمِعُوهُ مِنْ غَيْرِهِمْ: أَحْسَنُوا اِسْتِمَاعَهُ، ثمّ وَعَدَهُمْ عَلَى ذَلِكَ الثَّوَابَ الْجَزِيلَ، فَلَهُ الْحَمْدُ.

ثُمَّ أَعْلَمَ خَلْقَهَ: أَنَّ مَنْ تَلا الْقُرْآنَ، وَأَرَادَ بِهِ مُتَاجَرَةَ مَوْلاهُ الْكَرِيمَ، فَإِنَّهُ يُرْبِحُهُ الرِّبْحَ الّذي لا بَعْدَهُ رِبْحٌ، وَيُعَرِّفُهُ بَرَكَةَ الْمُتَاجَرَةِ فِي الدّنيا وَالآخِرَةِ.

جَمِيعُ مَا ذَكَرْتُهُ، وَمَا سَأَذْكُرُهُ–إِنْ شَاءَ اللهُ– بَيَانُهُ فِي كِتَابِ اللهِ –عزّ وجلّ– وَفِي سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَمِنْ قَوْلِ صَحَابَتِهِ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ– وَسَائِرِ الْعُلَمَاءِ، وَسَأَذْكُرُ مِنْهُ مَا حَضَرَنِي ذِكْرُهُ –إِنْ شَاءَ اللهُ– واللهُ الْمُوَفِّقُ لِذَلِكَ).

إلى هنا سنبدأ بمطلع الرّسالة، ذكر لك جملة من المسائل الّتي تتّصل بالقرآن ثمّ قال لك: جميع ما ذكرته وما سأذكره دليله من

(1) سورة آل عمران: ٧.

الكتاب والسّنّة، وبعد ذلك سيستعرض.

قال: (**فَإِنِّي قَائِلٌ، وَبِاللهِ أَثِقُ لِلتَّوْفِيقِ وَالصَّوَابِ مِنْ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ**): ثقته بالله –عزّ وجلّ– وقوّته بمن؟

(**وَلا قُوةَ إِلا باللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ**): قوّته بالله، ثقته بالله، وهذا أثر القرآن أن يجعل الإنسان موحدًا، ما عنده إلّا الله، يمشي في الأرض واحد لواحد في السّماء، ما في قلبه أحد غير الله، يُخرج نفسه وقواه ويُخرج غيره والاعتماد عليه؛ ولذلك تجد هذا القول كثير فيمن قرأ القرآن كما ينبغي، القرآن يعلّم العبد أن يكون واحدًا في الأرض لواحد في السّماء، ما يلتفت قلبه لا يمنة ولا يسرة، كيف يعلّمه هذا؟ يعلّمه القرآن هذا الشّيء بعدما يتعلّم الإنسان مَن هو الله، كلّما قرأت القرآن وعرفت مَن هو الله كان الناتج: الثّقة بالله ونزع الثّقة من النّفس ونزع الثّقة من النّاس، ووضعها عند باب الله، وماذا عن القوّة الّتي فيك؟ تعلم أنّه (لا حول ولا قوّة إلّا بالله).

بعدما استفتح بهذه المقدّمة، ماذا قال:

1. (**أَنْزَلَ اللهُ –عزّ وجلّ– الْقُرْآنَ عَلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**): **ماذا نعتقد في القرآن؟** أنّ الله –عزّ وجلّ– أنزله على نبيّه –صلّى الله عليه وسلّم– فنحن اعتقادنا نزول القرآن، والقرآن نفسه نعتقد أنّه كلام الله المنزّل على رسوله –صلّى الله عليه وسلّم– المتعبّد بتلاوته، هذا أوّل اعتقاد لنا.

ثمّ قال: (**وَأَعْلَمَهُ فَضْلَ مَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ**): تذكّروا أوائل المزمّل: {**يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (1) قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا (2) نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا (3) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا (4) إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا**}[1] هذا وصف القرآن.

أنت كيف تفسّرين: {**إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا**}؟ أي: عظيمة معانيه وجليلة أوصافه، ثقيل له العظمة، عظيم له العظمة.

(**وَأَعْلَمَهُ فَضْلَ مَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ**): أنزل عليه شيء عظيم.

(1) سورة المزّمل: 1-5.

(**وَأَعْلَمَ خَلْقَهَ فِي كِتَابِهِ، وَعَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ**): الله أنزل القرآن وأعلَم الرّسول –صلّى الله عليه وسلّم– فضل القرآن.

(**أَنَّ الْقُرْآنَ عِصْمَةٌ لِمَنْ اِعْتَصَمَ بِهِ، وَحِرْزٌ مِنْ النّار لِمَنْ اتَّبَعَهُ، وَنُورٌ لِمَنْ اِسْتَنَارَ بِهِ، وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ، وَهُدَىً وَرَحمَةٌ لِلمُؤمِنِينَ**): بعدما أنزل الكتاب وبيَّن الفضل للنّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– بيَّن الفضل للنّاس، الآن عندما يظهر الفضل للنّاس ماذا يقع في قلوبهم؟ يحبّونه، يشتاقون له، يشعرون بحاجتهم، يعني أنزل القرآن وبيَّن لنا الفضل، فحينما تكون مريضًا في قلبك أو مريضًا في بدنك ويقال لك: القرآن شفاء. ماذا تفعل؟ تتّجه إليه، أنت الآن ترى ظلمة لا تعرف كيف تتّخذ قرارًا، يقال لك: القرآن نور تتّجه إليه، فالله أنزل القرآن وأعلم النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– فضل القرآن وأعلم الخلق في كتابه وعلى لسان رسوله بأوصاف القرآن أنّه عصمة لمن اعتصم به وحرز من النّار لمن تبعه...وهكذا.

فأنزل وبيَّن الفضل للنّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– وبيَّن فضله للنّاس بعدها: (**ثُمَّ أَمَرَ اللهُ خَلْقَهُ أَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ**).

عدوا معي:

أ– (**أَنْزَلَ اللهُ –عزّ وجلّ– الْقُرْآنَ عَلَى نَبِيِّهِ –صلّى الله عليه وسلّم– وَأَعْلَمَهُ فَضْلَ مَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ، وَأَعْلَمَ خَلْقَهَ فِي كِتَابِهِ، وَعَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ: أَنَّ الْقُرْآنَ عِصْمَةٌ لِمَنْ اِعْتَصَمَ بِهِ، وَحِرْزٌ مِنْ النّار لِمَنْ اتَّبَعَهُ، وَنُورٌ لِمَنْ اِسْتَنَارَ بِهِ، وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ، وَهُدَىً وَرَحمَةٌ لِلمُؤمِنِينَ**.

ب–ثُمَّ أَمَرَ اللهُ خَلْقَهُ:

1. أَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ.

2. ثُمَّ أَمَرَ اللهُ خَلْقَهُ أَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ، وَيَعْمَلُوا بِمُحْكَمِهِ: (فَيُحِلُّوا حَلالَه، وَيُحَرِّمُوا حَرَامَهُ).

هذا متعلّق بالعمل بمحكمه، ما معنى أن تعمل بمحكمه؟

3. وَيُؤْمِنُوا بِمُتَشَابِهِهِ.

4. وَيَعْتَبِرُوا بِأَمْثَالِهِ.

5. وَيَقُولُوا: {آَمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا}).

نأتي هنا إلى أنّ الله –عزّ وجلّ– بعدما أنزل القرآن وبيَّن فضله أمر خلقه أن يؤمنوا به ثمّ يعملوا بمحكمه، ويؤمنوا بمتشابهه ويعتبروا بأمثاله ويقولوا: آمنّا به.

نبدأ الآن في كلمة (الإيمان).

أمرنا أن نؤمن بالقرآن، ما هو الإيمان؟! التّصديق الجازم، الغير قابل للشّك، أنتِ الآن أمرتِ أن تؤمني بالقرآن.

ضروري أن يتّصل (الإيمان) بـ (الغيب) لأنّ الشّيء الّذي ليس غيبيّ، أقول عنه: صدَّقت، فأقول: صدَّقت أنّ هذه علبة، صدَّقتِ لأنّها أمر محسوس، لكن عندما أتكلّم عن الغيب سأقول: إيمان. والإيمان يتضمّن التّصديق، فأنت مطلوب منك أن تؤمني بالكتاب، تؤمني بالقرآن، ومن أجل أن يكون اسمه (إيمان) لا بدّ من وجود أخبار غيبيّة.

سنبدأ بالأخبار الغيبيّة المتّصلة بالقرآن:

أوّل خبر غيبيّ: **(أنّ الله تكلّم به).**

هذا الكلام الّذي بين أيديكم، كلام الله، حتى أنّه ورد في الحديث أن الله لمّا تكلّم بالقرآن ملائكة السّماء أغشي عليها! فمعناه أنّه يقع في قلبك التّصديق أنّ هذا كلام الله الّذي تكلّم به على الحقيقة، أنت من أين عرفت أنّ الله تكلّم به على الحقيقة؟ أكيد أنّكم

تحفظون نصوصًا كثيرة في القرآن: {وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا}[1]، {وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ}[2]، {إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ}[3]، {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ}، {وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ}[4].

إلى أن نسمعها صراحةً: {وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ}[5] فأنت فهمت من هذه الآية بوضوح أنّ هذا كلام الله، القرآن كلام الله لأنّ الله أمر رسوله إن أحد من المشركين استجاره -أراد أن يدخل في جواره- أن يجره، يجره لماذا؟ {حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ} كلام الله هو القرآن.

إذًا أنت تؤمنين أنّ هذا القرآن تكلّم الله به العظيم، لا بدّ أن نعيدها على أنفسنا حتّى يحصل في القلب تعظيمًا له، هذا ليس كلام أي أحد هذا كلام الله الّذي تكلّم به، وتكلّم به حقيقة، **وتؤمنين** أنّ جبريل -عليه السّلام- سمعه، **وتؤمنين** أنّ جبريل -عليه السّلام- أنزله، **وتؤمنين** أنّ الرّسول -صلّى الله عليه وسلّم- سمعه من جبريل؛ لكي تصبح هذه الحقائق جليّة ولا تحصل استهانة بقرائتنا للقرآن، عندما تقرئين في الأعراف يتبيَّن لكِ أن القوم الّذين دخلوا النّار كانت صفتهم الرّئيسة أنّهم اتّخذوا دينهم لهوًا ولعبًا، يعني الدّين الّذي كان يجب أن يدينوا به كان في أنفسهم لعب! لا تعظيم فيه.

وعلى هذا دعونا نفكّر في أنفسنا: هل نحن معظّمون أم اتخذنا الدّين لعب؟! ما هي صورة اللّعب بالدّين؟ صور اللّعب بالدّين لا نهاية لها! في كل عصر الدّين يصبح لعبًا بلا نهاية، واليوم في شرق الأرض أخذوا هذا القرآن وتلاعبوا به إلى درجة أنّهم غنّوه بالأدوات الموسيقيّة! وهذا كان مبدؤه من عند التّرنم به ترنّمًا غير صحيحًا، فحينما يحصل هذا الأمر يدلّ على أنّ القوم ما عظّموه حقّ تعظيمه.

إذًا معنى إيماننا بالقرآن:

- نؤمن أنّ الله تكلّم به حقيقة.

---

(1) سورة النّساء: 164.

(2) سورة الأعراف: 143.

(3) سورة النّازعات: 16.

(4) سورة مريم: 52.

(5) سورة التّوبة: 6.

- وأنّ جبريل –عليه السّلام– سمعه من الله عزّ وجلّ.

- وبعد ما سمعه جبريل، أنزله على محمد صلّى الله عليه وسلّم.

- وأنّ الرّسول –صلّى الله عليه وسلّم– بلّغه.

إذًا الإيمان يدور كلّه حول هذه المسألة الغيبيّة.

ثمّ من إيمانك بالقرآن إيمانك **بـ (أوصافه)**.

اقرئي سورة البقرة وقولي لي: بأي شيء تؤمنين؟ {الم (1) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ}[1] تقولين ثلاث صفات: {ذَلِكَ الْكِتَابُ} و {لَا رَيْبَ فِيهِ} و {هُدًى لِلْمُتَّقِينَ}.

أمّا الإشارة {ذلك}: فتدلّ على علوّ مرتبته.

- **وأمّا {لا ريب فيه}**: تدلّ على اليقين فيه.

- **وأمّا {هدى للمتّقين}**: هو هداية للنّاس لكن لا ينتفع به إلّا المتّقين، هو هدى للنّاس صحيح لكنّه لا ينتفع به إلّا المتّقين، هذا كلّه يدخل في الإيمان.

وعلى ذلك لا بدّ كلّما مررنا على وصف أن نفتّش في قلبنا: هل هذا الوصف موجود حقيقة أم كلام نقوله؟! لأنّ من إيماننا الإيمان بالأوصاف، ثمّ بعدما نؤمن بالقرآن علينا أن نعمل به.

لمّا أتى إلى العمل قسّم المسألة إلى قسمين: قال:

(1) سورة البقرة: 1-2.

- (وَيَعْمَلُوا بِمُحْكَمِهِ).

- (وَيُؤْمِنُوا بِمُتَشَابِهِهِ).

أوّلًا كلمة "محكم" و"متشابه" من أين أتت؟

من سورة آل عمران: {هُوَ الّذي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ}[1].

دعونا نفهم معنى "محكم" و"متشابه" في كتاب الله ونستدلّ عليهم بأدلّة، أوّلًا لا بدّ أن نعلم أنّ القرآن وصف بثلاث أوصاف من جهة الإحكام والتّشابه.

وصف القرآن من جهة الإحكام والتّشابه إلى حالات:

- **الحالة الأولى**: وصف القرآن كلّه أنّه محكم.

مثلًا استفتحِ سورة هود: {كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثمّ فُصِّلَتْ}[2] هذا دليل على أنّ القرآن كلّه محكم، {أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ} أي: كلّها محكمة.

- **الحالة الثّانية**: وصف القرآن كلّه بالتّشابه.

سنقول: القرآن وصف كله بالتّشابه، {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الّذين يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ}[3] إذًا هذه الآية تدلّ على أنّ القرآن كلّه متشابه، أنزل أحسن الحديث ما وصفه؟ {كِتَابًا مُتَشَابِهًا}.

---

(1) سورة آل عمران: 7.

(2) سورة هود: 1.

(3) سورة الزّمر: 23.

- **الحالة الثّالثة:** وصف القرآن بأنّ بعضه محكم وبعضه متشابه.

هذه الآية الّتي بدأنا النّقاش بها: {مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ} ماذا فهمت من الآية؟ بعضه محكم وبعضه متشابه.

ما المطلوب منّا الآن؟ نفكّر كيف يوصف مرّة بأنّه محكم كلّه ومرّة يوصف بأنّه متشابه كلّه ومرّة يوصف بأنّ بعضه متشابه وبعضه محكم؟ انظري إلى كلمة "الإحكام والتّشابه" سيتغيّر معناها، عندما يوصف القرآن كله بأنّه (محكم) سيكون لها معنى، وعندما يوصف القرآن بأنّه (محكم ومتشابه معًا) سيكون لها معنى.

- ما معنى أن يوصف القرآن كلّه بالإحكام العام؟ **هنا الإحكام بمعنى الإتقان والجودة في ألفاظه ومعانيه،** إذًا هذا الإحكام الّذي وصف به كلّ القرآن.

- ما معنى أن يوصف القرآن كلّه بالمتشابه؟ **متشابه هنا بمعنى يشبه بعضه بعضًا في الكمال والجودة والغايات الحميدة.**

- ما معنى أن يوصف القرآن بالإحكام مرّة وبالتّشابه مرّة؟ هنا لا يشبه بعضه بعضًا إنّما سنقول: **هنا التّشابه بمعنى الاشتباه وليس التّشابه،** {مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ} (متشابهات) بمعنى: يحصل فيها اشتباه، أن يكون معنى الآية خفيّ على بعض النّاس.

نضرب مثالًا في سورة سبأ، الله –عزّ وجلّ– يقول: {حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ} هذه الآية في السّياق {حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ}[1] هذه الآية مهما قرأتِها، يبقى المعنى خفي ولا بدّ أن تعرفي الحديث الّذي أتى في تفسيرها، قال رسول الله–صلّى الله عليه وسلّم–: (**إذا أراد الله أن يُوحِيَ بالأمرِ تكلَّمَ بالوَحي، أخذَتِ السّماوات منه رَجفةٌ أو قال رِعْدَةٌ شديدةٌ خوفَ أمرِ الله فإذا سمِعَ بذلك أهل السّماوات صَعِقوا وخرُّوا لله سجَّدًا فيكون أوّل مَن يَرفع رأسَهُ جَبرائيل**

(1) سورة سبأ: 23.

فيكلّمُه الله من وحيه بما أراد، ثمّ يمرّ جَبرائيل على الملائكة كلّما مَرّ بسماءٍ سَأله ملائكتها: ماذَا قَالَ ربّنا يا جَبرائيل؟ فَيقول جَبرائيل: قَالَ الحَقَّ وَهوَ العَليّ الكَبِير، قال: فَيَقولون كلّهم مِثل ما قَال جَبرائيل، فَينْتهي جَبرائيل بالوَحي حَيثُ أَمَره الله)[1].

إذًا، حين قال: (**وَيَعْمَلُوا بِمُحْكَمِهِ: فَيُحِلُّوا حَلالَه، وَيُحَرّمُوا حَرَامَهُ، وَيُؤْمِنُوا بِمُتَشَابَهِهِ**): يقصد أي واحدة؟ الثالثة؛ لأنّك تقولين: أنا مطلوب منّي في (الأمر المحكم) أي: الواضح، أن أحلّ حلاله وأحرّم حرامه، والخفيّ ماذا أفعل معه؟ أؤمن بمتشابهه، نأتي بأمثلة على المتشابه حتّى تتّصوروا المسألة.

أريد منكم أن تقرؤوا آية آل عمران وتقولون لي: كيف يصح الوقف في هذه الآية؟

- {وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ} هنا وقف {وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ} هذه قراءة.
- توجد قراءة ثانية: {وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ} بالوصل، يجوز الوصل ويجوز الوقف.

المتشابه نوعان: متشابه حقيقيّ ومتشابه نسبيّ:

هذه الآية تُقرأ بالوصل وتُقرأ بالوقف، إذا قلنا: {وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ} عند الوقف سيكون هذا المتشابه الحقيقيّ، المعنى خفيّ حقيقةً، لا أحد يعلم تأويله إلّا الله، ومثاله الصحيح: (كيفية صفات الله)، أنت تسمعين عن الله أنّه استوى على العرش وتعتقدين أنّه استوى على العرش، لكن (كيف؟) هذا خفاء ما يعلمه إلّا الله.

في القراءة الثّانية: {وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ} هذه معناها أنّ المتشابه نسبيّ، الّذي تشابه على بعض النّاس إمّا بسبب الجهل وإمّا بسبب الهوى.

سأضرب لكم مثالا: مسألة الهداية في القرآن الّتي يدور النّاس حولها، عندما يرد في بعض الآيات أنّ:

(1) أخرجه الطبري في تفسيره (397/20).

- {اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ}[1] .
- و {اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ}[2] .
- وفي بعض الآيات: {وَالّذينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ}[3].

إذًا جعل الهداية فعلهم مرّة وفعل الله مرّة، الجاهل وصاحب الهوى يقول: إنّ سبب ضلاله أنّ ربّنا لم يرد هدايته! أنت ماذا تعتقدين؟ تعتقدين أنّ هذا من المتشابه الّذي يعرفه العلماء، فعندما تسألين العلماء يقولون لك كما قال الله عزّ وجلّ:

{وَالّذينَ اهْتَدَوْا} أرادوا الهداية {زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ}.

لكن

{فَلَمَّا زَاغُوا} لمّا نشأت في قلوبهم إرادة الزّيغ {أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ}[4].

فتجدي عند العلماء جواب التّشابه وهذا المعنى على قراءة الوصل: {وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ} فيكون هذا ليس تشابهًا حقيقيًا (خفاءً حقيقيًا) إنّما أصبح خفيًا على بعض النّاس.

المقصد الآن أن تفهمي أنّ هناك تشابه حقيقيّ وتشابه نسبيّ.

إذًا في التّشابه الحقيقيّ سنقول: نحن نؤمن به، وأنّه لا يعلمه إلّا الله.

---

(1) سورة القصص: 56.

(2) سورة الحج: 16.

(3) سورة محمد: 17.

(4) سورة الصّف: 5.

قال: (**وَيَعْمَلُوا بِمُحْكَمِهِ: فَيُحِلُّوا حَلالَه، وَيُحَرِّمُوا حَرَامَهُ، وَيُؤْمِنُوا بِمُتَشَابِهِهِ**):

(**وَيُؤْمِنُوا بِمُتَشَابِهِهِ**): أي: يردّون علمه إلى الله، هذا الخفيّ الحقيقيّ.

أمّا الخفي الّذي ليس حقيقيًا، هو الّذي يعرفه العلماء تذهب فتسأل العلماء، ليس كلّ النّاس يعرفونه.

إذًا التّشابه النّسبيّ يُسأل عنه العلماء والتّشابه الحقيقيّ لا يعلمه إلّا الله.

قال: (**وَيَعْتَبِرُوا بِأَمْثَالِهِ**): الأمثال المقصود بها الأقوام السّابقة، الأمثال الّتي ضربت في القرآن مَثَل آية سورة النور، مَثَل آية سورة إبراهيم...إلى آخره.

وأمام القرآن كلّه أمرهم أن: (**يَقُولُوا** {آَمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا}) سواء كان محكم أو متشابه.

بعدما يؤمنون ويكون هذا موقفهم في العمل وعدهم بأيّ شيء؟

قال: (**ثُمَّ وَعَدَهُمْ عَلَى تِلاوَتِهِ وَالْعَمَلِ بِهِ: النَّجَاةَ مِنْ النَّارِ، وَالدُّخُولَ إِلَى الْجَنَّةِ**).

1. أنزل الله القرآن.

2. أمر الله خلقه أن يؤمنوا.

3. وعدهم على تلاوته والعمل به.

سنرى التّلاوة الّتي ندبهم لها ما هي تفاصيلها من كلامه؟

قال: (**ثُمَّ نَدَبَ خَلْقَهَ–عَزَّ وَجَلَّ–إِذَا هُمْ تَلَوْا كِتَابَهُ**:

1. **أَنْ يَتَدَبَّرُوهُ.**

2 **وَيَتَفَكَّرُوا فِيهِ بِقُلُوبِهِمْ.**

3 **وَإِذَا سَمِعُوهُ مِنْ غَيْرِهِمْ: أَحْسَنُوا اِسْتِمَاعَهُ).**

هذه حالة أخرى، حضَّ خلقه إذا تلوا أن يتدبّروا ويتفكّروا وإذا استمعوا يحسنوا الاستماع.

عندي حالّتين مع التّلاوة:

- إذا هم تلوا بأنفسهم يتدبّروا ويتفكّروا.
- وإذا استمعوا يحسنوا الاستماع.

قال: (**ثُمَّ أَعْلَمَ خَلْقَهَ: أَنَّ مَنْ تَلا الْقُرْآنَ، وَأَرَادَ بِهِ مُتَاجَرَةَ مَوْلاهُ الْكَرِيمْ**): انظري هذا الشّرط المهم جدًا:

(**مُتَاجَرَةَ مَوْلاهُ الْكَرِيمْ**): يقصد الإخلاص.

(**فَإِنَّهُ يُرْبِحُهُ الرِّبْحَ الّذي لا بَعْدَهُ رِبْحٌ، وَيُعَرِّفُهُ بَرَكَةَ الْمُتَاجَرَةِ فِي الدّنيا وَالآخِرَةِ**): معناها إذا تلوت عليك أن تتدبّر وأن تتفكّر، وإذا استمعت عليك أن تحسن الاستماع وربّنا وعدك على التّدبّر والتّفكّر وحسن الاستماع الثّواب الجزيل، **وأعلمك أنّك إذا تلوت–لكن بشرط مهم جدًا وهو الإخلاص–سيربحك ويعرّفك بركة المتاجرة معه**، أي تبدأ تشعر في حياتك بالبركة النّاتجة عن متاجرتك للقرآن.

(**ثُمَّ أَعْلَمَ خَلْقَهَ: أَنَّ مَنْ تَلا الْقُرْآنَ، وَأَرَادَ بِهِ مُتَاجَرَةَ مَوْلاهُ الْكَرِيمْ، فَإِنَّهُ يُرْبِحُه**): هذا الكلام ماذا يوجد فيه؟ الإخلاص.

والمتابعة أين ستجدينها؟ في قوله: (**إِذَا هُمْ تَلَوْا كِتَابَهُ أَنْ يَتَدَبَّرُوهُ، وَيَتَفَكَّرُوا فِيهِ بِقُلُوبِهِمْ، وَإِذَا سَمِعُوهُ مِنْ غَيْرِهِمْ: أَحْسَنُوا اِسْتِمَاعَهُ**): هذه هي المتابعة، إذا فعلت المتابعة كن مخلصًا.

انظروا لجميع ما ذكره سابقًا:

- أخبرنا عن إنزال القرآن وأعلمنا عن فضل القرآن.
- وأمرنا أن نؤمن ونعمل بالمحكم، ونؤمن بالمتشابه.
- ووعدنا على هذا كلّه بالنّجاة من النّار والدّخول إلى الجنّة.
- ندبنا إذا تلوناه أن نفعل التّدبر، التّفكر، وإذا استمعنا له نحسن الاستماع.
- ورتّب على ذلك الأجر لنا، ووعدنا وأعلمنا أننا إذا تلونا وأردنا المتاجرة يربحنا خير الأرباح.

ثمّ يقول إنّ جميع ما ذكر سيكون موجودًا في القرآن والسّنّة، الآن ننتقل إلى الدّليل على ما ذكر:

(**وقَالَ عزّ وجلّ**: {**إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ (29) لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ**}[1]: دليل على أي شيء؟! سأشرح كلمة: (يَتْلُونَ) ونأتي بالشّاهد الثّاني ونرى.

(1) سورة فاطر: ٢٩ – ٣٠.

ما معنى كلمة (يَتْلُونَ)؟ المادة في(يَتْلُونَ) من (تَلَا) تَلَا بمعنى: تَبِع، {وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا}[1] أي: إذا تبعها، على ذلك (يتلون) سيتحقّق فيها أشياء كثيرة، أي: سيقرأ وسيتدبر وسيفهم وإذا فهم تابع وعمل بالمحكم وآمن بالمتشابه.

انظري التّرتيب: {إِنَّ الّذينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ} أسألكم الآن: هل قراءة القرآن مقدّمة على الصّلاة؟ الصّلاة طبعًا في المرتبة الأولى. لكن لماذا يتقدّم قوله تعالى: {إِنَّ الّذينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ} **على** {وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ}؟ لأنّ {يتلون} هنا تجمع كلّ المعاني–القراءة، الفهم، العمل–بدليل أنّهم يعملون مباشرة: {وَأَقَامُوا الصّلاة وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ}.

وهم يفعلون هذا كله على الإخلاص {يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ} فالآية الّتي استشهد بها ستكمل لك المعنى: {لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ} إذًا الثّواب.

إذًا آية فاطر وحدها جاءت بكلّ الكلام الّذي مرّ معنا، جاءت بأنّهم: آمنوا، وتدبّروا وعملوا بمحكمه ومتشابهه وأنّ الله وعدهم على تلاوته.

قال: (**وقَالَ عزّ وجلّ**: {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الّذينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا (9) وَأَنَّ الّذينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا}[2]) الآن هذه الآية دليل على أوّل كلامه، انظروا في فقرة (أ) :

(**أَنْزَلَ اللهُ –عزّ وجلّ– الْقُرْآنَ عَلَى نَبِيِّهِ–صلّى الله عليه وسلّم– وَأَعْلَمَهُ فَضْلَ مَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ، وَأَعْلَمَ خَلْقَهُ فِي كِتَابِهِ، وَعَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ**): ثمّ ذكر صفات، من الصّفات أنّ القرآن هدى ورحمة وبشرى؛ إذًا آية الإسراء بيّنت أنّ القرآن هدى وبشرى.

قال: (**وقَالَ–عَزَّ وَجَلَّ–**: {وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا}[3]) الشاهد: (شفاء ورحمة).

---

(1) سورة القمر: 2.

(2) سورة الإسراء: ٩ – ١٠.

(3) سورة الإسراء: ٨٢.

نأتي لآية يونس: (وقَالَ–عَزَّ وَجَلَّ–: {يَا أَيُّهَا النّاس قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ}[1]).

موعظة، شفاء لما في الصّدور وهدى ورحمة للمؤمنين، كلّها فيها دلالات.

(وَقَالَ–عَزَّ وَجَلَّ–: {يَا أَيُّهَا النّاس قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا (174) فَأَمَّا الّذينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا}[2]).

انظروا دلالتها على أي شيء؟

{فَأَمَّا الّذينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ} هو عصمة لمن اعتصم، لكن انتبهوا للآية وانظروا: هل يصلح الاستشهاد بها أو لا؟ (به) الضمير عائد على مَن؟ على الله، وهو في البداية قال: (إنّ القرآن عصمة لمن اعتصم به)، ما قال (إنّ الاعتصام بالله...) سيتبيَّن مباشرة في الآية الّتي بعدها، نقرأ الآية الّتي بعدها ونرى:

(وَقَالَ–عَزَّ وَجَلَّ–: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا}[3] وَحَبْلُ اللهِ هُوَ الْقُرْآنُ): فكأنّه يقول: أمرنا الله أن نعتصم به وأمرنا أن نعتصم بحبله الّذي هو القرآن:

- ففي الآية الأولى آية النّساء: {يَا أَيُّهَا النّاس قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا} جاء التّقديم بالقرآن ثمّ أمرنا أن نعتصم بالله عزّ وجلّ.

- والآية الثّانية قال الله عزّ وجلّ: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ} حبل الله هو القرآن.

---

(1) سورة يونس: ٥٧.

(2) سورة النّساء: ١٧٤ – ١٧٥.

(3) سورة آل عمران: ١٠٣.

إذًا الاعتصام قسمان:

- اعتصام بالله.
- واعتصام بحبل الله.

ولا يكون الاعتصام بالله إلّا من خلال الاعتصام بحبل الله، والقرآن هو حبل الله مثلما ذكر.

قال: (**وَقَالَ–عَزَّ وَجَلَّ–**: {**اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ**}[1]: ما وجه الدّلالة الآن؟ التّشابه الّذي ذكرناه، هذه آية الزمر دليل على أنّ القرآن كلّه متشابه.

قال: (**وقَالَ–عَزَّ وَجَلَّ–**: {**وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا**}[2]) دلالتها: (**وَيَعْتَبِرُوا بِأَمْثَالِهِ**).

{**وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ**} هنا الشّاهد، أي نوع من الوعيد سواء بذكر الأمم قبلكم أو سواء بالإنذار المباشر، كلّ هذا تصريف من الوعيد.

انتهينا من هذا وسنبدأ بمقطع متّصل وسيتبيّن لكم سيتصل بأي شيء.

---

(1) سورة الزّمر: ٢٣.

(2) سورة طه: ١١٣.

قال: (ثُمَّ إِنَّ اللهَ –عزّ وجلّ– وَعَدَ لِمَنْ اِسْتَمَعَ إِلَى كَلامِهِ، فَأَحْسَنَ الأَدَبَ عِنْدَ اِسْتِمَاعِهِ بِالاعْتِبَارِ الْجَمِيلِ، وَلُزُومِ الْوَاجِبِ لاتِّبَاعِهِ، وَالْعَمَلِ بِهِ، يُبَشِّرُهُ مِنْهُ بِكُلِّ خَيْرٍ، وَوَعَدَهُ عَلَى ذَلِكَ أَفْضَلَ الثَّوابِ. فقال–عَزَّ وَجَلَّ–: {فَبَشِّرْ عِبَادِ (17) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ}[1].

وقَالَ–عَزَّ وَجَلَّ–: {وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ (54) وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ}[2].

فكلُّ كَلامِ ربّنا حَسَنٌ لِمَنْ تَلاهُ، وَلِمَنْ اِسْتَمَعَ إِلَيْهِ، وَإِنَّمَا هَذَا وَاللهُ أَعْلَمُ صِفَةُ قَوْمٍ إِذَا سَمِعُوا الْقُرْآنَ تَتَّبَعُوا مِنْ الْقُرْآنِ أَحْسَنَ مَا يَتَقَرَّبُونَ إِلَى اللهِ تَعَالَى، مِمَّا دَلَّهُمْ عَلَيْهِ مَوْلاهُمُ الْكَرِيمُ، يَطْلُبُونَ بِذَلِكَ رِضَاهُ، وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ.

سَمِعُوا اللهَ قَالَ: {وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}[3] فَكَانَ حُسْنُ اِسْتِمَاعِهِمْ يَبْعَثُهُمْ عَلَى التَّذَكُّرِ فِيمَا لَهُمْ وَعَلَيْهِمْ، وَسَمِعُوا اللهَ –عزّ وجلّ– قَالَ: {نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ}[4]).

ما هو عنوان هذا المقطع؟ ما صلته بالكلام الأوّل؟ الكلام حول الاستماع.

الاستماع

(ثُمَّ إِنَّ اللهَ –عزّ وجلّ– وَعَدَ لِمَنْ اِسْتَمَعَ إِلَى كَلامِهِ): سبق ذكر الكلام حول الاستماع.

وعَد مَن أوّلًا؟ وعَد من (اِسْتَمَعَ إِلَى كَلامِهِ، فَأَحْسَنَ الأَدَبَ عِنْدَ اِسْتِمَاعِهِ): هو يعرِّف الآن الإحسان في الأدب عند استماعه. كيف يكون؟ انظري لحرف (الباء).

(1) سورة الزّمر: ١٧ – ١٨.

(2) سورة الزّمر: ٥٤ – ٥٥.

(3) سورة الأعراف: ٢٠٤.

(4) سورة ق: ٤٥.

حسن الاعتبار بأي شيء يكون:

- (**بِالاعْتِبَارِ الْجَمِيلِ**)
- (**وَلُزُومِ الْوَاجِبِ لاتِّبَاعِهِ، وَالْعَمَلِ بِهِ**)

ما هو الاعتبار الجميل؟ ما معنى أن يعتبر أحد اعتبارًا جميلًا، انظروا بماذا وعد الله من استمع لكلامه وأتى بهذه الصفات؟ قال:

(**يُبَشِّرُهُ مِنْهُ بِكِلِّ خَيْرٍ، وَوَعَدَهُ عَلَى ذَلِكَ أَفْضَلَ الثَّوابِ**): إذًا الله وعد من استمع لكلامه بكلّ خير ووعده بأفضل الثّواب.

انظروا لآية سورة الزّمر: (**فقال–عَزَّ وَجَلَّ–**: {**فَبَشِّرْ عِبَادِ (17) الّذينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الّذينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ**}).

إذًا هو أتى بالاعتبار الجميل، ثمّ في الآية الله –عزّ وجلّ– قال عن هؤلاء: {**يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ**} ثمّ يأتي سؤال: **هل في كلام الله هناك حسن وأحسن**؟ هو سيجاوب على هذا السّؤال وسنرى كلامه ماذا سيقول.

نترك الآن آية الزّمر الثّانية ونقرأ كلامه الّذي بعده:

(**فكلُّ كَلامِ ربّنا حَسَنٌ لِمَنْ تَلاهُ، وَلِمَنْ اِسْتَمَعَ إِلَيْهِ**): إذًا من جهة كونه كلام الله كلّه حَسَن، ليس هناك حسن وأحسن، من أين أتت "أحسن"؟

قال: (**وَإِنَّمَا هَذَا**) يشير إلى قوله تعالى: {**أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ**} (**وَاللهُ أَعْلَمُ صِفَةُ قَوْمٍ**) ما هم؟ (**إِذَا سَمِعُوا الْقُرْآنَ**) هم (**تَتَّبَعُوا مِنْ الْقُرْآنِ أَحْسَنَ مَا يَتَقَرَّبُونَ**) هم به (**إِلَى اللهِ تَعَالَى، مِمَّا دَلَّهُمْ عَلَيْهِ مَوْلاهُمُ الْكَرِيمُ**): سنضرب مثالًا؛ الآن أنتِ في موقف بين العفو وبين أخذ حقك تقرئين في سورة الحج: {**ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ**}[1] إذًا يصح لكِ أن تعاقبي، وتقرئين في مواطن

(1) سورة الحج: 60.

كثيرة عن العفو، الآن نريد أن نطبّق صفة هؤلاء القوم: {وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ (54) وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ} طبّقي صفة "أحسن ما أنزل إليهم من ربهم"، العفو، مع أنّ في القرآن سماحية أن تعاقب لكن هذه صفة قوم إذا سمعوا القرآن تتبّعوا من القرآن أحسن ما يتقرّبون به إلى الله تعالى ممّا دلّهم عليه مولاهم.

إذًا بماذا تفسّرين {وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ}؟ أوّل شيء ستقولين ما قاله من الكتاب: (**فكلُّ كَلامِ ربّنا حَسَنٌ لِمَنْ تَلاهُ، وَلِمَنْ اِسْتَمَعَ إِلَيْهِ**) كلّ كلام ربّنا حسن، (أحسن) التّفضيل لمن؟ للقوم أنفسهم وليس لكلام الله؛ ولذلك **المسألة واحدة لها جهتان:**

- إذا نظرت لها من جهة كلام الله كلّ كلام الله حسن.
- إذا نظرت لها من جهة النّاس سنقول: هذه صفة قوم اتّبعوا أحسن ما يتقرّبون به إلى الله.

(**يَطْلُبُونَ بِذَلِكَ رِضَاهُ، وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ**): **انظري صفتهم**: (**سَمِعُوا اللهَ قَالَ**: {وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}).

لا زلنا نناقش الاستماع، انتبهوا لأنّه سيقول كلمة فيصلية هنا: (**فَكَانَ حُسْنُ اِسْتِمَاعِهِمْ يَبْعَثُهُمْ عَلَى التَّذَكُّرِ فِيمَا لَهُمْ وَعَلَيْهِمْ**). **هذا كلام مهم جدًا**، يعني أنت في داخل الحدث ولست خارج الحدث، انظري قرؤوا سورة البقرة وفهموا أنّها تدور حول الاستسلام وأنّ الدّين كلّه يدور حول الاستسلام، وسمّيت (سورة البقرة) لأنّ هذه القصّة تبيّن الفرق بين المستسلم وتارك الاستسلام، المستسلم إذا أُمر انقاد، قال رسول الله: (**فإنّما المؤمنُ كالجملِ الأَنِفِ حيثما قِيدَ انقادَ**)[1]. حيثما توجّهه الشّريعة يسِر، أصحاب البقرة ما حالتهم؟ متعنّتين، اذبحوا بقرة! ما لونها؟ ما صفتها؟ فكأنه يقال: هذه البقرة لم تذهب وتنتهِ نحن تمرّ علينا مواقف كثيرة مثل موقف هذه البقرة، يأتينا الأمر ونحن ندور حوله نبحث عن مخرج، حتّى تتصوّروا هذا الموقف تصوّروا موقف أبنائنا حين نقول لأحدهم:

(1) أخرجه أبو داود (4607)، وصحّحه الألباني.

اعمل لنا هذا العمل، هناك عشرة أسئلة ليس لها داعٍ يسألنا إيّاها من أجل أن يعمل هذا العمل! وفي النّهاية ممكن أن يعمل وممكن ألّا يعمل! هذا النّموذج الّذي نراه مع أبنائنا هو نفسه ما نعمله مع ربّنا!!

انظري كيف يكون تصرّفنا وقت الأذان: حيّ على الصّلاة، حيّ على الفلاح؟ إلى أن نقرّر أن نقوم نكون مررنا بمراحل! مع إنّنا نغضب لو نادينا أحد أولادنا ولم يردّ علينا ويعتذر ويقول لك: أنا أحبّك ويقبّل يدك. وهذا كلّه ليس له داعٍ، أنت تريد مصالحتي إذًا استجب! فنحن دائمًا نقول: نحن نحبّ ربّنا. هذه المشاعر الّتي تقولها لا بدّ أن تصدق فيها لأنّ ربّنا فطرك على نفس الأسلوب، فطرتك تقول لك: إذا كنت تحب ستفعل، ستفعل إن كنت صادقًا، ستمتثل، ستنقاد.

المقصد الآن أنّ حسن استماعك لكلام الله يبعثك على التّذكر فيما لك وما عليك، ليس مجرد أنّهم يسمعون ويحفظون ويخرجون من ألسنتهم حروفًا وقلوبهم في مكان آخر.

قال: (**فَكَانَ حُسْنُ اِسْتِمَاعِهِمْ يَبْعَثُهُمْ عَلَى التَّذَكُّرِ فِيمَا لَهُمْ وَعَلَيْهِمْ، وَسَمِعُوا اللهَ –عزّ وجلّ– قَالَ: {نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ}**).

فهموا أنّه –سبحانه وتعالى– أخبرنا أنّه مطلوب منّا أن نذكّر بالقرآن، من يتذكّر بالقرآن؟ من يخاف الوعيد.

سينتقل الآن للكلام حول الجنّ: (**وَقَدْ أَخْبَرَنَا اللهُ عَنِ الْجِنِّ، وَحُسْنِ اِسْتِمَاعِهِمْ لِلْقُرْآنِ، وَاِسْتِجَابَتِهِمْ فِيمَا يَجْذِبُهُمْ إِلَيْهِ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ، فَوَعَظُوهُمْ بِمَا سَمِعُوا مِنْ الْقُرْآنِ بِأَحْسَنَ مَا يَكُونُ مِنْ الْمَوْعِظَةِ. قَالَ اللهُ–عَزَّ وَجَلَّ–: {قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا}**[1].

وقَالَ اللهُ عزّ وجلّ: {وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ (29) قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ (30)

(1) سورة الجن: ١.

يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ}[1]).

لازال يتكلّم عن الاستماع وأتى بالآيات آية الجنّ وآية الأحقاف.

يريد أن يقول إنّ الجنّ ما كانت علاقتهم بالنّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– إلّا بشيء واحد أنّهم استمعوا، وبعدما استمعوا دخل الإيمان إلى قلوبهم وأصبحوا أهل دعوة، **فالمعنى أنّك تحتاج أن تسمع السّماع الحسن من أجل أن يدخل الإيمان إلى قلبك**، كأنّه يقول: انظر ماذا فعل الجنّ؟ فأنت أولى بذلك أن تسمع كما ينبغي، فالسّماع له منزلته، الاستماع يجذب العقل خصوصًا لو كنت في الصّلاة وجامع قلبك وتستمع وراء إمام –مثل صلاتكم في الحرم– أكيد ستستمع وتفهم معاني لم تكن تفهمها من قبل، أو حتّى الاستماع خارج الصّلاة، لكن لا بدّ أن نفرّق بين الاستماع وبين التّلاوة.

ولذلك ممّا يدلّنا على ذلك أنّ النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– بنفسه وهو الّذي نزل عليه القرآن قال لابن مسعود: (**اقرأ عليّ**)[2] معنى ذلك أنّ السّماع له أثره، لا بدّ أن نعرف هذا الشّيء، هكذا خلقنا ربّنا وهكذا شرع لنا وهو أعلم بنا، فاقرأ بنفسك واسمع أيضًا، فالسّورة المدروسة الّتي تريد أن تدرسها لا بدّ أن يكون عندك حسن استماع لها وحسن الاستماع يجذبك إلى معانيها.

ولذلك هو يقول هنا: (**وَاسْتِجَابَتِهِمْ فِيمَا يَجْذِبَهُمْ إِلَيْهِ**): أي: وجدوا في قلوبهم المعاني تنجذب إلى قلوبهم، **وهذا معنى عجيب ومن جرّبه يعرفه كيف أن السّماع يولّد في قلبك الالتفات إلى المعاني**، حتّى أنّ بعض الألفاظ تكون مكرّرة وحين تسمعها تفاجأ أنّها مكرّرة في السّورة، وأنت لم تكن ملتفتًا لها وأنت تقرأ. فالسّماع له منزلته الّتي لا بدّ أن نهتم بها.

قال: (**وَقَدْ قَالَ اللهُ –عزّ وجلّ– فِي سُورَةِ ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ، مَا دَلَّنَا عَلَى عَظِيمِ مَا خَلَقَ مِنْ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ عَجَائِبِ حِكْمَتِهِ فِي خَلْقِهِ، ثمّ ذَكَرَ الْمَوْتَ وَعَظِيمَ شَأْنِهِ، ثمّ ذَكَرَ النّار وَعَظِيمَ شَأْنِهَا، ثمّ ذَكَرَ الجنَّة، وما أَعَدَّ فِيهَا**

(1) سورة الأحقاف: ٢٩ – ٣١.

(2) أخرجه البخاريّ (5055).

لأَوْلِيَائِهِ، فَقَالَ عزّ وجلّ: {لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ}[1] إِلَى آخِرِ الآيَةِ، ثمّ قَالَ بَعْدَ ذَلِكَ: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ}[2]).

الآن قال لنا كأنّه يذكّرنا بسورة ق: (وَقَدْ قَالَ اللهُ –عزّ وجلّ– فِي سُورَةِ ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ، مَا دَلَّنَا عَلَى عَظِيمِ مَا خَلَقَ مِنْ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ عَجَائِبِ حِكْمَتِهِ فِي خَلْقِهِ).

سنقرأ الآيات، هو قسّم (ق) بالمواضيع وبعدها ختمها بآخر شيء، سنقرأ سورة (ق) ثمّ نضع عنوانًا على كلّ مقطع

1– قال لنا: (وَقَدْ قَالَ اللهُ –عزّ وجلّ– فِي سُورَةِ ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ، مَا دَلَّنَا عَلَى عَظِيمِ مَا خَلَقَ مِنْ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ عَجَائِبِ حِكْمَتِهِ فِي خَلْقِهِ).

2– (ثُمَّ ذَكَرَ الْمَوْتَ وَعَظِيمَ شَأْنِهِ).

3– (ثُمَّ ذَكَرَ النّار وَعَظِيمَ شَأْنِهَا).

4– (ثُمَّ ذَكَرَ الجنَّة، وما أَعَدَّ فِيهَا لأَوْلِيَائِهِ، فَقَالَ عزّ وجلّ: {لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ} إِلَى آخِرِ الآيَةِ).

5– (ثُمَّ قَالَ بَعْدَ ذَلِكَ: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ}).

أريد منكم الآن أن تقسّموا مثلما قسّم وتذكرون لي مكان الآيات وأرقامها:

(1) سورة ق: ٣٥.

(2) سورة ق: ٣٧.

1- (**مَا دَلَّنَا عَلَى عَظِيمِ مَا خَلَقَ مِنْ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ عَجَائِبِ حِكْمَتِهِ فِي خَلْقِهِ**): من الآية (1) إلى آية (18)، يعني هناك حكمة، فمثلًا عقوبة الأقوام من عجائب حكمته في خلقه، خلقه للإنسان من عجائب خلقه، كون الله -عزّ وجلّ- جعل له ملكان فهذا أيضًا من عجائب خلقه.

2- (**ثُمَّ ذَكَرَ الْمَوْتَ وَعَظِيمَ شَأْنِهِ**): من الآية (19) إلى (23).

3- (**ثُمَّ ذَكَرَ النّار وَعَظِيمَ شَأْنِهَا**): من الآية (24) إلى (30).

4- (**ثُمَّ ذَكَرَ الجنَّة، وما أَعَدَّ فِيهَا لأَوْلِيَائِهِ، فَقَالَ عزّ وجلّ: {لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ} إِلَى آخِرِ الآيَةِ**): من آية (31) إلى (35) ذكر الجنة.

5- (**ثُمَّ قَالَ بَعْدَ ذَلِكَ: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ}**): أنتم تصوّروا المسألة جيدًا؛ سورة ق حكت لكم ما هي الحياة من خلق السّماوات والأرض إلى خلق الإنسان إلى العجائب الّتي حصلت فيها، ثمّ الموت ثمّ انقسام النّاس إلى الجنّة والنّار على حسب أحوالهم، وبعد هذا كلّه الله -عزّ وجلّ- قال لنا هذه الآية: **{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى}** أي: ما سمعتموه من ابتداء الخلق وعجائب الفعل والموت وافتراق النّاس إلى الجنّة والنّار المفترض أن يكون في قلبك ذكرى. لكن لمن؟! لمن ألقى السّمع وهو شهيد. كأنّه يقال: هذه القصّة كلّها لا تنفع مهما كرّرناها على أحد لو ما كان يستمع كما ينبغي، فبهذا رفعت مكانة السّمع إلى أعلاها، إنّ كلّ القصة الّتي تعيش فيها مهما ذكّرناك بحقيقتها لن تنتفع بها إلّا إذا كنت أحسنت الاستماع.

سيقول هذا الكلام الآن بالتّفصيل: (**فَأَخْبَرَ جَلَّ ذِكْرُهُ أَنَّ الْمُسْتَمِعَ بِأُذُنَيْهِ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ شَاهِدًا بِقَلْبِهِ مَا يَتْلُو، وَمَا يَسْمَعُ، لِيَنْتَفِعَ بِتِلاوَتِهِ لِلْقُرْآنِ، فِي الاستماع مِمَّنْ يَتْلُوهُ**): سواء كان بتلاوته أو بالاستماع ممن يتلوه، إذًا معنى ذلك أنت لن تكون من أهل القرآن المنتفعين به إلّا إذا كان قلبك شاهدًا لما يتلى سواء كنت أنت التّالي أو أنت السّامع ممن يتلو.

انظري الآن إلى الأمر الّذي بعده:

(ثُمَّ إنَّ اللهَ–عَزَّ وَجَلَّ–حَثَّ خَلْقَهُ عَلَى أَنْ يَتَدَبَّرُوا الْقُرْآنَ، فَقَالَ عزّ وجلّ: {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا}[1].

وقَالَ عزّ وجلّ: {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا}[2]: أنا أريد أن أسألكم: آية محمد وآية النّساء غالبًا يستشهد بهما في التّدبر، هل تعرفون في أيّ سياق أتوا؟ الخطاب لمن؟

افتحوا آية النّساء أوّلًا آية (82):

{وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (81) أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا}[3] هذا الكلام عن العلاج، هم منافقون ويجلسون عند النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– ويقولون: (طاعة) ثمّ يخرجون ويباتون اللّيل وهم على خلاف ما كان عليه النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– فالله يقول لهم: هل تريدون أن تعالجوا أنفسكم؟ {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ} لو تدبّروا لكانوا عالجوا قلوبهم من النّفاق ومن الشّك ومن الشُّبه.

انظروا آية سورة محمد، من المخاطب في التّدبر؟

{وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ (20) طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ (21) فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (22) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ (23) أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا} الخطاب لمن؟! لمن في قلوبهم مرض، للمنافقين وإن كان يصلح أيضًا أن يكون للكفّار لكن هنا في السّياق للمنافقين.

---

(1) سورة محمد: ٢٤.

(2) سورة النّساء: ٨٢.

(3) سورة النّساء: 81–82.

إذًا الموطنان اللّذان ورد فيهما الكلام عن التّدبر كان الخطاب للمنافقين.

إذًا ما صفة المؤمن؟ يتدبّر، وصفة المنافق أنّه لا يتدبّر، انظري الآن الكلام الّذي سيقوله بناء على هذا الفهم: أنّ في الآيتين أتى الخطاب عن المنافقين.

قال: (**أَلا تَرَوْنَ –رَحِمَكُمْ اللهُ– إِلَى مَوْلاكُمْ الْكَرِيمِ؛ كَيْفَ يَحُثُّ خَلْقَهُ عَلَى أَنْ يَتَدَبَّرُوا كَلامَهُ، وَمَنْ تَدَبَّرَ كَلامَهُ عَرَفَ الرَّبَّ – عزّ وجلّ– وَعَرَفَ عَظِيمَ سُلْطَانِهِ وَقُدْرَتِهِ، وَعَرَفَ عَظِيمَ تَفَضُّلِهِ عَلَى الْمُؤمِنِينَ، وَعَرَفَ مَا عَلَيْهِ مِنْ فَرْضِ عِبَادَتِهِ، فَأَلْزَمَ نَفْسَهُ الْوَاجِبَ، فَحَذِرَ مِمَّا حَذَّرَهُ مَوْلاهُ الْكَرِيمُ، وَرَغِبَ فِيمَا رَغَّبَهُ فِيهِ، وَمَنْ كَانَتْ هَذِهِ صِفَتُهُ عِنْدَ تِلاوَتِهِ لِلْقُرْآنِ، وَعِنْدَ اسْتِمَاعِهِ مِنْ غَيْرِهِ، كَانَ الْقُرْآنُ لَهُ شِفَاءً، فَاسْتَغْنَى بِلا مَالٍ، وَعَزَّ بِلا عَشِيرَةٍ، وأَنِسَ بِمَا يَسْتَوحِشُ مِنْهُ غَيْرُهُ، وَكَانَ هَمُّهُ عِنْدَ تِلاوَةِ السُّورَةِ إِذَا افْتَتَحَهَا: مَتَى أَتَّعِظُ بِمَا أَتْلُوهُ؟ وَلَمْ يَكُنْ مُرَادُهُ مَتَى أَخْتِمُ السُّورَةَ؟ وَإِنَّمَا مُرَادُهُ: مَتَى أَعْقِلُ عَنْ اللهِ الْخِطَابَ؟ مَتَى أَزْدَجِرُ؟ مَتَى أَعْتَبِرُ؟ لأن تِلاوَتَهُ لِلْقُرْآنِ عِبَادَةٌ، وَالْعِبَادَةُ لا تَكُونُ بِغَفْلَةٍ، وَاللهُ الْمُوَفِّقُ**).

الآن يقول أثر التّدبر:

(**أَلا تَرَوْنَ–رَحِمَكُمْ اللهُ–إِلَى مَوْلاكُمْ الْكَرِيمِ؛ كَيْفَ يَحُثُّ خَلْقَهُ عَلَى أَنْ يَتَدَبَّرُوا كَلامَهُ**): ومن تدبّر كلامه كيف سيخرج من النّفاق؟ عدوا معي بالتّرتيب لأنّ هذه ستكون خطّتكم **وأنتم تدرسون القرآن**:

الأمر الأوّل: (**وَمَنْ تَدَبَّرَ كَلامَهُ عَرَفَ الرَّبَّ –عزّ وجلّ– وَعَرَفَ عَظِيمَ سُلْطَانِهِ وَقُدْرَتِهِ**): كيف سيعرف الرّب من التّدبر؟ سيعرفه بأسمائه وصفاته وأفعاله وعظيم سلطانه وقدرته.

الأمر الثاني: (**وَعَرَفَ عَظِيمَ تَفَضُّلِهِ عَلَى الْمُؤمِنِينَ**): عرف عظيم تفضّله على المؤمنين من جهة أفعاله عمومًا وأفعاله مع المؤمنون خصوصًا، وحين تقرأ سورة الشّعراء تجد أنّه تسع مرات يكرّر قوله تعالى: {**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (8) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ**}.

تسع مرّات {الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ}.

- عزيز بمعنى أنّه –سبحانه وتعالى– قهر أعداء المؤمنين.
- رحيم بمعنى أنّه رحم المؤمنين.

فهو العزيز الرّحيم.

فترى مقدار تفضّله على المؤمنين بالشّرع، مقدار تفضّله على المؤمنين بالنّصرة، مقدار تفضّله على المؤمنين بالقرآن.

إذًا كأنّك ستدرس أمرين:

- الأمر الأوّل: ستعرف الله من القرآن.
- الأمر الثّاني: ستعرف محاسن الدّين.

الأمر الثّالث: (وَعَرَفَ مَا عَلَيْهِ مِنْ فَرْضِ عِبَادَتِهِ): إذًا عرف ثلاثة أمور الآن:

عرف الله عزّ وجلّ.

عرف تفضّله على المؤمنين بالدّين.

عرف ما فرض الله –عزّ وجلّ– عليه.

ماذا يفعل عندما يعرف؟ (فَأَلْزَمَ نَفْسَهُ الْوَاجِبَ، فَحَذِرَ مِمَّا حَذَّرَهُ مَوْلاهُ الْكَرِيْمُ، وَرَغِبَ فِيمَا رَغَّبَهُ فِيهِ): هذه النّتيجة، انظري ماذا سيحصل لمن هذه صفته عند تلاوة القرآن؟ **(وَمَنْ كَانَتْ هَذِهِ صِفَتُهُ عِنْدَ تِلاوَتِهِ لِلْقُرْآنِ كَانَ الْقُرْآنُ لَهُ شِفَاءً)** من أجل ذلك

عندما يقرأ العبد على نفسه ولا يجد أثرًا لا بدّ أن يعرف أنّ هناك مشكلة عنده فيما مضى؛ من أجل ذلك لم يكن القرآن له شفاءً، ومَن يقول لك: قرأت على نفسي في اللّيل قبل أن أنام ثمّ رأيت في نومي ما أكره وأحلام مزعجة! تعرف أنّه ما اتصف بالصّفات السّابقة في المعرفة ومن أجل ذلك لم ينفعه القرآن؛ لأنّه هدى ورحمة للمؤمنين، شفاء للمؤمنين؛ لذلك انظري في القصّة المشهورة عن الصّحابة لمّا رقوا المشرك فقام كأنّه نشط من عقال[1]! الإيمان الّذي حملوه أثّر على الكافر الّذي لا يحمله؛ ولذلك لا نشكّ فيما نعتقد أبدًا.

قال: (**فَاسْتَغْنَى بِلا مَالٍ، وَعَزَّ بِلا عَشِيرَةٍ، وأَنِسَ بِمَا يَسْتَوحِشُ مِنْهُ غَيْرُهُ، وَكَانَ هَمُّهُ عِنْدَ تِلاوَةِ السُّورَةِ إِذَا افْتَتَحَهَا: مَتَى أَتَّعِظُ بِمَا أَتْلُوهُ؟**):

هذه المرادات هي الّتي يظهر منها صدق الإنسان، فعندما يجد نفسه وكلّ همه: (متى ينتهي من الحفظ؟) وليس (متى ينتهي من الفهم؟) فمعناه أنّه لم يدخل في وصف هؤلاء الكُمّل الّذين ينتفعون من القرآن.

سنرى الآن كلام ابن مسعود وغيره ممّا يدلّ على ما مضى من كلام:

1. **روي عَنْ عَبْدِ اللهِ بنَ مَسْعُودٍ أنَّه قَالَ: (لا تَنْثُرُوهُ نَثْرَ الدَّقَلِ، وَلا تَهُذُّوهُ هَذَّ الشِّعْرِ، قِفُوا عِنْدَ عَجَائِبِهِ، وَحَرِّكُوا بِهِ الْقُلُوبَ، وَلا يَكُنْ هَمَّ أَحَدِكُمْ آخِرَ السُّورَةِ)[2].**
2. **روي عن الحسن البصري أنَّه قال: (اِلْزَمُوا كِتَابَ اللهِ، وَتَتَّبَعُوا مَا فِيهِ مِنْ الأَمْثَالِ، وَكُونُوا فِيهِ مِنْ أَهْلِ الْبَصَرِ. ثمّ قَالَ: (رَحِمَ اللهُ عَبْدًا عَرَضَ نَفْسَهُ، وَعَمْلَهُ عَلَى كِتَابِ اللهِ، فَإِنَّ وَافَقَ كِتَابَ اللهِ حَمِدَ اللهَ، وَسَأَلَهُ الزِّيَادَةَ، وَإِنْ خَالَفَ كِتَابَ اللهِ أَعْتَبَ نَفْسَهُ، وَرَجَعَ مِنْ قَرِيبٍ).**

(1) الحديث رواه البخاريّ في صحيحه (2276) وفيه: (انْطَلَقَ نَفَرٌ مِن أَصْحَابِ النّبِيّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ في سَفْرَةٍ سَافَرُوهَا، حتَّى نَزَلُوا علَى حَيٍّ مِن أَحْيَاءِ العَرَبِ، فَاسْتَضَافُوهُمْ فأبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمْ، فَلُدِغَ سَيِّدُ ذلكَ الحَيِّ، فَسَعَوْا له بكُلِّ شيءٍ لا يَنْفَعُهُ شيءٌ، فَقالَ بَعْضُهُمْ: لو أَتَيْتُمْ هَؤُلَاءِ الرَّهْطَ الّذينَ نَزَلُوا، لَعَلَّهُ أَنْ يَكونَ عِنْدَ بَعْضِهِمْ شيءٌ، فأتَوْهُمْ، فَقالوا: يا أَيُّهَا الرَّهْطُ إنَّ سَيِّدَنَا لُدِغَ، وَسَعَيْنَا له بكُلِّ شيءٍ لا يَنْفَعُهُ، فَهلْ عِنْدَ أَحَدٍ مِنكُم مِن شيءٍ؟ فَقالَ بَعْضُهُمْ: نَعَمْ، وَاللَّهِ إنِّي لَأَرْقِي، وَلَكِنْ وَاللَّهِ لَقَدِ اسْتَضَفْنَاكُمْ فَلَمْ تُضَيِّفُونَا، فَما أَنَا بِرَاقٍ لَكُمْ حتَّى تَجْعَلُوا لَنَا جُعْلًا، فَصَالَحُوهُمْ علَى قَطِيعٍ مِنَ الغَنَمِ، فَانْطَلَقَ يَتْفِلُ عليه، وَيَقْرَأُ: الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ فَكَأَنَّما نُشِطَ مِن عِقَالٍ).

(2) أخرجه أبو داود (1396)، صحّحه الألبانيّ.

3. **روي عَنْ أَبِي كِنَانَةَ: أَنَّ أَبَا مُوسَى الأَشْعَرِيَّ جَمَعَ الّذينَ قَرَؤوا الْقُرْآنَ، وَهُمْ قَرِيبٌ مِنْ ثَلاثِمَائَةٍ، فَعَظَّمَ الْقُرْآنَ، وَقَالَ: (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ كَائِنٌ لَكُمْ أَجْرًا، وَكَائِنٌ عَلَيْكُمْ وِزْرًا، فَاتَّبِعُوا الْقُرْآنَ، وَلا يَتَّبِعْكُمْ، فَإِنَّهُ مَنْ اِتَّبَعْ الْقُرْآنَ هَبَطَ بِهِ عَلَى رِيَاضِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ اتَّبَعَهُ الْقُرْآنُ زَخَّ بِهِ فِي قَفَاهُ، فَقَذَفَهُ فِي النَّارِ)**[1].

4. **وَرُوِيَ عَنْ الْحَسَنِ البصري أَنَّه قَالَ: (مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَعْلَمَ مَا هُوَ، فَلْيَعْرِضْ نَفْسَهَ عَلَى الْقُرْآنِ).**

5. **روي عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ عزّ وجلّ: {يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ}**[2] **قَالَ: يَعْمَلُونَ بِهِ حَقَّ عَمَلِهِ.**

6. **روي عَنْ عَطَاءٍ أَنَّه قَالَ: (إِنَّمَا الْقُرْآنُ عِبَرٌ، إِنَّمَا الْقُرْآنُ عِبَرٌ).**

الآن نفصّل:

روي عَنْ عَبْدِ اللهِ بنَ مَسْعُودٍ أَنَّه قَالَ: (لا تَنْثُرُوهُ نَثْرَ الدَّقَلِ –التّمر الرّديء– **وَلا تَهُذُّوهُ هَذَّ الشِّعْرِ، قِفُوا عِنْدَ عَجَائِبِهِ، وَحَرِّكُوا بِهِ الْقُلُوبَ** –إذا وجدت قلبك ما تحرّك تجاه الآية، قف هنا وافهم وافهم حتى يتحرّك قلبك بها– **وَلا يَكُنْ هَمَّ أَحَدِكُمْ آخِرَ السُّورَةِ).**

روي عن الحسن البصريّ أَنَّه قال: (اِلْزَمُوا كِتَابَ اللهِ، وَتَتَّبَعُوا مَا فِيهِ مِنْ الأَمْثَالِ، وَكُونُوا فِيهِ مِنْ أَهْلِ الْبَصَرِ–المقصود البصيرة–).

وأيضًا **قَالَ: (رَحِمَ اللهُ عَبْدًا عَرَضَ نَفْسَهُ، وَعَمْلَهُ عَلَى كِتَابِ اللهِ، فَإِنَّ وَافَقَ كِتَابَ اللهِ حَمِدَ اللهَ، وَسَأَلَهُ الزِّيَادَةَ، وَإِنْ خَالَفَ كِتَابَ اللهِ أَعْتَبَ نَفْسَهُ، وَرَجَعَ مِنْ قَرِيبٍ).**

نفس الكلام الّذي مرّ معنا.

---

(1) أخرجه الدارمي في مسنده وحسّنه.

(2) سورة البقرة: ١٢١.

وهذا كلام أبو موسى الأشعري: **وَقَالَ:** (**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ كَائِنٌ لَكُمْ أَجْرًا، وَكَائِنٌ عَلَيْكُمْ وِزْرًا**): إمّا يكون لكم أجرًا وإمّا يكون عليكم وزرًا.

- متى يكون لك أجر؟ إذا فهمت القرآن واتّبعته؛ لأنّ الله قال: {**إِنَّ الّذينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ**}[1].

- متى يكون عليك وزر؟ إذا أصبح كتاب الله أمام عينيك تحفظه وترتّله –للمسلمين كلّهم وخاصة من يجيد قراءته– وشاهدًا عليك يزجّك في النّار.

نرى كلام الحسن البصري أيضًا: (**مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَعْلَمَ مَا هُوَ، فَلِيَعْرِضْ نَفْسَهَ عَلَى الْقُرْآنِ**): هذه كلّها نصوص بنفس المعنى.

مجاهد يفسّر قوله تعالى: {**يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ**} **قَالَ:** (**يَعْمَلُونَ بِهِ حَقَّ عَمَلِهِ**): لأنّ هذا النّص دائمًا يُستشهد به في غير مكانه، أنتم تعرفون هذا النّص في سورة البقرة آية (121):

{**وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (120) الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ**} عن من تتكلّم الآية؟ عن اليهود والنّصارى، إنّ هناك قوم منهم يتّبعون الهوى، وقوم من أهل الإيمان. ما صفة أهل الإيمان؟ يتلون كتابهم حقّ تلاوته، أولئك القوم اليهود والنّصارى وقتما كانت كتبهم صحيحة، المؤمنون منهم كانوا يتّبعون كتابهم حقّ المتابعة.

قال: (**وَقَبْلَ أَنْ أَذْكُرَ أَخْلاقَ أَهْلِ الْقُرْآنِ، وَمَا يَنْبَغِي أَنْ يَتَأَدَّبُوا بِهِ؛ أَذْكُرُ فَضْلَ حَمَلَةِ الْقُرْآنِ، لِيَرْغَبُوا فِي تِلاوَتِهِ، وَالْعَمَلِ بِهِ، وَالتّواضع لِمَنْ تَعَلَّمُوا مِنْهُ، أَوْ عَلَّمُوهُ**): هنا قبل أن يذكر الأخلاق سيذكر فضل حملة القرآن ليرغبوا في تلاوته والعمل به.

(1) سورة فاطر:29.

إذًا هناك أربع أسباب لذكره فضل حملة القرآن، ما هي الأربع أسباب؟ يذكر الفضل لأنّ النّفس ربّنا خلقها عندما ترغّبها بفضل ترغب، فيقول:

1. (لِيَرْغَبُوا فِي تِلاوَتِهِ)

2. (وَالْعَمَلِ بِهِ)

ما العلاقة بين التّلاوة والعمل؟ سيقرأ، يفهم، يعمل، يتدبّر، هو يقول سأقول لكم فضل حملة القرآن من أجل أن ترغبوا في التّلاوة ثمّ يحصل منكم العمل.

3. (وَالتّواضع لِمَنْ تَعَلَّمُوا مِنْهُ، أَوْ عَلَّمُوهُ)

التّواضع تحته نقطتين:

- (وَالتّواضع لِمَنْ تَعَلَّمُوا مِنْهُ): أي: من شيخهم.
- (أَوْ عَلَّمُوهُ): طلّابهم.

لماذا يحصل التّواضع عندما أعرف الفضل؟ ما علاقة الفضل بحصول التّواضع؟! عندما تعرف فضل حملة القرآن سيحصل لك التّواضع لكن لماذا سيحصل التّواضع؟ كيف سيحصل التّواضع؟ بالعكس النّاس عندما يعرفون فضل الشّيء قد يصيبهم الكِبْر، وهو يقول: "لو علّمتكم الفضل ستتواضعون"، لو علّمتكم الفضل وليس لو تعلّمتم القرآن، نجعل هذا السؤال معلّق في أذهانكم بعدما نسمع الفضل، فنعطي أنفسنا فرصة عندما نسمع الفضل نقول:

كيف هذا الفضل يجعلنا نتلو ونعمل ونتواضع؟

سنقرأ الفضل وبعد كلّ دليل نذكر (كيف يجعلنا هذا الفضل نتحمّس للتّلاوة ونعمل ونتواضع؟).

بَابُ: فَضْلِ حَمَلَةِ القُرْآنِ

نبدأ أوّلًا بحديث أنس:

7. **روي عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ–صلّى الله عليه وسلّم–: (للهِ مِنْ النّاس أَهْلُونَ) وفي رواية:**

8. **(إِنَّ للهِ أَهْلِينَ مِنْ النّاس –أهلين: من أهل– قِيلَ: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: أَهْلُ الْقُرْآنِ هُمْ أَهْلُ اللهِ، وَخَاصَّتُهُ)**[1].

سيأتينا الآن السّؤال المهم: ما معنى أن يكون هناك أهل لله؟! هذه الكلمة عجيبة! كيف تكون أنت أهل لله؟! خصوصًا عندما نسمع نوح –عليه السّلام– وخطاب الله له يقول له عن ابنه: {**إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ**}[2] يعني ليس أهلًا أن يكون ابنك، تدور حول هذا المفهوم–مفهوم الاستحقاق–.

عندما تقولين: (أهل الله) وتأتين إلى الاستحقاق كيف سيكون المعنى؟ النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– يقول: (**للهِ مِنْ النّاس أَهْلُونَ**) مستحقّون لرحمة الله، مستحقّون لعطيّة الله، مستحقّون لمعيّة الله، مستحقون لأن يسمّوا عباد الله –عباد الله المصطفون وليس عباد الله على وجه العموم–سيكونون أهلًا لمجاورة الله يوم القيامة في أعالي الجنّات، مستحقون للدّرجات العلا.

والأهل غالبًا في استعمالنا نحن أقرب شيء للإنسان، و(**للهِ مِنْ النّاس أَهْلُونَ**) معناه أنّهم مستحقّون لأن يكونوا قريبين من الله ويكون الله –عزّ وجلّ– معهم، فهم المقرّبون الّذين نسمع عنهم في القرآن.

---

(1) أخرجه ابن ماجة (215)، وصحّحه الألبانيّ.

(2) سورة هود: 46.

وهذا يحتاج منّا أن نتأمّل في الشّيء الخطير الّذي يمكن أن يحصل للإنسان بالقرب والبعد، تصوّر عندما تكون في الأرض والله في السّماء ويقال لك: "أنت قريب من الله" أو –والعياذ بالله– عكسه يقال لك: "أنت بعيد عن الله، مطرود من عند باب الله"! فالأهل هو القريب، والملعون –نعوذ بالله– هو المطرود البعيد.

فمعنى ذلك أنّك تستطيعين أن تقابلي بين أهلين مطرودين أو ملعونون –والعياذ بالله– انظري كيف تخيفنا كلمة (اللّعن) لأنّ معناها: (الطّرد) يعني أنت بعيد. وبين السّعادة لكلمة الأهل، أن تكون من الأهلين، يعني تكون من القريبين ممّن يقرّبهم الله، وهذا أمر يصيب الإنسان بالدّهشة لو فهمناه كما ينبغي، في كونك عبد والنّاس يدفعونك وليس لك قيمة عندهم وتكون عند الله لك شأن عظيم! تكون من الأهلين، تكون من المقرّبين، هذا كلّه يحتاج منّا إلى تأمّل قبل أن نخوض هذا الباب، قبل أن تتكلّم عن الحفظ ونركز عليه. لا بدّ أن تشعر بقدسيّة ما ستحفظ، لا بدّ أن تشعر بقدسيّة ما ستُقدم عليه، إنّك عندما تريد أن تحفظ، تطرق باب الله تقول: أريد أن أقترب، واقترابي إنّما هو لحفظ كتابك، اقترابي بأن أكون من أهل القرآن، وسنتّفق بعد ذلك على معنى أهل القرآن، هل سيكونون حفّاظًا أو غير ذلك؟

المقصد **من طرق باب القرآن طرق باب الله وطلب من الله أن يقترب**، وكلّ هذه المعاني ستأتي بعد القرب، يكفيك أن تكون قريبًا من الله، يكون معك، يؤيّدك، ينصرك، يحفظك، يرشدك، إلى أن تتوصّل إلى المعنى العظيم الموجود في الحديث القدسيّ الّذي فيه أنّ الله –عزّ وجلّ– قال: (**وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَ مَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الّذي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الّذي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الّتي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الّتي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ**)[1] إلى أن نصل إلى كلمة مهمة جدًا وهي أنّ هذا سيكون اسمه عند الله (وليّ الله).

- فالأهلين ستبتدئ بطلب القرب.
- وتنتهي بأن يكون الله سمعك الّذي تسمع به وبصرك الّذي تبصر به.

(1) رواه البخاريّ (6502).

ولذلك مسؤولية عظيمة جدًّا أن تقول: أنا أريد أن أكون من أهل القرآن، ليس بالأمر اليسير، ليس بابًا مفتوحًا فتلجه، بل لا بدّ أن تكون صادقًا في هذه الإرادة، صادقًا في أنّك لا تريد إلّا أن تقترب، لأنّك إذا تقرّبت إلى الله أحبّك، وإذا أحبّك كان اسمك (وليّ الله)، وعلى ذلك تفهم المعنى الحقيقيّ لمعنى (ولي) ليس مثلما يتداوله النّاس للأسف الشديد في العالم الإسلامي في مسألة الأولياء ويجعلون الأولياء قاطعًا بينهم وبين الله! أو يذهبون إلى قبورهم ويتمسّحون بهم ويطلبونهم! لا، ليس هؤلاء الأولياء، الأولياء حقًّا من ستعرف صفتهم من هنا، وهؤلاء الأولياء غالبهم أخفياء، ومن يقول لك: (أنا وليّ وتعال عندي كرامات) فهذا مجرّد كونه يصرّح بهذا فقد خرج من الولاية؛ لأنّ الولاية صاحبها غالبًا شديد الانكسار بين يدي الله، عنده ذلّ شديد، يتعلّم من ربّنا ويعرف حقيقة نفسه وكلّما عصته نفسه كسرها.

من هنا تستطيعون أن تأتوا بجواب سؤال يقول: **كيف تأتي معرفتك للفضل بالتّواضع؟!**

عندما يعرف الإنسان أنّه ما حصّل شيء بنفسه وأنّ الله –عزّ وجلّ– لمّا طرقتَ بابه أعطاك، فمعناها أنّه ليس هناك مجالًا أبدًا لأن تقول: حفظت ودرست وعلمت، إنّما ستقول: أنا اقتربت شبرًا وربّنا تقرب إليّ ذراعًا، فتفهم، وتصبح منكسرًا بين يدي الله.

الآن، **كيف يصبح الإنسان أهلًا للقرآن؟**

نحن سنستعمل نفس الكلام؛ سنحلّل كلمة (أهل) واتّفقنا في التّحليل السّابق أنّ كلمة (أهل) فيها ثلاث كلمات:

- أوّلًا: الاستحقاق، تكون مستحقّ لأن تُنسب للقرآن.
- ثانيًا: القرب، تكون قريب منه لا تهجره، لا تنقطع عنه.
- ثالثًا: المحبّة، تشعر أنّك تشتاق لأن تقرأ وتكرّر، وهذه المشاعر يناقضها الملل، أي أحد يشعر بالملل فهذا مؤشّر –لن أقول: لعدم المحبّة–لضعف الإيمان.

قال:

9. **روي عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو عَنْ النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم–قَالَ: (يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: اقْرَأْ، وَارْقَ فِي الدَّرَجَاتِ، وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدّنيا، فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا)**[1].

هذا حديث عبد الله ابن عمرو، الحديث الأول حديث أنس ابن مالك، لا بدّ أن تحفظوا الرّاوي الأعلى، لسبب أنّ نفس الحديث يأتي بروايات متعدّدة، الرّاوي الأعلى فيها مختلف، فأحيانًا تقرئين في مكان يقول لك: (حديث ضعيف) ويكون الفرق في الرّاوي الأعلى، من يقول عنه حديث ضعيف يكون ليس للمتن إنّما لهذا الطّريق للحديث.

نأتي لرواية عبد الله ابن عمر: (عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو عَنْ النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم–قَالَ: (يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ):

في الجملة الأولى ما اسمه؟ (صاحب القرآن) وهناك كان اسمه (أهل القرآن).

هذه الكلمات مهمة جدًا، لا بدّ أن تفهمها بعمق من أجل أن تضع نفسك في المكان المناسب وأنت تسأل نفسك: هل أنا من أهل القرآن؟! هل أنا صاحب القرآن؟! بهذه الطّريقة؛ من أجل أن لا نكلّم النّاس عن الفضل وتعالوا ومن يحفظ القرآن يكون من أهل الله وخاصّته وهو لا يفهم أنّه ليس "من يحفظ" إنّما من يكون "أهل القرآن"، يعني يستحقّ أن يُنسب إلي القرآن، يحبّ القرآن، قريب من القرآن، فلا تظن أنّك أتيت عند باب القرآن وأنت قد أُغلق عليك!! لأنّ الإنسان ممكن أن يحفظ وهو خارج باب القرآن، خارج أن يكون من أهل القرآن؛ تصوّروا هذه القاعة وتصوّروا النّاس عند الباب، بهذا المكبّر والباب مغلق ممكن أن يكون هناك من يسمعنا في الخارج وممكن لو عنده قدرة على الحفظ يحفظ، هل نعتبره من أهل الوفد؟! أو من أهل الدرس وهو في الخارج؟! لا، تخيّلي أنّ القرآن له أهل، وهناك ناس في خارجه اشتركوا مع أهله في الحفظ لكن هم موصد عليهم الباب وهم في خارج المسألة، ليسوا أهلًا له، لا قرب ولا محبّة ولا يستحقّ أن ينسب للقرآن.

(1) أخرجه أبو داود: (1464)، وصحّحه الألبانيّ.

فيجب على كلٍّ منَّا أن يميّز نفسه ولا يضحك على نفسه، لا يكون واقف خارج دار القرآن وهو يعتقد نفسه داخلها، فهذا الشّيء مهم جدًا انتبهي لهذه الألفاظ، فإذا رغّبتم أحدًا في طريق القرآن رغّبوه بالطّريقة الصّحيحة، نحن لا يفيدنا أن يكون هناك أعداد أكثر نحن يفيدنا أن يكون هناك قلوب أكثر، نحن نحتاج قلوب أكثر، الحفظ نفسه معتمد على عطيّة الله في الذاكرة، أنتم تعرفون أنّ المستشرقين حفظوا القرآن وتعلّموا السّنّة وقد فنّدوا ووضعوا وهم ليسوا من أهله!! لا تتصوّر أنّ هذا الشّيء المشترك، لا بدّ أن يكون (أهل القرآن) صاحب له معنى خاص.

ما معنى (صاحب)؟ (ملازم) الملازمة في الصّحبة الموافقة، الحب، عدم الهجر، الحرص، التأثّر به.

سنختار من معاني (صاحب) خمس كلمات وعليها ندور.

- الملازم، صاحب القرآن ملازم للقرآن.

- الموافق، صاحب القرآن لا يخالف القرآن إنّما يوافقه.

- المتأثّر، صاحب القرآن تجده عندما يسمع الآيات يفهمها، يكون تأثّره واضح، يتأثّر به عندما يسمع كأنّه يجيب على أسئلته، كأنّه يقوده.

- الحريص، صاحب القرآن حريص على تعلّمه، على فهمه، حريص على أن يتمثّله في حياته، حريص على أن يتكلّم بكلماته ويشعر بالفخر لأنّ كلمات القرآن تصبح على لسانه، ليس كما يفتخر النّاس باللّغات الأخرى، إنّما فخره أن يكون لسانه عربيّ.

- الحبيب.

إذًا صاحب القرآن ليس الّذي حفظ حروفه وليس في قلبه ملازمة ولا في قلبه تأثّرًا، ولا حرصًا ولا حبًا، ثمّ يقول: أنا حافظ!

إذًا عرفنا الآن من هو صاحب القرآن، ما الفضل الّذي تُفضِّل به عليه؟ يقال لهذا صاحب القرآن يوم القيامة: (**اقرأ**) لاحظوا أنّه يوم القيامة، معناه أنّ الدّنيا دار عمل، والآخرة دار جزاء، فكيف يوم القيامة يقال له: (**اقرأ**) وليس هناك عمل وقد انتهت التّكاليف؟! هذه قراءة من نوع آخر، هذه كالجائزة له، تكريمًا له، هذا من باب التّشريف والنّعيم، يعني هو نعيم لأصحابه في الدّنيا ويُنعَم عليهم في الآخرة به، وأيضًا سيرتبط به الجزاء، هذا من النّعيم.

وهناك جزاء أخر: (**اقْرَأْ، وَارْقَ فِي الدَّرَجَات**): المقصود درجات الجنّة، وقد ورد أثرًا ولكنّه ليس صحيحًا لكن يستضاء به استضاءه، عن عائشة –رضي الله عنها– أنّ درجات الجنّة على عدد آي القرآن فكلّ من قرأ آية ارتفع درجة. إذًا كيف الرُّقي؟ كأنّه يقال: اعلَ على حسب قرائتك، **ما معنى على حسب قرائتك؟** يأتي كلام العلماء؛ ذكر بعض شرّاح الحديث أنّ القراءة تكون يوم القيامة على حسب يقين العبد بالآيات، علمه وتصديقه، على حسب يقينه بالآيات يكون ارتقاؤه، إلى درجة أنّ بعض العلماء قرّر أنّ ما تيقّن به تذكّره ولو لم يحفظه وما لم يتيقّن به ينساه ولو كان حافظًا له! يبتدئ اليقين بالفهم والاعتقاد الجازم، يعني لو كنت حافظًا للآيات ومتيقّنًا بها ستقرؤها، ولو كنت لا تحفظ الآيات لكن متيقّن بمعناها ستقرؤها! عطيّة من الله.

(**وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدّنيا**): هذا معناه أنّ وصفه في الدّنيا كان يرتّل، وهنا يظهر أنّه لا يشترط الحفظ؛ لأنّ كلمة "التّرتيل" نستعملها على النّظر وعلى الغيب، (**الترتيل هو القراءة الصحيحة من غير لحن جلي مع فهم المعاني**)، لا بدّ من فهم المعاني لأنّ الله قال لنبيّه: {وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا}[1] يعني أمر النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– أن يقرأ قراءة صحيحة مع فهم المعاني.

(**فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا**): كأنّه يقال: منزلتك عند آخر آية قرأتها فزادتك يقينًا، منزلتك على حسب درجة يقينك فأين أنت من اليقين.

لكي تفهموا اليقين، استحضروا سورة الفيل؟ {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ}[1] اليقين هنا ماذا يحتاج؟ اليقين يدور حول {كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ} اليقين كلّه في التّفكير حول فعل الله، يدلّ على القوّة، القدرة، العزّة، تفكّر كيف فعل ربّنا بهؤلاء، لا تفكّر في هؤلاء ولا تفكّر في الفيل إنّما فكّر في فعل الله، يدلّك على أيّ شيء فعل الله فتجر المعاني.

(1) سورة المزّمل: 4.

تبيَّن لنا أنّ منزلته في الجنّة عند آخر آية يقرؤها في الدّنيا ويتيقّن بها ويتذكّرها في الآخرة.

انتهينا من هذا الحديث وننتقل إلى الحديث الّذي بعده:

قال:

10. **روي عَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ–صلّى الله عليه وسلّم–: (تَعَلَّمُوا هَذَا الْقُرْآنَ، وَاتلُوهُ، فَإِنَّكُمْ تُؤْجَرُونَ عَلَى تِلاوَتِهِ بِكُلِّ حَرْفٍ عَشْرَ حَسَنَاتٍ، أَمَا إِنِّي لا أَقُولُ الم عَشْرَ، وَلَكِنْ الأَلَفَ عَشْرَ وَاللامَ عَشْرَ، وَالْمِيمَ عَشْرَ، إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ النُّورُ الْمُبِينُ، وَالشِّفَاءُ النَّافِعُ، وَنَجَاةٌ لِمَنْ اتَّبَعَهُ، وَعِصْمَةٌ لِمَنْ تَمَسَّكَ بِهِ، لا يَعْوَجُّ فَيُقَوَّمُ، وَلا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ، وَلا يَخْلَقُ عَنْ كَثْرَةِ الرَّدِّ)**[2]".

لا زلنا نتكلّم عن فضل القرآن، لا تنسوا أنّه أورد هذا الحديث من أجل أن يقول **فضل حملته** من أجل أن **يرغبوا في تلاوته والعمل به والتّواضع لمن تعلموا منه أو علّموه.**

- عندما تقرئين الحديث الأول تعرفين أنّ فضل قراءة القرآن أن يكون الإنسان من أهل القرآن.
- عندما تقرئين الحديث الثاني تعرفين أن قارئ القرآن يقال له: صاحب القرآن ثمّ يقال له: ارق.

فسيرغب الإنسان في التّلاوة، ويرغب في العمل، وعندما يكون صاحب القرآن ويحبّ القرآن ويوافق القرآن، والقرآن أمره بالتّواضع سيصبح متواضعًا لمن علّمه.

---

(1) سورة الفيل: 1.

(2) أخرجه الحاكم (555/1)، وضعّفه الألبانيّ.

نأتي للحديث التّالي؛ هذا الحديث لا بأس به في السّند، من المتابعات:

(**تَعَلَّمُوا هَذَا الْقُرْآنَ**): إذًا هذا فعل أمر، النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- يأمرنا بتعلّم القرآن.

(**وَاتلُوهُ**): تعلَّموه واتلوه.

(**فَإِنَّكُمْ تُؤْجَرُونَ عَلَى تِلاوَتِهِ**): التّرغيب في الأجر.

(**بِكُلِّ حَرْفٍ عَشْرَ حَسَنَاتٍ**): هذا من أجل أن يزيد الإنسان رغبة، ثمّ يبيّن لنا ما هو الحرف:

(**أَمَا إِنِّي لا أَقُولُ الم عَشْرَ، وَلَكِنْ الأَلَفَ عَشْرَ وَاللامَ عَشْرَ، وَالْمِيمَ عَشْرَ**): وأيضًا مما يُرغّبكم في ذلك ما يأتي بعده:

(**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ النُّورُ الْمُبِينُ، وَالشِّفَاءُ النَّافِعُ، وَنَجَاةٌ لِمَنْ اتَّبَعَهُ، وَعِصْمَةٌ لِمَنْ تَمَسَّكَ بِهِ، لا يَعْوَجُّ فَيُقَوَّمُ، وَلا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ، وَلا يَخْلَقُ عَنْ كَثْرَةِ الرَّدِّ**): سنصف الآن حالنا وحال القرآن من أجل أن نعرف كيف سترغّبنا هذه الكلمات في قراءة القرآن وحفظه.

الحالة الأولى:

أنّنا مسافرون إلى ربّنا في ظلمة، في اللّيل، ماذا نحتاج؟ سنحتاج النّور. والقرآن هو النّور المبين.

ولكي تتخيَّلوا هذا المعنى تصوَّروا حالنا في هذه القاعة وانطفأت الأنوار، وتريدون أن تخرجوا وضروري أن تخرجوا!! فالّذي سيحصل مادام ليس معنا نور سنتخبّط!! وهكذا بالضّبط صورة الحياة، ليس معك نور وأنت سائر في زحام والطّريق المستقيم الّذي يخرجك من الحياة، من الأزمة، غير واضح المعالم، وأنت تحتاج النّور من أجل أن ترى الطّريق المستقيم، فالقرآن بالنّسبة لك صورته النّور المبين للسّائر إلى ربّه وصفة الطّريق: الظّلمة، هكذا جعل ربّنا الحياة فيها ظلمة وأرسل لك النّور والمفترض أن لا تفرّط فيه، بل تتمسّك به.

- إذًا حالنا مسافرون في ظلمة.

- وسيكون حال القرآن النّور المبين.

الحالة الثانية:

أنّ قلوبنا مريضة –قبل أن نتكلّم عن أبداننا– ولا يحتاج أن نشخّص، قلوبنا مريضة، سنقول إنّنا في مواقف تأتينا عصرة الحسد، في مواقف يأتينا ذلّ الكبر على الناس...إلى آخره من الأمراض، ونحن نعرف هذا الشّيء فمن يضع يده على قلبه ويتحسّس يعرف، حتّى أنّنا أحيانًا نكون في مجلس الطّلب لا نسأل إلّا من أجل أن (اسمعوني أنا موجود)! فتظهر أمراض القلب.

- فالمقصد أن نفهم أنّ حالتنا مرضى.

- والعلاج: القرآن. هو الشّفاء النّافع.

الحالة الثالثة:

كأنّنا في بحر لجّي، شديد الأمواج، شديد الظّلمة، ماذا يحصل لك؟! يمُد إليك الحبل، هناك أوصاف للقرآن فيها أنّه حبل الله، من اعتصم به نجّاه، فهو نجاة لمن اتّبعه وعصمة لمن تمسّك به.

انتهينا من الثّلاث أوصاف حالنا وحال القرآن.

قال: (**لا يَعْوَجُّ فَيُقَوَّمُ، وَلا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ، وَلا يَخْلَقُ عَنْ كَثْرَةِ الرَّدِّ**): هذه ثلاث صفات تُهذّب من يتعامل معه:

- الصّفة الأولى: (**لا يَعْوَجُّ فَيُقَوَّمُ**): يعني على مدى الزّمان هو الطّريق القويم والنّاس هم المعوجّين عنه.

نقرّب المسألة لتتصوروا؛ الآن تأتي بعض الأحيان نظريّات تقول لك: أنت تفهم خطأ كذا وكذا من الظّواهر -أي ظاهرة من الظواهر الّتي تأتيك من الاكتشافات في الشّرق والغرب- وليس مثلما يقول القرآن! أنت ماذا تفعلين؟! ألقِها وراء ظهرك، وانتهى الموضوع، يقولون: الإثباتات العلميّة؟! نقول: الإثباتات العلمية عند أهلها، أنا بالنّسبة لي القرآن لا يعوجّ فيقوّم، ولا تلوِ عنق النّصوص ولا تلفّ ولا تدور، الله يقول عن الشّمس -وهذا الموضوع انتهى لكن سأضربه مثالًا- في سورة الكهف، وقد أسند الفعل لها: {وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَ إِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ}[1] من الفاعل؟ الشّمس، إذًا هي الّتي تتحرك، هم يقولون لكِ: هي ثابتة! ما علينا من كلامهم، الله قال عنها هي الّتي تفعل إذًا نحن نعتقد أنّها تفعل، وانتهى الموضوع. ثمّ سأفترض جدلًا، أنّهم يقولون إنّ ما قالوه صحيح، نقول: لو ظهر أنّ ما قالوه صحيح وما أقوله أنا خطأ فأنا لست خاسرة، لكن لو ظهر أنّ ما تقوله خطأ وما أقوله صحيح وأنا اتّبعتك في ذلك، فسأصبح أنا خاسرة، لماذا؟ لأنّي خالفت كتاب الله -عزّ وجلّ- لكن لو خالفتك فأنت لا تضرّني فكن على ما أنت عليه وأكون على ما أنا عليه!

إذًا هذا الكلام الفصل، لن نخالف كتابنا، ثمّ إنّك ستعيش حياة طيّبة سواء كانت الشّمس تتحرّك أو الأرض هي الّتي تتحرّك، فلا عليك بقولهم!

ولا يعني هذا أنّنا نريد مشاعر الرّفض تجاه كلّ شيء يأتينا، لا، ليس هذا الّذي نريده، وها نحن نستخدم كلّ الأجهزة الّتي تأتي من عندهم، هم بالنّسبة لنا كالخدم يسهّلون علينا شأن الدّنيا ونحن نغتنم ما خدمونا به من أجل الآخرة، فالحمد لله نحن رابحون في كلّ الأحوال، لكن أقصد أيّ حصول لمعارضة ولو طفيفة في كون أنّي أتكلّم بما أعرف من القرآن أو بما يقولونه، مباشرة بدون مناقشة أقول: هذا القرآن لا يُعوَّج فيُقوَّم ولا يمرُّ على خاطري ولا أعرض كلامهم على كتاب الله ولا أحاول أن أستشهد لكلامهم من كتاب الله!!

أقول لكم هذا الكلام لأنّه كم انزلقت أقدام في هذه المسألة، واعلم أنّ **المؤمن يختبر في الدّنيا بتصديق كلام ربّه، ولا يحاسب على تصديق كلام الخلق**، فأنت اختبارك في شيء واحد: هذا الكتاب الّذي أتاك ما موقفك منه؟ فاتركوا عنكم أي كلام لأنّ الدخول في أيّ شيء من هذه الأشياء لا تظنّه هو الّذي يربحك، بل هذه مزلّة قدم دخلها قوم وظنُّوا أنّهم سيعينون أهل الإسلام على الإسلام

(1) سورة الكهف: 17.

فأضلّوهم، ضلُّوا هم وأضلُّوا، فاكتفِ واغتنِ، إنّ الله يغنيكم بالإسلام، وكما قال رسول الله: (**إِنَّ اللهَ يُنْعِشُكُمْ بِالإِسْلَامِ**)[1] (ينعشكم) بمعنى: يرفعكم بالإسلام، يكفيك الإسلام، الواقع يقول إنّ أهل الإسلام متأخّرون؟! اسمع هذه سنّة الله أن يُختبر الحقّ فتمسّك به لأنّ انتصار الحقّ ليس فقط الانتصار المادّي إنّما انتصار الحق بأن يكون هناك متمسّكون به، انظري حين تجدين أحدًا متمسّكًا بالحقّ، معناه أنّه حقّ لكن عندما تجد كثيرًا من الأفكار تذوب وتنتهي تعرف أنّها باطلة ووصلت إلى النهاية، ويكفي لنا أنّ كثير منكم أكيد عنده معلومات عن الشّيوعيّة وعن ما حصل لها وكيف ارتفعت وانتشت وصارت شيء ثمّ لا شيء! واليوم ليس هناك إلّا المسبّة واللّعن عليهم، وهذا الباطل ينتشي لكنّه لا شيء والحقّ باقٍ، ولو قرأتم في القرن السّابع ماذا حصل للمسلمين؟ ابن الأثير يقول -لمّا كان يكتب في القرن السّابع- : (فمَن الّذي يسهل عليه أن يكتب نعي الإسلام؟) يعني وصل لمشاعر أنّ الإسلام انتهى ثمّ أعاده الله لأنّ هذا هو الحقّ، أنت لا يضرّك هذا الكلام ولا تتعامل مع الدّين بنظرة الهزيمة، لا بدّ أن تكون معتزًّا، هذا القرآن لا يُعوَّج فيقوَّم هذه هي المشاعر وما يعرضونه أنا أصلًا لست مختبرة فيه، إذًا لا يهمني وليس لي علاقة به.

قال: (**وَلا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ**): ليس المقصود فقط أن تبحثوا في الدّنيا عن أشياء فيها عجائب، ولا أريد منكم أن تذهبوا عند الإعجاز، قبل أن تذهبوا عند الإعجاز، وأنتم في حلقات التّحفيظ وتحفظون وبعيدين تمامًا عن أي مداخلات خارجيّة، اقرؤوا الآيات وافهموها وتكونوا بذلك ازددتم إيمانًا، وغدًا تقرؤونها فتفاجؤون أنّكم فهمتم معنى غير هذا الّذي قرأتموه أمس! فلا تنقضي عجائبه.

(**وَلا يَخْلَقُ عَنْ كَثْرَةِ الرَّدِّ**): أكيد واضح أنّ مثل هذا الكتاب العظيم مهما أعدتموه لا يحصل عندكم ملل ولا تجدون مشاعر أنّه قديم.

ننهي آخر نصّ في الباب، قال:

(1) أخرجه البخاريّ (7271).

11. **روي عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أنَّه قَالَ: (مَنْ جَمَعَ القرآن، فَقَدْ حَمَلَ أَمْرًا عَظِيمًا، لَقَدْ أُدْرِجَتْ النُّبُوَّةُ بَيْنَ كَتِفَيّهِ، غَيْرَ أَنَّهُ لا يُوحَي إِلَيْهِ، فَلا يَنْبَغِي لِحَامِلِ الْقُرْآنِ أَنْ يَجْتَدَّ مَعَ مَنْ يَجْتَدُّ، وَلا يَجْهَلُ مَعَ مَنْ يَجْهَلُ؛ لأن الْقُرْآنَ فِي جَوْفِهِ.)"[1]

هذا كلام عبد الله ابن عمرو ابن العاص، هذا ليس كلام الرّسول –صلّى الله عليه وسلّم– إنّما كلام الصحابيّ، في الكلام هناك ثلاث أمور نريد أن نبرزها:

1. (**مَنْ جَمَعَ القرآن، فَقَدْ حَمَلَ أَمْرًا عَظِيمًا**): جمع القرآن يقصد هنا حفظه، حفظه لفظًا وفهمه معنىً.

2. (**لَقَدْ أُدْرِجَتْ النُّبُوَّةُ بَيْنَ كَتِفَيّهِ**) هذا القرآن إنّما ميراث الأنبياء فيُقال لك: أنت الوريث فماذا وَرِثت وأين ستضع الوراثة؟!

أمّا ماذا ورثت؟ فقد وَرِثتَ العلم بالقرآن.

أين مكان الوراثة؟! قال تعالى: {**بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الّذينَ أُوتُوا الْعِلْمَ**}[2] فهذا مكان الوراثة؛ ولذلك قال: (بين كتفيه) قلبك أين هو؟ عندما يُصَبّ الميراث على النّاس يَمدّون أيديهم من أجل أن يأخذوه، سواء كان نقدًا يصب في أيديهم أو يعطونهم شيكًا في النّهاية يمدّون أيديهم ليأخذوا الميراث، وأنت عندما تريد أن تأخذ الميراث تُمدّ قلبك، تخلّي قلبك من الشّواغل من أجل أن يأتيك.

لو تريدون أن تذهبوا فتأخذوا ميراثكم الماديّ وقالوا لكم: (هاتوا شيئًا تحملون فيه الميراث) وعلى قدر سعة الشّيء الّذي ستضعون فيه على قدر ما يوضع لكم فيه، فستأخذي أكبر شيء. ثمّ هل ستفرغينه أو تأتي به مليء بالأشياء؟! ستفرّغينه وستأتين به، ويكون في قلبكم شوقًا للميراث، **إذًا لا تأتِ مجلس الطّلب إلّا وقد وسّعْتَ قلبك بإخراج الدّنيا**، وأنت مشتاق لأنّك ستجد كنزًا، وربّما

(1) أخرجه الحاكم (552/1).

(2) سورة العنكبوت: 49.

مرّ عليكم كثيرًا حديث أبو هريرة -رضي الله عنه- لمّا خرج بعد موت النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- للسوق ثمّ خاطبهم خطابًا شديدًا قال لهم: أين أنتم؟ أنتم تجلسون هنا وميراث النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- يقسّم في المسجد!! فتركوا تجارتهم وأتوا يهرولون، دخلوا المسجد ولم يجدوا إلّا قرّاءً للقرآن، فعادوا له وسألوه: أين ميراث النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- ؟ قال لهم: هذه آيات القرآن تُتلى، هذه أحاديث النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- تُسمع، هذا هو الميراث، فكونك تفهم هذا الشّيء معناه أنّك ستأتي مشتاقًا لأنّك سترث، وهذه وراثة حقيقية، وأيضًا نأتي بالإناء الّذي سنحمل فيه، فتأتي بدون إناء ليس له فائدة! تأتي بإناء ضيّق ليس له فائدة! تأتي والإناء محشي بأشياء ليس له فائد!! وأيضًا يجب أن يكون الإناء نظيفًا من أجل أن لا تشوب الميراث الشّوائب.

وفي النّهاية يقول الجملة الّتي بعدها:

3. (**غَيْرَ أَنَّهُ لا يُوحَي إِلَيْهِ**): فهمنا أنّنا نتكلّم عن الميراث الآن، وأنّه في صدور الّذين أوتوا العلم. فهذا الميراث في صدور الّذين أوتوا العلم لهذا قال: (**لَقَدْ أُدْرِجَتْ النُّبُوَّةُ بَيْنَ كَتِفَيّهِ، غَيْرَ أَنَّهُ لا يُوحَي إِلَيْهِ**).

ثمّ قال: (**فَلا يَنْبَغِي لِحَامِلِ الْقُرْآنِ أَنْ يَحْتَدَّ مَعَ مَنْ يَحْتَدُّ، وَلا يَجْهَلُ مَعَ مَنْ يَجْهَلُ؛ لأنّ الْقُرْآنَ فِي جَوْفِهِ**.): ما معنى يحتدُّ؟ هذه من الحِدَّة، نحن نعبّر عنه (بالعصبيَّة).

(**وَلا يَجْهَلُ مَعَ مَنْ يَجْهَلُ**): أي: لا يُخْض، الجهل هنا بمعنى أنّهم يَعتَدُون عليك فأنت تعتدِي عليهم؛ من أجل ذلك عندما تخرجين من البيت تقولين: (**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَضِلَّ أَوْ أُضَلَّ، أَوْ أَزِلَّ أَوْ أُزَلَّ، أَوْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ، أَوْ أَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ**)[1] أي: أعتدي على أحد أو أحد يعتدي عليّ، لكن هو علّل هذا فقال: (**لأَنَّ الْقُرْآنَ فِي جَوْفِهِ**): نريد أن نفهم هذا التّعليل، قال تعالى: {**وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ**}[2] هو علّل أنّه لا يحتدّ ولا يجهل لأنّ القرآن في جوفه. القلوب أصلًا تحتدّ وتجهل بسبب تصوّرها حقيقة الحياة أو عدم تصوّرها، يعني أنت عندما يأتي أحد يجلس مكانك وأنت في قلبك القرآن وتعرف أنّ الله -عزّ وجلّ- هو الرّزاق، وأنّ كل شيء حولك بالتّفصيل رزق فتطمئن، تقول: حسنًا، لو كان هذا المكان خيرًا لي وكان مقسومًا لي لكنت أخذته، ولكان بقي

(1) أخرجه أبو داود (5094)، وصحّحه الألبانيّ.

(2) سورة الأعراف: 199.

لي، وسيُحفظ لي، معناها أنّ مَن في جوفه القرآن تُصوّر له حقيقة الدّنيا، فإذا صوَّرت له حقيقة الدّنيا استطاع أن ينفعل كما ينبغي، بمعنى أنّه عندما يأتي على شأن الدّنيا يكون ليس غاضبًا، شأن الدّنيا يسير في نظره، ويجمع غضبه وشدّته على انتهاك حرمات الله، يجمع غضبه وشدّته على شيء يتّصل بشأن آخرته وفسادها.

أصل المسألة أنّ الّذي في جوفه القرآن صحّ تصوّره عن الحياة فصَحّ انفعاله مع الأحداث؛ ولذلك تصرّفاتنا فرع من تصوّراتنا للحقائق، فالقرآن ماذا يعدِّل فيك؟ التّصوّر، نفس تصوّرنا يتغيّر، تصوّرنا عن الحياة يتغيّر، أي: تفكيرنا، تفهمين أنّ الحياة ابتلاء، لا بدّ أن يأتيك ابتلاء يُخرج ما في قلبك، وأنّ الله -عزّ وجلّ- لا بدّ أن يخرج أضغانك، وحين يُخرج الله أضغانك، إذا كنت صادقًا ستعالجها وإذا كنت كاذبًا ستتركها وتدفنها وتتعذّر لها، **إذًا لا تحتدّ مع مَن يحتدّ ولا تجهل مع مَن يجهل لأنّ القرآن في جوفك، قد عدّل تصوّرك فحسّنَ تصرّفك، وحسّن انفعالك.**

النّص الأخير الأثر الّذي نقله عن عبد الله ابن عمرو ابن العاص أين التّواضع في كلامه؟ أنه لا يحتدّ، لا يجهل، وسيتبيَّن لنا أن من يحمل القرآن لا يرى أن له حقوقًا بالعكس، يرى أن عليه حقوق.

الآن نتدارس باب فضل من تعلّم القرآن وعلّمه:

بَابُ: فَضْلِ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ

12. **(عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ-رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، قَالَ شُعْبَةَ: قُلْتُ لَهُ: عَنْ النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم-، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: (خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، وَعَلَّمَهُ)**[1] .

قَالَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ: فَذَلِكَ أَقْعَدَنِي مَقْعَدِي هَذَا، فَكَانَ يُعَلِّمُ مِنْ خِلافَةِ عُثْمَانَ إِلَى إِمْرَةِ الْحَجَّاجِ.

(1) أخرجه أحمد (1317)، وصحّحه أحمد شاكر.

13. **رُوي عَنْ عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ يَقُولُ: خَرَجَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللهِ–صلّى الله عليه وسلّم–وَنَحْنُ فِي الصُّفَّةِ فَقَالَ: (أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ إِلَى بُطْحَانَ أَوْ الْعَقِيقِ، فَيَأْتِيَ كُلَّ يَوْمٍ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ زَهْرَاوَيْنِ، فَيَأْخُذَهُمَا فِي غَيْرِ إِثْمٍ، وَلا قَطْعِ رَحِمٍ) قَالَ: قُلْنَا: كُلُّنَا يَا رَسُولَ اللهِ يُحِبُّ ذَلِكَ، قَالَ: (فَلأَنْ يَغْدُوَ أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَيَتَعَلَّمَ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ، وَ ثَلاثٌ خَيْرٌ مِنْ ثَلاثٍ، وَ أَرْبَعٌ خَيْرٌ مِنْ أَرْبَعٍ، وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنْ الإِبِلِ)**[1] .

بسم الله

سيتكلّم عن فضل من تعلّم القرآن وعلّمه، **يعني** الاجتهاد في أن تتعلَّم وفي أن تُعلِّم، وأكيد أنّك لن تصل أن تُعلِّم إلّا إذا حصل لك أن تعلَّمت.

سنأتي إلى النّص الأول ونرى أين هو الفضل:

قَالَ: (خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، وَعَلَّمَهُ): أين الكلمة الّتي تدل على الفضل؟ **(خَيْرُكُمْ)** كلمة تدل على فضل التّعلّم والتّعليم، إذًا سنبحث في كلمة (خيركُم)، سنحلّلها لنرى أين منزلتنا:

أوّلًا هذه الخيريّة على مستوى أي شيء؟ أي (خيركم) (خير مَن؟) المؤمنون، خيركم أكيد المقصود به خير المؤمنين، خير المؤمنين الّذي يفعل هذا، المؤمن خير من الكافر أكيد ليس هناك مقارنة.

- المؤمن يدخل في خير البريّة.

(1) أخرجه مسلم (803).

- والكافر يدخل في شرّ البريّة.

فأخرجنا الكافر من النّقاش.

نأتي ننظر إلى خير البريّة، من هم (خير البريّة)؟ المؤمنون، النّاس كلّهم انقسموا إلى قسمين:

- ناس اسمهم (خير البريّة).

- وناس اسمهم (شر البريّة).

كل واحد كافر يعتبر من (شرّ البريّة)، كل واحد مؤمن يعتبر من (خير البريّة).

دخلنا في أول دائرة الخيريّة، خير البريّة المؤمنون، (المؤمنون) لا نقصد (كاملي الإيمان)، إنّما مؤمنون مصدّقون بالغيب، هذه الخيريّة فيها تفاوت، يعني المؤمن خير من الكافر أكيد وذاك شرّ البريّة، ونفس المؤمنون هؤلاء يتفاوتون، فعندما تقولين (خيركم) يعني خير الخير، ما معنى خير الخير؟ معناه خير المؤمنين الّذين هم أصلًا فيهم خير، عندك دليل أنّ المؤمنين كلّهم خير؟! عندنا دليل نحن نقول: خير البريّة وشرّ البريّة.

إذًا أتيتِ بأول دائرة أنّهم خير البريّة أصلًا، فهؤلاء الخير فيهم الخير، فحين يقول النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: (خيركم) **يعني**: خيرُكم أنتم يا أهل الخير، يعني خير الخير، أين خير الخير؟ (**خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، وَعَلَّمَهُ**).

نأتي بشق الحديث أنّ من تعلّم القرآن فقط ولم يعلِّمه لأنّه لا يصلح واحد علَّم ولم يتعلَّم، لا تصلح، لكن هات الشّق الأوّل واحد تعلّم القرآن ولم يُعلِّم: هل يدخل في (خيركم) أو لا يدخل؟!

- القاعدة تقول: هذه دائرة فيها خير: كلّ المؤمنين.

- ثمّ الدّائرة الأضيق في الخيريّة: الّذي صار له صلة بالقرآن: (مَن تعلّم).

- ثمّ الدّائرة الأخيرة: (مَن تعلّم وعلّم).

فمعناها افترضي أنّ هؤلاء مؤمنون لم يتعلَّموا القرآن لأسباب كثيرة: في البادية، أُمّيين...أمامك ناس كثير دخل الإيمان إلى قلوبهم وسمعوا كلام الله وآمنوا، يسمعون في مساجدهم القرآن قلوبهم ترقُّ، يعرفون التّوكّل على الله، فهؤلاء يعتبرون أفضل من حافظ القرآن كاملًا وليس في قلبه كلمة من القرآن، فهؤلاء يدخلون في خير البريّة.

- وخير البريّة من تعلّم القرآن.
- وخير الخير من علّمه.

معناه أنّ كلّهم يشتركون في أصل الخيريّة وهو الإيمان لكن يتفاوتون في درجة الخيريّة؛ من أجل ذلك سنخرج أحدًا **مَن هو الّذي سنُخرجه من الخيريّة؟** حافظ القرآن المنافق! نحن من أول الموضوع نسير على قاعدة مهمّة: الخيريّة أصلًا داخلة في الإيمان، إذا لم تبدئي من هذه الخيريّة فلن ينفع الكلام.

- أول شيء أدخل في خير البريّة.
- ثمّ عندما أدخل في خير البريّة، أدخل في خيرهم بالتَّعلَم.
- ثمّ أدخل في خير خيرِهم بالتَّعليم.

افترضي أنَّه لم يدخل في خير البريّة من جهة الإيمان لكن وصل وصار يعلِّم، ويعلِّم وهو أصلًا لم يدخل من نفس الّدائرة الأساسية ماذا سنقول عنه؟ سنقول: هذا منافق خارج الخيريّة، هل ممكن يكون هكذا؟! نعم، يصير وستسمعين في النّصوص هنا أنّ المنافق يقرأ القرآن، وقد مرّ معنا في النّقاش من حديث النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– أنّ ثلاثة يقرؤون القرآن: مؤمن ومنافق وفاجر؛ فمن أجل ذلك يجب ألّا أستعمل كلمة (خيركم) كورقة ضغط على النّاس (**خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، وَعَلَّمَهُ**) الخيريّة الأساسية خيريّة الإيمان،

ما تجدينه الآن في آبائنا وأمّهاتنا الّذين لا يحفظون القرآن، وعندما تتحسّسينه في بعض أبنائنا الحافظين للقرآن لا تجدينه!، لماذا لا تجدينه؟ لأنّ الدّائرة الأولى لم يدخلوا فيها وهي: خير البريّة.

ولذلك نحن في جرح عظيم، نحن نعتبر مكلُومِين لأنّ كثير ممّن يحملون القرآن لم يدخلوا أصلًا في خير البريّة، ثمّ يأتي النّاس يقولون: انظر هذا هو حافظ للقرآن وشَوَّهَ الصّورة، وأكيد تفهمون ماذا أقول وتعرفون العلامات وتفهمون كيف أنّ العالم الإسلامي يمرّ بمرحلة من الخطورة بحيث يُتّهم الدّين ويُتّهم القرآن بدماء الأبرياء، هذا كلّه نتيجة أنّهم أصلًا لم يدخلوا الدّائرة الأولى –دائرة خير البريّة– فكلمة (خير البريّة) هي الأساس ثمّ خير البريّة فيهم خير، المؤمنون كلهم خير البريّة ثمّ خيرهم من تعلّم القرآن وخير خيرهم من علّم، بهذا فهمنا الحديث.

إذًا (خيركم) ستفسر أن خير المؤمنين الّذي أتى بالإيمان وزاد على هذا الإيمان أسبابًا فتعلّم القرآن وزاد على ذلك فدعا إلى الرحمن، يعني مؤمن معه الإيمان وزاد على ذلك فدعا إلى الرّحمن، فاجتمعت له ثلاث أمور:

- الإيمان.
- وتعلّم القرآن.
- وتعليمه.

ما معنى تعلّم القرآن؟

تعلّم القرآن ماذا فعل؟ لأنّ دائمًا هذا الحديث كأنّه مُكَبّل في عقولنا على الألفاظ، القرآن: لفظ ومعنى، تذكّروا سورة القيامة خطاب للنبيّ

صلّى الله عليه وسلّم: {لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ}[1] (بيانه) أي: معناه، الله يتكفّل لنبيّه بشيئين: {إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ}.

معناه النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– تُكفِّل له بأمرين من عند ربّه:

- جمعه في صدره حفظًا كألفاظ.
- وبيانه كمعانٍ.

إذًا النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– تعلّم القرآن لفظًا وتعلّمه معنى.

- إذًا من تعلّم القرآن هنا في الحديث الدّاخل في الخيريّة تعلّمه لفظًا وتعلّمه معنى.
- ولمّا علّمه–من أجل أن يدخل في الخيريّة–علّمه لفظًا وعلّمه معنى.

إذًا من أجل أن أدخل في هذه الخيريّة لا بدّ من ثلاث شروط:

- الشّرط الأوّل: أن آتي بخيريّة الإيمان الأساسيّة.
- الشّرط الثّاني: تعلّم القرآن لفظه ومعناه.
- الشّرط الثّالث: علّم لفظه ومعناه.

(1) سورة القيامة: 16-19.

على ذلك هناك أشياء كثيرة المفترض أن تتغيّر مقاييسها في عقولنا؛ لأنّ استعمال هذا النّص بدون مناقشته وبدون فهمه ووضعه مجرد علامة ضغط على المجتمع أنّك لن تكون خيرنا إلّا إذا تعلّمت القرآن وعلّمته والّذي يتكلّم أصلًا ليس خيرهم وممكن ألّا يكون قد دخل باب الإيمان من أصله!! وهذا ليس ذمًا في أحد ولا تزكية لأحد وإنّما تخويف لأنفسنا، نحن في شأن عظيم، تعرفون لو كان الإنسان خارج المسألة ويتمنّى ويشتاق أن يكون من أهل القرآن فشوقه يرفعه عند ربّه، لكن مَن خاض وكان على ما لا ينبغي هو من يُخاف عليه.

وانظروا إلى موقف أبو عبد الرحمن السُّلمي وهذا أبو عبد الرحمن السّلمي راوي الحديث عن عثمان –رضي الله عنه– التّابعيّ الكبير، روى الحديث عن عثمان، يعني جلس في مجلس وسمع عثمان –رضي الله عنه– يقول: (**خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، وَعَلَّمَهُ**) انظري التعليق:

(**قَالَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ: فَذَلِكَ أَقْعَدَنِي مَقْعَدِي هَذَا**) –هو كان يُعلّم في البصرة– (**فَكَانَ يُعَلِّمُ مِنْ خِلافَةِ عُثْمَانَ إِلَى إِمْرَةِ الْحَجَّاجِ**). كم سنة؟ أربعون عامًا، أربعون سنة كان جالسًا لتعليم القرآن لفظًا ومعنى ليدخل في الخيريّة وهو أشهر مَن روى الحديث والحديث مروي في البخاري.

وأيضًا في كلامه شيء جميل وهو: الإخلاص، المقصد ظاهر جدًا؛ لماذا هو جالس؟ جالس لأنّ النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– قال: (**خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، وَعَلَّمَهُ**) جالس لهذا؛ لأنّ هناك أسباب كثيرة للجلوس خصوصًا عندما يطول الوقت، نحن عندنا مشاعر أنّ كلّما زاد الوقت أصبح هذا مجلسي وهذا مكاني ولا يحقّ لأحد أن يخاصمني فيه! فتأتي (ياء الملكية) الّتي تمرضنا! أنّ هذا حقّي، هذه منزلتي، هذا مكاني، فهو يقول: أنا جلست وبقيت جالس من أجل هذا الحديث وليس من أجل المنزلة والمكانة والعادة.

نأتي للحديث الثّاني الّذي فيه فضل عظيم؛ يمثّل النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– الفضل للصّحابة:

فَقَالَ: (**أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ إِلَى بُطْحَانَ أَوْ الْعَقِيقِ**): (بطحان) أو (العقيق) منطقتان في المدينة فيهما أسواق–الظّاهر من الحديث والواضح أنّ فيها أسواق ويباع فيها الإبل –فيقول النّبيّ – صلّى الله عليه وسلّم–:

(**أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ إِلَى بُطْحَانَ أَوْ الْعَقِيقِ**): (يغدو) **أي**: في الصّباح في أوّل النّهار.

(**فَيَأْتِيَ كُلَّ يَوْمٍ بِنَاقَتَيْنِ**): ما صفتهم؟

(**كَوْمَاوَيْنِ زَهْرَاوَيْنِ**): (كوماوين): عظيمتان، ضخمة، (زهراوين): **بمعنى** أنّ من شدّة الشّحم أصبح مائل لونها إلى البياض الزّهري، يعني شديدة السّمنة مليئة باللّحم والشّحم، الّتي يُرغب فيها، وهذا وصف يعرفه أهله.

(**فَيَأْخُذَهُمَا فِي غَيْرِ إِثْمٍ، وَلا قَطْعِ رَحِمٍ**): أي: من حلال، ولا يتعرّض أثناء فعله هذا إلى حسد ولا إلى غيره، يعني قطع رحم كأنّ هناك إشارة أنّ النّاس عندما يجدونك قد تنافست في الدّنيا فينافسوك إلى أن تنقطع الرّحم، قطع الرّحم يكون نتيجة المنافسة، هذا ما يظهر من النّص، يرونك أحسن فيقطعوا رحمك، يطلبونك فلا تعطيهم فيقطعوا رحمك، فالنّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- يقول لهم: من فيكم يحبّ أن يذهب إلى هذا المكان ويأتي بهاتين النّاقتين ولا تأثمون في أن تفعلوا حرامًا ولا تنقطع أرحامكم بالحسد؟ فهذه ميزات الآن.

(**قَالَ: قُلْنَا: كُلُّنَا يَا رَسُولَ اللهِ يُحِبُّ ذَلِكَ، قَالَ: فَلأَنْ يَغْدُوَ أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ**) (يغدو): **أي** في الصّباح.

(**فَيَتَعَلَّمَ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ، وَثَلاثٌ خَيْرٌ مِنْ ثَلاثٍ، وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ مِنْ أَرْبَعٍ، وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنْ الإِبِلِ**): **يعني** ذهابك إلى المسجد وتعلّم آيتين خير من هذين النّاقتين ولا أحد سينافسك ولا يحاربك ولا يضادّك ولا أيّ شيء، بل كأنّه سوق مهجور، بمعنى أنّ النّاس غير شاعرين به ومن يشعر لا يضرّه أنّك تحفظ، لن تأخذ منه شيئًا.

بقي سؤال: هل يشترط أن (يغدو) ويشترط أن يكون (إلى المسجد) أو لا يشترط؟ سيتبيَّن لي في النّصوص القادمة أنّه لا يشترط المسجد، إنّما هذا على التّغليب، يعني أيّ مكان تحفظ فيه القرآن.

بقي (يغدو) هل شرط في الصّباح أو ليس شرطًا؟ هذا للأفضليّة، أي مبارك لنا في الصّباح فكأنّه يقال: الأفضل للعبد أن يشرع في عمل الصّالحات من أوّل يومه، لا تفكّروا أنّ هذا وقت أفضل للحفظ، الوقت الأفضل هذه مسألة تتّصل بالنّاس وبقدراتهم، ليس له علاقة بالضّبط بالنّصوص، لكن تعرفون كلّكم أنّ ركعتيّ الفجر -الّتي هي السّنّة- خير من الدّنيا وما عليها، لماذا خير من الدّنيا وما

عليها؟! أمر عجيب، وصلاة الفجر نفسها قرائتها مشهودة {إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا}[1] لماذا كلّ هذا الفضل مختص بالفجر؟ كأنّه يقال: منطلق يومك، عندما تفتح عينيك وتجد نفسك جمعتَ قلبك في سنّة الفجر الّتي صفتها أنّها خفيفة كما حكت عنه أمّنا عائشة –رضي الله عنها– قالت: (كَانَ النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُخَفِّفُ الرَّكْعَتَيْنِ اللَّتَيْنِ قَبْلَ صَلَاةِ الصُّبْحِ، حَتَّى إِنِّي لَأَقُولُ: هَلْ قَرَأَ بِأُمِّ الْكِتَابِ؟!)[2].

من كثرة ما تعتبر سريعة في حقّ النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– وليس في حقّنا نحن، يمكن في حقّنا نحن صلاتنا الأساسيّة مثل هذه! المقصد أنّ هاتين الرّكعتين خفيفة جدًا ومع خفّتها خير من الدّنيا وما عليها يدّلك على أنّك لو بدأت من أوّل يومك جامعًا لقلبك على ربّك في السّنّة ثمّ تأتي في الفرض تعرف أنّه مشهود وتشعر أنّ الملائكة معك وتشهد قرائتك للسّورة الّتي تقرؤها في صلاة الفجر، وتشعر أنّ الآن وقت تبادل هذه المشاعر تطيّب اليوم كلّه، واحد يجمع قلبه من أوّل اليوم كأنّه يقال: بورك لك في يومك، فتخرج من هذين الاثنين ثمّ تدخل تحفظ آيتين أيضًا فيبارك لك في اليوم، فالغدوّ من أجل هذا.

بَابُ: فَضْلِ الاجْتِمَاعِ فِي الْمَسْجِدِ لِدَرْسِ الْقُرْآنِ

14. روي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللهِ–صلّى الله عليه وسلّم–قَالَ: (مَا تَجَالَسَ قَوْمٍ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ –في رواية: (إِلا نَزَلَتْ عَلَيْهِمْ السَّكِينَةُ)– إِلّا حَفَّتْ بِهِمْ الْمَلائِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ، وَذَكَرَهُمْ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَ مَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ)[3].

15. رُوِي عَنْ هَارُونَ بْنِ عَنْتَرَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قُلْتُ لابْنِ عَبَّاسٍ: أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضلُ؟ قَالَ: ذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ، وَمَا جَلَسَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ –عزّ وجلّ– يَتَدَارَسُونَ فِيهِ كِتَابَ اللهِ، وَ يَتَعَاطَوْنَهُ بَيْنَهُمْ، إِلّا أَظَلَّتْهُمْ الْمَلائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا، وَ كَانُوا أَضْيَافَ اللهِ تَعَالَى مَا دَامُوا فِيهِ، حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ.[4]

(1) سورة الإسراء: 78.

(2) أخرجه البخاريّ (1165).

(3) أخرجه مسلم (71/8).

(4) ذكره ابن رجب الحنبلي في "جامع العلوم" قال: وروي مرفوعا والموقوف أصحّ.

نبدأ في **بَابُ: فَضْلِ الاجْتِمَاعِ فِي الْمَسْجِدِ لِدَرْسِ الْقُرْآنِ**

كان سؤالنا معلّق من قبل: هل يشترط المسجد؟ فهو الآن نصّ قال: (**فَضْلِ الاجْتِمَاعِ فِي الْمَسْجِدِ لِدَرْسِ الْقُرْآنِ**) سنقرأ الرّواية وسنجد أيضًا (المسجد) لكن إن شاء الله تُحلّ المشكلة من قرائتنا لرواية مسلم.

روي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللهِ–صلّى الله عليه وسلّم–قَالَ: (مَا تَجَالَسَ قَوْمٍ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ): نبدأ بكلمة(**مَا تَجَالَسَ**) هذه تسمى: (التاء التّفاعليّة) انظروا إذا انطلقكم إلى استراحتكم ثمّ أتيتم فدعا بعضكم بعضًا للجلوس، فهذا يسمى: (تجالس) تجالس القوم: بمعنى أنّهم دَعَوْا بعضهم بعضًا للاجتماع، (فالتاء) أضافت على المعنى؛ لأنّ زيادة المباني زيادة في المعاني، فالمقصد أنّه ليس فقط جاء أحد وجلس، لا وإنّما أيضًا دُعي معه آخرين، كلّ مرة تدعو أي أحد تقول له: تعال نتعلّم كلمتين، نناقش كذا، نتذاكر. من فضل الله علينا يكون اسمك (تجالستَ)، دعوته للجلوس معك ثمّ على حسب ما تريد، تتذاكرون النِّعم هذا نوع تجالس، تقروؤن القرآن هذا نوع تجالس، تفهمون القرآن هذا نوع تجالس، فكلّها تدخل في: (**مَا تَجَالَسَ قَوْمٍ**).

(**مَا تَجَالَسَ قَوْمٍ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ**): هذا الحديث فيه اشتراط: (**فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ**) هناك رواية لمسلم نفس الحديث ولا يوجد فيها هذا الشّرط، (**لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ–عَزَّ وَجَلَّ–إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عليهِمِ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَن عِنْدَهُ**)[1].

إذًا لا يُشترط أن يكون في المسجد.

عُدُّوا الآن الّذي يفعلونه؟

- (**يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ**)
- (**وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ**)

(1) أخرجه مسلم (2700).

ما معنى (يتدارسونه)؟ يتدارسون مثل (يتجالسون)، فيها تفاعل، يتَدارَسُ يدرس يَفْهَم، أكيد يتلُون الألفاظ ويتدارسون المعاني

ماذا يحصل لهم؟!

- **في رواية: (إِلا نَزَلَتْ عَلَيْهِمْ السَّكِينَةُ)**: (السّكينة) بمعنى الطّمأنينة باختصار.
- **(إِلا حَفَّتْ بِهِمْ الْمَلائِكَةُ)**: (أحاطت بهم) دليل على رضاها بهذا الفعل، وهي لا ترضى إلّا بما يرضى الله به.
- **(وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ)**: (تغشّتْهُم) نزلت عليهم الرّحمات فسكنتْ نفوسهم.
- **(وَذَكَرَهُمْ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ)**

(وَمَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ). ما علاقته بالحديث؟ في كلمة: **(قَوْمٍ)** **(مَا تَجَالَسَ قَوْمٍ)**

القوم ما أنواعهم؟ مختلفون في أنسابهم، في أحوالهم –كما نعبّر– الاجتماعيّة، الاقتصاديّة، كلّ شيء طبقات، (نَسَبه) كلمة واسعة، نَسَبه الّتي نفهمها قبائلنا ولمَن نعود، ونسبه يعني النّاس ينسبونك إلى أي شيء؟ ينسبونك: (يا دكتور، يا شيخ، يا حافظ...) لكن عندما يجلسون من أجل أن يتدارسُوا يكونوا كلّهم سواء فلا يقطعك عنهم نسبَك؛ لأنّ من أبطأ به عملُه وانقطع عن المجالس الّتي ترفعه لم يسرع به نسبَه، هم سيُسرِعون إلى ربّهم بالملائكة الّتي تحيط بهم وأنّ الله يذكرهم، وأنت نسبك سيجعلك في مكانك، لكن في الآخرة يرُدِيك، حتّى أنّ المتكبّرين بأنسابهم أو بغيره يكونون يوم القيامة كأمثال الذّر تطؤهم النّاس بأقدامهم، فكأنّه يقال: من تعلّم القرآن وجلس للتّعلّم فليعالج قلبه من كِبْر الأنساب –وبالنّسبة لنا– ومن كبر الطّبقات لأنّكم موجودون وهذا الأمر موجود ففيكم المختلفون، وفيكم أصحاب الدّراسات العليا وفيكم الأقل والأقل والأقل، فإذا جلست وأنت عندك مشاعر أنّك أفضل من الموجودين فأخرجتَ نفسك منهم، فيرتفعوا هم عند الله وأنت تبطأ بك درجتك العلميّة، فهذا العلم يجعلك تلزم التّواضع.

نقرأ كلام ابن عباس: **(رُوِي عَنْ هَارُونَ بْنِ عَنْتَرَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قُلْتُ لابْنِ عَبَّاسٍ: أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟)** اسمعوا هذا الجواب الّذي لا يأتي إلّا من فقيه– **(قَالَ: ذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ)**: أي: في أي عمل كنتَ كونكَ في وسط العمل، بقاء ذكر الله في قلبك أثناء العمل

يصبح هذا العمل أفضل الأعمال مهما كان يسيرًا، **مثلًا** أنتِ الآن تبرّين أمّك مثلًا بِقَمِّ بيتَها –تنظّفين لها بيتها– وغيرك تفعل كذا وكذا من الخدمات، أنت تَقمّين بيتها كأنّه أقلّ شيء، لكن طوال ما أنت تقمّينه يكون ذكر الله في قلبك –لا أقصد تسبّحين وتكبّرين– فكأنّك تكلّمين ربّك: من أجل رضاك أنا أفعل هذا، أنا أرضيها من أجل أن ترضى أنت، ارضَ عنّي، لا أريد إلّا أن ترضى، ويبقى ذاكرًا لربه، يصوم نهاره كلّه وتأتيه لحظات العطش والجوع، لحظات ترك الطعام، يراه ويشتهيه وكلّما تذكّر شيء يذكر ربّه أنّه من أجله من أجل رضاه، من أجل أن ترضى، أحتسب عليك لمّا ألقاك أن ثقِّل بها ميزاني، فيبقى ذاكرًا لربّه.

ثمّ أيضًا يأتي له بالعمل رقم اثنين: (**وَمَا جَلَسَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ –عزّ وجلّ– يَتَدَارَسُونَ فِيهِ كِتَابَ اللهِ**): (**يتدارسون**): يتفاعلون.

(**وَيَتَعَاطَوْنَهُ بَيْنَهُمْ**): يُعطِي بعضهم بعضًا، يتناقشون، يتكلّمون، يفهمون، في القرآن، وانتبهوا أنّه لا بدّ أن يكون في القرآن، أو في سنّة النّبيّ لأنّه سيأتي القاطع لهم.

(**إِلا أَظَلَّتْهُمْ الْمَلائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا، وَكَانُوا أَضْيَافَ اللهِ تَعَالَى مَا دَامُوا فِيهِ**): على ذلك أنتم ما أطيب حالكم أضياف الله في كونكم مجاورين للبيت وأضياف الله في كونكم تجتمعون على كتابه في قراءته وفي فهم معناه؛ ولذلك لا تضيّعوا أوقاتكم في الشّيء الأدنى، لا بدّ أن تصرفوا أوقاتكم في الشّيء الأعلى ففهم كتاب الله هو أعلى شيء وإتقان حروفه يأتي بعده، فأنتم اختاروا الأعلى دائمًا – الفهم– خصوصًا أنّكم تعرفون أنّكم تستطيعون أن تضبطوا حروفكم إذا عدتم إلى بلادكم، فيصير هنا الأعلى هو أن تفهموا كلام الله، مع الشّرط، ماذا يقول؟!

(**حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ**): يعني تبقين ضيفة الله حتّى تحكي حكايات ليس لها علاقة بالموضوع، فتقطع أفكارك وتقطع الدّنيا عليك تدبرك!

ولذلك أوصيكم خاصة الجماعة الّذين يمسكون إدارات البرامج، منكم من هم مسؤولون عن البرامج، مسؤولة عن مركزك وعن جمعيتك لا تُدخلِي الدّنيا على طالباتك أبدًا، اجلسِي في مدرستك هذه أو جمعيتك واجعلي بناتك الّذين يدرسون عندك يأتون ثلاث ساعات أو أربع ساعات للعلم والطلب فقط، لا تفتحي عليهم أي شيء من الدّنيا بأي شيء، ولا تفكري لا في ميزانية

مدرستك –أنا أكلّمك عن حال النّاس عمومًا في العالم الإسلاميّ– لا تبيعي وتشتري في المدرسة، لا تغيّري المدرسة إلى تجارة لا تغيّري المدرسة إلى مكان للأنشطة، أنتم أضياف الله مادتم تقرؤون القرآن، لكن حين تقطعون على أنفسكم بالدّنيا أو بما يدور فيها تخرجون من ضيافة الله، نحن نلهو في الدّنيا بما يكفي، اخرجوا خارج المدرسة بشبر واحد تجدون الدّنيا أمامكم، فلا تأتِ لهم بالدّنيا، وإذا كنت تتكلّمين عن الرّزق، فالّذي يملك الرّزق هو الله، لا تفكّري في هذا الأمر هو يطعمنا ويسقينا، وكيف تعلّمين النّاس القرآن ولا يُعِينك!! إنّما استغيثي بالله –عزّ وجلّ– يمُدّ لك.

ولا تقولي: يملّون!! يملّون من أجل أنّهم لم يتمتّعوا بالمعاني، لو تمتّعوا بالمعاني سيكون القرآن هو الّذي أمام أعينهم، لو تمتّعوا سيتركون كلّ شيء ويبقى القرآن في قلوبهم، نسأل الله –عزّ وجلّ– أن يجعل القرآن الكريم ربيع قلوبنا ونور صدورنا وجلاء أحزاننا وهمومنا. اللّهم آمين.

الآن ننتقل إلى مقصدنا: نفس أخلاق حملة القرآن، نبدأ في قراءة أخلاقهم:

بَابُ: ذِكْرِ أَخْلاقِ أَهْلِ الْقُرْآنِ

قال محمد بن الحسين: (يَنْبَغِي لِمَنْ عَلَّمَهُ اللهُ الْقُرْآنَ، وَفَضَّلَهُ عَلَى غَيْرِهِ مِمَّنْ لَمْ يَعْلَمْ كِتَابَهُ، وَأَحَبَّ أَنْ يَكُونَ مِنْ أَهْلِ الْقُرْآنِ، وَأَهْلِ اللهِ وَخَاصَّتِهِ، وَمِمَّنْ وَعَدَهُ اللهُ مِنْ الْفَضْلِ الْعَظِيمِ؛ لُزُومَ مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُنَا لَهُ.)

(**يَنْبَغِي لِمَنْ عَلَّمَهُ اللهُ الْقُرْآنَ**): وهنا نسب العلم لله، فلم يقل: "من تعلّم القرآن" وهذا ما يجب علينا أن نذكّر أنفسنا به دائمًا وهو أنّ الله –عزّ وجلّ– هو مَن يعلّمنا، ومن المفترض أن يجري هذا على ألسنتنا دائمًا، فعندما يقال لك: ماذا تدرسين؟ ماذا حفظت؟ كم حفظت؟ تقولين: علّمني الله كذا وكذا، خصوصًا لو كنّا نتكلّم عن القرآن أو عن الدّين، نقول: "الله علّمنا".

(**وَفَضَّلَهُ عَلَى غَيْرِهِ مِمَّنْ لَمْ يَعْلَمْ كِتَابَهُ**): هنا ماذا تشعرون؟ إنّ هذا فضل من الله –عزّ وجلّ– فضّلك على غيرك به؛ ولذلك من المشاعر الخاطئة والمتناقضة الّتي يحملها كثير من حملة القرآن أنّهم يحملون القرآن فإذا رأوا أحد من أهل الدّنيا تقدّم في دنياه وحصل

على درجات في الدّنيا يشعر في داخله بنقص، حامل القرآن يشعر بأنّه أنقص من أهل الدّنيا! ومن أجل أن يقاوم هذا الشّعور يدخل في حالة من الكبر على النّاس!

هذا الشّيء مهم جدًا أن نتلمّسه في داخلنا، المجتمع عمومًا في كثير من العالم الإسلاميّ –وأكيد هناك أماكن ليست هذه المشاعر فيها لكن في كثير من العالم الإسلاميّ– يرون أنّ من تقدّم في العلم الدّنيوي خير ممّن تقدّم في دينه، هذا الوضع العام! هو قدر الله ويسّر الله ومنّ الله عليه بالدّخول في حفظ القرآن، ودخوله في حفظ القرآن كان بأسباب ربّما لم تكن باختياره والله رزقه هذا، فيسير هو وتسير صحبته وصحبته يدخلون في الدّنيا ويتقدّمون وهو يتقدّم في القرآن، لا أتكلّم عن الكلام الّذي يظهر على لسانه إنّما أتكلّم عن ما في وجدانه، المشاعر الّتي في داخله أنّه أفضل حظًّا منه وأنّه أقل منهم، كيف يقاوم هذه المشاعر؟ يستعمل حالة من الكبر، فيقول: شأن الآخرة أهم من شأن الدّنيا، ويتكلّم كلمات تدل على أنّه يدافع عن حالته والحقيقة أنّه مهزوم من الداخل! لا يشعر بفضل الله عليه، ومن لا يشعر بفضل الله –عزّ وجلّ– عليه يحرم الفضل؛ ولذا يقول لك: (**يَنْبَغِي لِمَنْ عَلَّمَهُ اللهُ الْقُرْآنَ، وَفَضَّلَهُ عَلَى غَيْرِهِ مِمَّنْ لَمْ يَعْلَمْ كِتَابَهُ**): إذًا هاتان صفتان لحامل القرآن:

- الأولى: أنّ الله علّمه.
- الثّانية: يشعر أنّ الله فضّله.

(**وَأَحَبَّ أَنْ يَكُونَ مِنْ أَهْلِ الْقُرْآنِ**): حامل القرآن لا بدّ أن يشعر أنّه يحب أن يكون من أهل القرآن.

(**وَأَحَبَّ أَنْ يَكُونَ مِنْ أَهْلِ الْقُرْآنِ، وَأَهْلِ اللهِ وَخَاصَّتِهِ**): أي، لم يكفِ أنّه حفظ ولم يشعر أنّ الله تفضّل عليه إنّما لا بدّ أيضًا أن يأتي بمشاعر أخرى، أنّه يحب أن يكون من أهل القرآن ويحب أن يُنسب إلى القرآن ويحب أن تظهر آثار القرآن عليه، ويحب أنّه إذا تكلّم، تكلّم بالقرآن.

(**وَمِمَّنْ وَعَدَهُ اللهُ مِنْ الْفَضْلِ الْعَظِيمِ؛ لُزُومَ مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُنَا لَهُ**): أي: من يحب هذه الأشياء عليه أن يلزم ما تقدّم ذكرنا له من فهمه لفضل القرآن، من فهمه لفضل الاجتماع في مجالس القرآن.

الآن سندخل في صلب المسألة وهي مسألة أخلاق أهل القرآن: (**وَقَالَ اللهُ عزّ وجلّ:** {**الّذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته**}[1] **قِيلَ فِي التَّفْسِيرِ: يَعْمَلُونَ بِهِ حَقَّ عَمَلِهِ.**

وَمِمَّا قَالَهُ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: (الّذي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، وَهُوَ مَاهِرٌ بِهِ مَعَ الْكِرَامِ السَّفَرَةِ، وَالّذي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ، فَلَهُ أَجْرَانِ)[2].

فَيَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعًا لِقَلْبِهِ، يُعَمِّرَ بِهِ مَا خَرِبَ مِنْ قَلْبِهِ، وَيَتَأَدَّبَ بِآدَابِ الْقُرْآنِ، وَيَتَخَلَّقَ بِأَخْلاقٍ شَرِيفَةٍ، تَبِينُ بِهِ عَنْ سَائِرِ النّاس مِمَّنْ لا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ.)

فكأنّه يقول: أنا سأكلّمك عن أخلاق حملة القرآن الّتي هي أثر لتلاوتهم للقرآن، يعني {**الّذين آتيناهم الكتاب يتلونه حقّ تلاوته**} أي: يعملون به حقّ عمله، يتخلّقون به حقّ التّخلّق، لماذا ابتدأ بالآية؟ من أجل أن يقول لك: يلزمك من حفظك للقرآن وحملك للقرآن وتلاوتك للقرآن وصحبتك للقرآن أن تتخلّق بأخلاق أهله.

وَمِمَّا قَالَهُ النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم–: (الّذي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، وَهُوَ مَاهِرٌ بِهِ مَعَ الْكِرَامِ السَّفَرَةِ، وَالّذي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ، فَلَهُ أَجْرَانِ): كم قسم يقرأ القرآن؟

- قسم ماهر به.
- وقسم عليه شاقّ.

مع اختلافهم في درجة التّلاوة –القراءة– لكنّهم يشتركون في أنّهم يتلونه حقّ تلاوته من حيث العمل به، كأنّه يقال:

- حين ترى قارئًا للقرآن وهو عليه شاقّ، فاعلم أنّ مشقّته يقابلها أجرين.

---

(1) سورة البقرة: ١٢١.

(2) أخرجه البخاريّ (789).

- وحين ترى ماهرًا اعلم أنّ الماهر مع السّفرة.

وعليك أن تقبل من هو عليه شاقّ وتقبل الماهر، الاثنان سواء، بقي الاثنان ما المطلوب منهما؟! {يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ} يعني مع اختلاف النّاس في القدرة على القراءة –قراءة جيّدة ماهرة– لكن يشتركون في لزوم أن يتلوه حقّ تلاوته.

إذًا معنى ذلك لا بدّ أن نغيّر خطّتنا في التّفكير وقتما نتعامل مع الطّالبات في حلقاتكم، يجب أن تكون عينك على الطّالبة حين تدرس معك، عليك أن ترفعي مستواها في التّلاوة، لكن اعرفي أنّ المسألة قدرات وأنّ هناك أناس عندهم صعوبات في التّعلّم وفي النّطق وفي المخارج وفي الحروف وفي كلّ ما تعرفونه، فعليكم ألّا تجعلوا هذه الصّعوبات حاجزًا لهم عن القرآن، فالواجب عليهم أن يتلوه حقّ التّلاوة، وعلى ذلك يجب أن تضعوا قوله تعالى: {يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ} في مكانه، فنقول لها: التّلاوة هنا لا تعني القراءة فقط، في القراءة هناك شاقّ وهناك ماهر، وهذه عطايا من الله وعليكم أن تجتهدوا والله –عزّ وجلّ– يعطيكم الأجور، لكن كلّكم تشتركون في المعنى الثّاني: "تعملون به حقّ العمل" فالآية والحديث والله أعلم قصد بهم هذا الأمر؛ أنّ جميع النّاس يشتركون في أنّه يجب عليهم أن يتلوه حقّ التّلاوة مع اختلافهم في درجة القراءة، فهناك الماهر وهناك الّذي هو عليه شاق.

إذًا ستضعين الآية ثمّ الحديث ثمّ تقولين: وإن اختلفا في المهارة، إلّا أنّ الأجر هذا أمر مختلف تمامًا لأنّه ربّما الشّاقّ يكون له أجر في الاجتهاد أكثر من الماهر، ويكون في المتابعة خير من الماهر، الأجور لا نتكلّم عنها، نحن لنا أن نقول إن النّاس كلّهم –المقصود أهل الإيمان– يشتركون في أنّهم يجب عليهم أن يتلوه حقّ التّلاوة بمعنى يعملون به حقّ العمل مع اختلافهم في المهارة، فأنت كمعلّمة لا يكون تركيزك فقط على المهارة ومطلوب منك أن تقبلي الطّالب كما هو وتحببيه، علينا ألّا نرتكب جميعًا الجريمة المشتركة الّتي صارت على مستوى العالم الإسلاميّ في كون الغير ماهر ينبذ في المشاعر في مدارس التّحفيظ ثمّ تأتي مشاعر أنّك لا تنفع في هذا المكان أو هذا المكان لا ينفع لك، فتجدي أنّهم يبعدون النّاس عن القرآن بسبب أنّنا نشدّد عليهم في شأن هو عطية من الله.

ننتقل الآن إلى ماذا ينبغي عليه؟ الآن كأنّنا نفسّر: {يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ}، قال:

- **(يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعًا لِقَلْبِهِ)**

- **(يُعَمِّرَ بِهِ مَا خَرِبَ مِنْ قَلْبِهِ، وَيَتَأَدَّبَ بِآدَابِ الْقُرْآنِ، وَيَتَخَلَّقَ بِأَخْلاقٍ شَرِيفَةٍ)**

وهذه الأخلاق الشّريفة: (**تَبِينُ بِهِ**) تميّزه (**عَنْ سَائِرِ النّاس مِمَّنْ لا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ**).

سنبدأ بالجملتين الأوّلتين لأنّهما غاية في الأهمية؛ لاحظي أنّه يحمّل حامل القرآن نفسه المسؤولية وهذا شيء مهم جدًا، أنّك الآن حفظت أو قرأت وفهمت عليك أن تجعل القرآن ربيعًا لقلبك.

نبدأ بالخطوات الّتي يصل بها الإنسان إلى أن يكون القرآن ربيعًا لقلبه:

أوّلًا: (الرّبيع) معلوم وهو الّذي أزهر وأنبت، فمعنى ذلك أنّك ستقومين بالضّبط بخطوات الزّراعة والسّقي، ومعنى هذا أنّنا **سنعتبر قلوبنا أرضًا**.

ثانيًا: هذه القلوب **سنضع فيها بذور** معاني القرآن، قرأت معنى هنا ومعنى هنا ومعنى هنا أضعه كالبذور.

ثالثًا: **أسقيها** بتكرار القراءة والفهم وآتي بشواهد أخرى على نفس المعنى.

رابعًا: النّبات يحافظ عليه من الآفات، بمعاني القرآن أحافظ على قلبي من الآفات.

سأضرب مثلًا لتتصوروا؛ نسير على الخطوات في معنى مثل معنى "**الاستعانة**" تقرئين الفاتحة تقولين: {**إِيّاكَ نَعبُدُ وَإِيّاكَ نَستَعينُ**}[1].

أوّلًا: ليُجعل قلبك ربيعًا خذي هذا المعنى –معنى الاستعانة– واجعليه مثل البذرة الّتي تدخل قلبك.

(1) سورة الفاتحة: 5.

ثانيًا: من أجل أن تسقي المعنى الّذي دخل قلبك؛ تتبّعيه في القرآن، ابحثي عن الاستعانة بكلّ ألفاظها وما يتّصل بها، وكلّما فهمت الآيات كلّما غذّت في قلبك هذا المعنى، اقرئي وانظري كيف كانت مواقف الأنبياء والرّسل منه، وكيف أُمرنا بالاستعانة في مواقف كثيرة وكيف أتت مفردة "التّوكل" وكيف أتت "حسبي الله" كلّ هذه المعاني تغذّي دائرة بذرة الاستعانة.

المقصد أنّ القارئ للقرآن عليه أن يفهم القرآن ويسقي المعاني الّتي في داخله بالتّأمل، تأتين إلى سورة مثل سورة هود، وترين موقف هود من قومه وكيف قال لهم: {فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ}[1] مثله مثل نوح في يونس: {فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ} لا تؤخّرون ذلك، كلّ قوّتكم اجمعوها وتعالوا اقتلوني! هذه القوّة في التّوكّل والاستعانة من أين تأتي؟ من قوّة الإيمان، عندما تقرئين مثل هذا النّص تقولين: كم كان عنده من ثقة بالله –عزّ وجلّ– ؟! فهذا هو السّقي، ليس السّقي مجرّد أن تبحثي عن كلمة "الاستعانة" ، بل أن تفهمي المعاني فتصبّيها في مكانها وبهذا تتشكّل الاستعانة.

لو تريدي أن تعرفي معنى اسم "الشّكور" فأنت مثلًا تقرئين في كتاب الله أنّه "شاكر وشكور"، وتستعجبين

- تجدين "شاكر" في البقرة بعد الآيات الّتي تتكلّم عن الحجّ وعن السّعي، هذه الآية الّتي نقولها في المسعى.
- وفي النّساء بعد الكلام حول المنافقين والأمر بتوبتهم فتجدي شيئًا عظيمًا حين تقارنين بين الموطنين.
- ثمّ تسيرين في القرآن فتجدي الشّكور أتى في أربع مواطن، مثلًا أتى مثلًا في فاطر مرتين في سياق واحد، في آية (30) وفي آية (36)، وتفهمي أنّ معنى قوله تعالى في آية (30): {لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۚ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ} أعدكم بذلك وأنتم هنا في الدّنيا، ثمّ يمرّ السّياق: {وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ} فهنا وعده في الدّنيا وهنا ما تحقّق في الآخرة يقينًا.
- ثمّ تجدين الاسم في الشّورى وتجدينه في التّغابن فتعرفي أين جاء الاسم فتسقيه ثمّ تبدئين ترين كيف يكون شكر الله لعباده، كيف يشكرهم –سبحانه وتعالى– ، أين الشّكر وأين آثاره، الله يشكر عباده، لا نتكلّم عن أنّ العباد يشكرون الله وهكذا.

(1) سورة هود: 55.

هذا أسلوب مهم جدًا لجعل القرآن ربيعًا لقلبك أن تأخذي المعنى وتسقيه وتجديه، ولن تستطيعي أن تسقيه إلّا إذا كنت تفهمين معنى ما تقرئين، ليس هناك مطابقة يعني لا يأتيك اللّفظ بالمطابقة فتجدين هنا استعانة وهنا استعانة ولا بأنّك تجدين في القرآن عنوان الاستعانة وتمشين وراءه! لا، إنّما بكثرة الرّد وكثرة الرّد فتتبيّن الأسرار؛ ولذلك من يسِر هذا السّير يعرف أنّه قصّر في حقّ القرآن، قصّر في حقّ نفسه، تلقّف أفكار من كل مكان وترك القرآن، أنت تحتاج أن تجتهد جدًا كلّ ما تحتاجه من معاني نفسيّة وعقليّة ونظرة للمجتمع ونظرة لنفسك ونظرة لحل المشاكل كلّ ما تحتاجه موجودًا في القرآن؛ ولذلك آية النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– أنّه أوتي جوامع الكلم، كلمات قليلة، مباني قليلة معاني غزيرة، فهذه الآية تعالج قلبك، وهذه الآية تفعل بك كذا وكذا.

من هنا سأنطلق إلى الكلام الّذي تكلّمنا فيه سابقًا "**كيف يطلب إنسان العلم ثمّ يجد نفسه لازال مريضًا بأمراض القلب؟!**".

إذا كان الإنسان يريد أن يعرف كيف يشفى قلبه المفترض أن يجعل القرآن ربيعًا لقلبه، انظري الجملة الّتي بعدها:

(**يُعَمِّرَ بِهِ مَا خَرَبَ مِنْ قَلْبِهِ**): كأنّ قلبه صار صحراء خراب، فهو يعمّر ما خرب من قلبه، تصوّري كأنّ هذا أصبح مريضًا –بهذا التّعبير عندنا – ثمّ يأتي بالمعاني يعالج قلبه بها.

سنفترض أنّنا أمام قلب مصاب بمرض من الأمراض القلبيّة: الحسد، الحقد، الكبر...إلى آخره، دخل في طلب العلم ومعه هذه الأمراض لكن لم يكن يعرف الأمراض أصلًا ولمّا دخل الطّلب والعلم أصبح يعرفها، يأتي هذا المريض –ليعمّر ما خرب من قلبه– يأتي فيسمع قوله تعالى: {**أَنزَلَ مِنَ السّماء مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا**}[1].

- هذا المثل مثّلت به القلوب كالأودية.
- ومثّلت فيه الأمراض كالزّبد.
- ومثّل فيه العلاج كالغيث الّذي ينزل من السّماء.

(1) سورة الرّعد: 17.

- قلبك بالضّبط مثل الوادي، الأودية فيها وسخ كثير لكن عندما تراها جافّة لا تشعر بكميّة الوسخ، مثل القلوب عندما تكون قاسية لا تشعر بكميّة الأمراض الّتي في داخلها.

- ثمّ ينزل الغيث يعني ينزل القرآن على القلب أثناء طلب العلم، فيخرج الوسخ لكن المشكلة أنّ الوسخ لا يخرج مرّة واحدة، إنّما ينزل الغيث كما ينزل على الوادي يلمّ الوسخ ويخرجه على السّطح، فيمرّ طالب العلم –الّذي يصلح نفسه– بمرحلة يبدأ يشعر فيها أنّه ما كانت عنده أمراض وأصبح عنده أمراض، أصبح يراها، في الأوّل من جفاف أرضه لم يكن يشعر بها ولمّا أتى الغيث خرجت على السّطح، لمّا خرجت على السّطح ماذا يجب عليه أن يفعل؟

- يزيلها، يزيد عليها من القرآن ويزيد عليها، كلّما زاد العطاء والغيث كلّما خرج هذا إلى الخارج.

فإذًا كيف يصلح خراب قلبه؟ أوّل شيء لا يأتي الشّيطان يقول لك: "أنت كنت قبل الطّلب أفضل" لا يأتي يقول لك هذا أبدًا، بل الإنسان قبل الطّلب أكيد كان في عمى، لم يكن يرى الأمراض، لمّا بدأ يتعلّم تحسّس قلبه، بدأ يصبح لقلبه مكانة، أصبحت قضيّته أن يتحسّس ما في قلبه، أصبح يشعر، أصبح حين تأتيه ومضة الكبر يشعر بألم، أصبح يشعر، أوّلًا كان ميّتًا لا يشعر، لمّا دخل العلم صار يشعر، صار حيًّا، فأنت لا تدع الشّيطان يقل لك: "أنت أولًا كنت أفضل" لأنّك كنت قبل ذلك ميتًا لا تدري ولا تشعر! ثمّ عليك بعد أن بدأت تشعر أن تدرس سورة العنكبوت الّتي من أوّلها قال تعالى: {الم (١) أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ}[1] إلى {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا}[2] ادرس العنكبوت وستفهم ما الطريق، وبهذا تصلح ما خرب من قلبك، فلا بدّ أن نفهم أنّ هذه مسؤولية فرديّة، لا بدّ أن نفهم أنّها مسؤولية فرديّة.

قال: (**فَيَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعًا لِقَلْبِهِ**): بأن يزرع المعاني في نفسه ولا ينتظر من أحد أن يزرع له المعاني في نفسه، صحيح أنا كمعلّم عليّ أن أعلّم الطلّاب كيف يزرعون المعاني وأدرّبهم مرّة واثنين وثلاثة ثمّ على كلّ منهم أن يعرف ما يدخل في نفسه فيأخذ المعاني ويضعها مكان الجروح ويغذّيها ويعيد على نفسه، وبهذا تفهمون كلام ابن القيّم **أنّه ربّما قام الرّجل بآية فيها شفاء قلبه**، آية طوال اللّيل يقوم بها فيها شفاء قلبه، يقلّبها ويقلّبها إلى أن تسقط في مكانها في فؤاده.

(1) سورة العنكبوت: 1-2.

(2) سورة العنكبوت: 69.

إذًا ما دورنا؟ أوّلًا أن نفهم أنّ مكان التّخلّق هو القلب، فالقرآن عندما يدخل إلى القلب يجعله ربيعًا ودورك أن تسقي هذا الرّبيع وأن تحميه من الآفات، ماذا تفعل لتحميه من الآفات وتحمي المعاني الّتي زرعتها من القرآن في قلبك؟ أكثر آفة تجفّف ربيع القلب من القرآن أن تدخل عليك أفكارًا من خارج القرآن، سأضرب مثالًا لتتصوّروا: نحن نقرأ في القرآن {وَإِيّاكَ نَستَعينُ} ونقرأ كلّ معاني الاستعانة، ونقرأ عن العبوديّة، وحين نقول أذكار الصّباح والمساء نقول: (**لا تَكِلني إلى نَفسي طَرفةَ عينٍ**)[1]، (**ما بي مِنْ نِعْمَةٍ أَو بِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِك، فَمِنْكَ وَحْدَكَ لا شريكَ لَك**)[2] كلّ هذه المعاني الّتي نقولها بلساننا ثمّ يأتي أحد يدخل عليك ثقافة الثّقة في النّفس! ثقافة أنت تستطيع! ثقافة في داخلك مارد كبير عليك أن تعظّمه! إلى أن يحوّلك أنت إلى صنم تدور حول نفسك، وهذه الأشياء كلّ واحد يفلسفها بفلسفة وهناك أيضًا من يأتي عليها بأدلّة من القرآن والسّنّة، والصواب أنّ هذه الأفكار تعتبر كالآفات للعقيدة، لا تقنع نفسك أنّك ممكن أن تأخذ من القرآن وتأخذ من غيره لتعمّر قلبك! بل كما قال أبو برزة: (**إن الله يغنيكم بالإسلام**) بمعنى أنّك لست بحاجة إلى غيره، فهذه الآفات هي الّتي تخيفنا أن يكون شباب درسوا القرآن والمفترض أن يكون القرآن ربيعًا لقلوبهم ثمّ تجدهم يتلقّفون أفكارًا من الخارج تصبح بمثابة الآفات.

إذًا التّعامل مع القرآن مسؤولية الشّخص نفسه حامل القرآن، مسؤوليّته أن يجعل القرآن ربيعًا لقلبه ويعمّر به ما خرب من قلبه، واتّفقنا على مسألة كيف يكون ربيعًا لقلبه.

بقي سؤال: هل يشعر الإنسان بما خرب من قلبه؟ نضع مقياسًا سهلًا، الخراب في قلوبنا هو كلّ فكرة أو اعتقاد لم يكن مصدره القرآن. فهذه نقطة خراب عندك.

مثلًا: ما الّذي يصلح الحياة الزّوجية؟ كلّ شخص في صلاح الحياة الزّوجية عنده فكرة، المرأة ترى أنّ الصّلاح أن تفعل للزّوج كذا وتفعل له كذا من أفكارها؛ على أنّ الصّلاح بين الزّوجين هذا شأن للدّنيا ولا نجده في القرآن! وكأنّنا ننسى أنّ الله تعالى قال: {وَمِنْ

(1) أخرجه النّسائي (10405)، وحسّنه الألباني.

(2) أخرجه ابن حبان في صحيحه (861).

آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً}[1] من الّذي جعل بين الزّوجين المودّة والرّحمة؟ الله {وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً}.

إذًا هذه الكلمة كأنّها ستكون مثل المفتاح، عقلي يقول: الله هو الّذي يجعل بيني وبين زوجي مودّة ورحمة، هو الّذي يجعل بين ابنتي وبين زوجها مودّة ورحمة، مادام هو الّذي يجعل المودّة ورحمة إذًا ما الخطّة؟! لا بدّ من التّعلّق به، لا بدّ من سؤاله، لا بدّ من طاعته، إلى آخر الخطّة الّتي تقول في النّهاية: علّمي نفسك أو علّمي ابنتك: لو تريدين من زوجك شيئًا، منك إلى الله ومن الله إليه وتحلّ المشاكل.

المقصد أن تتصوّروا أنّ الخراب في قلوبنا هو كلّ فكرة أو عقيدة ليس مصدرها القرآن.

مهم أن نقف عند هذه الجملة كثيرًا: من أجل أن نتخلّق بالقرآن لا بدّ أن نبدأ من نقطة بداية التّخلّق، **ونقطة بداية التّخلّق هي القلب الّذي سندخل عليه المعاني، ويجب أن نكون متيقّنين أنّ الأخلاق ليست صورة خارجيّة**، حين أربّي نفسي أو أربّي أولادي لا أقول لهم: "عليكم أن تكون صورتكم الخارجيّة بهذه الصّورة" بل لا بدّ أن أدخل إلى القلب وأقوم بعمليّة جعل القلب ربيعًا ثمّ أعمّر ما خرب ثمّ أنتظر الخيرات والتّوفيق في المواقف، لكن تعرفون أنّ غالب سياسات الأخلاق تقول :افعل كذا ولا تفعل كذا، يركزون على الصّورة الخارجيّة.

نضرب لكم مثالًا؛ الآن للأسف الشّديد ظاهرة تفشّي العريّ، هذا الشّيء المؤلم الّذي هو علامة مهمة من علامات نقص وضعف الإيمان، تصوّري أنت في مجلسك تريدين أن تعالجي هذه المشكلة عند الشّابات اللّاتي تدرّسينهم، عن ماذا ستتكلّمين؟! غالبًا سنضع أعيننا على الحجاب، أو غالبًا نضع أعيننا على اللّباس لكن المفترض أن أرجع إلى القلب وأقول: (**الْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الإِيمَانِ**)[2] فأوّلًا سأتكلّم عن موضوعين:

أوّلًا: سأتكلّم عن الإيمان، ولو صار هناك إيمان سيصير هناك حياء.

(1) سورة الرّوم: 21.

(2) أخرجه البخاريّ في الأدب المفرد (598).

ثانيًا: سأتكلّم عن الحياء، ولو صار هناك حياء سيصبح قرارًا شخصيًّا وهي بنفسها ستأخذ القرار، لن تحتاجي أبدًا أن توجّهيها إلى أيّ شيء إنّما فقط ترشدينها وتقولين لها كلمتين، ترشدينها لأنّها أحيانًا تكون لا تعرف، قد تكون طيّبة وعندها استعداد لكن مثلما ترون في الحرم مَن تصلي ولا تلبس جوربًا في قدمها، ولا تفهم أنّها لو سجدت وانكشفت القدم تدخل صلاتها في حكم البطلان على أقوال متعدّدة، فعليكِ أن تقولي لها هذه الكلمة من أجل أن تعرف ما هو الصّواب.

إذًا في عمليّة التّخلّق علينا أن نبدأ بالقلب، لكن تأتي مواقف تقولين: "أنا مهما وصفت لمن أرّبيه وصفًا دقيقًا ماذا يجب عليه أن يفعل ستحصل مواقف أخرى غير ما وصفته له" نقول: ليس في مسؤوليّتك التّربويّة هذا الشّيء، التّوفيق في المواقف من الله لكن الدّور الّذي نقوم به أن:

- نجعل القرآن ربيعًا لقلوبنا.
- نعمّر به ما خرب من قلوبنا.
- نأخذ معاني القرآن وندخلها في قلوبنا.
- نكرّرها ونقرأ ونقرأ إلى أن تتّسع دائرة كلّ معنى وتتّسع إلى أن يزهر.
- ونحافظ عليه من الآفات، ولا ندخل عليه أفكارًا أخرى.

قال: (**فَأَوَّلُ مَا يَنْبَغِي لَهُ: أَنْ يَسْتَعْمِلَ تَقْوَى اللهِ –عزّ وجلّ– فِي السِّرِ وَالْعَلانِيَةِ، بِاسْتِعْمَالِ الْوَرَعِ فِي مَطْعَمِهِ، وَمَشْرَبِهِ، وَمَلْبَسِهِ، وَمَكْسَبِهِ، وَيَكُونَ بَصِيرًا بِزَمَانِهِ وَفَسَادِ أَهْلِهِ، فَهُوَ يَحْذَرُهُمْ عَلَى دِينِهِ، مُقْبِلًا عَلَى شَأْنِهِ، مَهْمُومًا بِإِصلاحِ مَا فَسَدَ مِنْ أَمْرِهِ، حَافِظًا لِلِسَانِهِ، مُمَيِّزًا لِكَلامِهِ، إِنْ تَكَلَّمَ تَكَلَّمَ بِعِلْمٍ، إِذَا رَأَى الْكَلامَ صَوَابًا، وَإِذَا سَكَتَ سَكَتَ بِعِلْمٍ، إِذَا كَانَ السُّكُوتُ صَوَابًا، قَلِيلَ الْخَوْضِ فِيمَا لا يَعْنِيهِ، يَخَافُ مِنْ لِسَانِهِ أَشَدَّ مِمَّا يَخَافُ مِنْ عَدُوِّهِ، يَحْبِسُ لِسَانَهُ كَحَبْسِهِ لِعَدُوِّهِ، لِيَأْمَنَ مِنْ شَرِّهِ وَسُوءِ عَاقِبَتِهِ، قَلِيلَ الضَّحِكِ فِيمَا يَضْحَكُ فِيهِ النَّاسُ، لِسُوءِ عَاقِبَةِ الضَّحِكِ، إِنْ سُرَّ بِشَيءٍ مِمَّا يُوَافِقُ الْحَقَّ تَبَسَّمَ، يَكْرَهُ الْمِزَاحَ خَوْفًا مِنْ اللَّعِبِ، فَإِنْ مَزَحَ قَالَ حَقًّا، بَاسِطَ الْوَجْهِ، طَيِّبَ الْكَلامِ**).

(**فَأَوَّلُ مَا يَنْبَغِي لَهُ: أَنْ يَسْتَعْمِلَ تَقْوَى اللهِ –عزّ وجلّ– فِي السِّرِ وَالْعَلانِيَةِ**): هذه الجملة ستأخذ منّا وقتًا وهذه تكفينا فيما بعدها.

أوّل ما نبدأ دائمًا في الكلام حول الالتزام والاستقامة في دين الله نتكلّم عن التّقوى؛ لأنّ **التّقوى هي الاسم الجامع لكل ممارسات الاستقامة**، ومن أجل أن يتّضح المعنى انظروا هذا المثال:

- الآن أنت في موقف أنعَم الله –عزّ وجلّ– به عليك. ما هي التّقوى؟ أن تشكر ولا تبطر.
- أنت في موقف نزلت عليك مصيبة. ما هي التّقوى؟ أن تصبر ولا تجزع.
- أنت في موقف أعطيت سرًا. ما هي التّقوى؟ أن تكتم السّر.

إذًا التّقوى ستكون اسم جامع لممارسة جميع القيّم العليا الّتي أمر بها الإسلام، سنربط هذا الكلام بالكلام الّذي قبله، لماذا يقول لنا: "اجعلوا القرآن ربيعًا لقلوبكم وعمّروا به ما خرب من قلوبكم" ثمّ يقول لنا: "أوّل شيء عليكم أن تستعملوا التّقوى"؟ لأنّ **المسألة كلّها تدور حول أنّ القلب إذا صلح اتّقى**.

وهذه القلوب تعرّض دائمًا للاختبار، تُختبر، قال تعالى: {**أُولَئِكَ الّذينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ**}[1] إذًا قرّرت مسألة مهمة: أنّ القلوب تمتحن للتّقوى، وهذا عنصر مهم. ما معنى "تمتحن للتّقوى"؟ مثلًا أنت تعتقد في نفسك أنّك كاتم للسّر أو أنّك لا تغتاب، أو أنّك تغضّ البصر، تقول وتدّعي هذه الادّعاءات، فأيّ دعوى سيأتي ورائها امتحان، تصوّر هذا الامتحان أقبل عليك، وجاءك الاختبار، جاءك الموقف الّذي يظهر فيه صدق الدّعوى أو كذب الدّعوى، ماذا يحصل في القلب؟ تسمع صوتين: صوت للحقّ وصوت للباطل، كما ورد في الحديث: (**إنَّ للشَّيطانِ لَمَّةً بابنِ آدمَ وللملَك لَمَّةً**)[2] لمّة تلمّ القلب، الشيطان يكلّمك والمَلَك يُلقي في قلبك أيضًا، وقتما تكون في الحدث تسمع صوتًا يأمرك بالخير وصوتًا يأمرك بالشّر، أكيد أنّ **التّقوى** هي امتثالك لصوت

(1) سورة الحجرات: 3.

(2) أخرجه التّرمذي (2988)، وصحّحه الألبانيّ.

الخير وامتناعك عن صوت الشّر، وهذا الأمر يتجاذبك طوال الحياة، تسمع صوتًا للخير وصوتًا للشّر، لكن يصل النّاس إلى أنّهم لا يسمعون صوتًا للخير أصلًا في نفوسهم! وقد ورد في الحديث: (**تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ عَرْضَ الْحَصِيرِ عُودًا عُودًا فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَتْ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَتْ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاء**) "**أُشربها**"، "**أنكرها**" هو موقف الصّراع الّذي يحصل في قلبك لتتخذ قرارًا، أعفو أو لا أعفو، أسكت أو لا أسكت (**حَتَّى تَصِيرَ الْقُلُوبُ عَلَى قَلْبَيْنِ قَلْبٌ أَبْيَضُ مِثْلَ الصَّفَا لا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ، وَيَصِيرُ الآخَرُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا لا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلا يُنْكِرُ مُنْكَرًا إِلّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ**)[1] .

(**لا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ**) يعني لا يضرّه هذا النّوع من الفتنة، مثلًا أنت اختُبرت في العفو، كلّما ذهبت إلى مكان ربّنا يسلّط عليك أحدًا، كلّما ذهبت إلى مكان ربّنا يسلّط عليك أحدًا وأنت تنجح هنا وتنجح هنا، كلّما دخلت صراعًا تنجح وكلّما دخلت صراعًا تنجح ثمّ ينتهي اختبارك في العفو ولا تضرّك فتنة إلى قيام السّاعة، يعني إلى أن تموت وأنت نقطة العفو الحمد لله ناجح فيها حتّى أنّك لا تعرّض لاختبارات.

أقرّبها أكثر بالمثال الّذي يتّصل بصلاة الفجر، يأتيك صوت يقول لك: قم للقيام، وصوت آخر يقول لك: خذ غفوة، نم قليلًا، ثمّ تحصل الخطوة الثانية أنّك تدخل في صراع: تقوم أو لا. إذا نويت أن تقوم اليوم وغدًا وبعد ذلك –ولا بأس الخطأ موجود لكن استمررت في أن تقوم ماذا سيحصل؟– لن تضرّك فتنة إلى قيام السّاعة، معناها أنّك ستبلغ السّتين والسّبعين ولا أحد يوقذك وأنت تقوم في هذا الموعد بالضّبط، ليست ساعة بيولوجيّة، إنّما هذا التّوفيق من الله –عزّ وجلّ– والنّصرة منه، ونحن نرى من هم كبار في السّن في سفر أو في حضر أو في أي مكان هذه السّاعة لا بدّ أن يقوموا فيها، سواء كانوا سهرانين أو كانوا نائمين. فهذا التّوفيق ماذا نقول عنه؟ (**لا تضرّه فتنة إلى قيام الساعة**) يعني إلى قيام ساعته هو، والمثل الثّاني في الحديث ما حالته؟ (**كالكوز المجخّية**) مهما وضعت فيه من حقّ يخرج من الجهة الأخرى. ما حاله؟ (**لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا**) معناه أنّك عندما تدخل عليه خيرًا لا يؤثّر فيه، ومهما وعظته لا يتّعظ، من أجل ذلك لا بدّ أن نفهم هذا الأمر عندما نقول لربّنا: نحن تائبون. يجب أن نعلم أنّه

(1) أخرجه مسلم (144).

سيختبرنا في توبتنا وأنّنا سنسمع صوت الشّر مرّة أخرى ونتوب ونسمع صوت الشّر مرّة أخرى ونتوب، والله غفور رحيم وبابه واسع لكن لا تغلق قلبك بكثرة الاستجابة لصوت الشّر.

إذًا أين مكان التّقوى؟ القلب.

- التّقوى تُختبر.

- التّقوى تُدخل الإنسان في صراع بين الحقّ والباطل، ما الّذي يجعل صوت الحقّ أقوى من صوت الباطل؟ أن تسمع الحقّ أكثر وتتناقش فيه أكثر وتكون صادقًا في هذا كلّه.

بهذا فهمنا قوله: (**فَأَوَّلُ مَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَسْتَعْمِلَ تَقْوَى اللهِ –عزّ وجلّ– فِي السِّرِ وَالْعَلانِيَةِ، بِاسْتِعْمَالِ الْوَرَعِ فِي مَطْعَمِهِ، وَمَشْرَبِهِ، وَمَلْبَسِهِ، وَمَكْسَبِهِ**): ماذا يريد؟ الورع، التّقوى تنتج هذا الورع، تنتج هذا الصّراع، ما هو معنى الورع؟ أن يكون حذرًا من دخول الحرام في هذه الأمور: في مطعمه ومشربه وملبسه ومكسبه، ومن الممكن أن يكون حذرًا لكن هناك أناس تُشكل عليه الدّين ولذلك قال الجملة: (**وَيَكُونَ بَصِيرًا بِزَمَانِهِ وَفَسَادِ أَهْلِهِ، فَهُوَ يَحْذَرُهُمْ عَلَى دِينِهِ**): يعني من أجل أن تصبح ورعًا كما ينبغي لا يكفي أن تحذر، بل لا بدّ أن تكون بصيرًا بحال الزّمان الّذي أنت فيه.

(**وَيَكُونَ بَصِيرًا بِزَمَانِهِ وَفَسَادِ أَهْلِهِ**): بمعنى أنّ أهل زمانك قد يقترحون عليك اقتراحًا يفسد عليك دينك، فأنت عندما تحمل القرآن تكون حذر ورع في ملبسك، مأكلك، مشربك، وفي نفس الوقت تكون حذرًا من أهل زمانك.

(**وَيَكُونَ بَصِيرًا بِزَمَانِهِ وَفَسَادِ أَهْلِهِ**): فهناك أشياء كثيرة موجودة حولنا لو أطعنا فيها مَن حولنا –وهم يجاهدونا على أن نطيعهم– لفسد علينا ديننا ولو ما أطعناهم فسدوا هم علينا –صحبتنا، أهلنا– أنت ماذا تفعل؟ يفسدون، يصلحهم الله، لكن تفسد أنت باختيارك كأنّك أغلقت على نفسك باب الصّلاح، وهذه الأمثلة مختلفة في كلّ بلد وكلّ حال.

(**فَهُوَ يَحْذَرُهُمْ عَلَى دِينِهِ**): ما مشاعرك تجاه النّاس حولك؟ أنّك خائف على دينك منهم؛ لذلك كأنّه يقال لك: تخيّر مَن تصحبه، لا تصحب أحدًا يهوّن عليك شأن الدّين ويعظّم لك شأن الدّنيا، وهذا يرجعنا لكلام ابن عباس كان يقول: **أنتم أضياف**

الله إن كنتم لازلتم في العلم لكن وضع شرطًا: (**حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ**) هذا نفسه افهموه هنا، من أجل أن تميزي صحبتك خير أو شرّ انظري في كلامهم، كلّما قلّ كلامهم في شأن الدّنيا كلّما كنت أقرب للصّحبة الصّحيحة، كلّما زاد كلامهم في شأن الدّنيا كلّما حصل الشّر؛ لأنّ نفس الكلام عن الدّنيا قبل ممارستها يثير الشّهوة تجاهها.

المقصد أنّنا يجب أن نكون حريصين ونحن نحفظ القرآن أن تكون دائرتنا واضحة حتّى في صحبتنا.

قال: (**مُقْبِلًا عَلَى شَأْنِهِ، مَهْمُومًا بِإِصلاحِ مَا فَسَدَ مِنْ أَمْرِهِ**): هذا إنسان عينه مفتوحة على قلبه، وأيضًا عنده همّ، مهموم بإصلاح نفسه؛ ولذلك لا نتصوّر أنّ المطلوب منّا أن يكون أهمّ همومنا إصلاح غيرنا لا، أوّل شيء، أهمّ همومنا إصلاح أنفسنا.

(**حَافِظًا لِلِسَانِهِ**): هذه أيضًا خطوة، يكون حفظ اللّسان أثر التّقوى، أثر الخوف، يعني هو تقيّ وخائف ثمّ يأتي حفظ اللّسان.

(**مُمَيِّزًا لِكَلامِهِ**): سيشرحها بعدها: (**إِنْ تَكَلَّمَ تَكَلَّمَ بِعِلْمٍ، إِذَا رَأَى الْكَلامَ صَوَابًا**): يضع ضابطين:

الضّابط الأوّل: أنّك لا تتكلّم إلّا بعلم.

الضّابط الثّاني: أنّك لا تتكلّم إلّا في الوقت المناسب.

إذا رأيت الكلام صوابًا تكلّمت، ولا يكون الكلام صوابًا دائمًا، والحكمة إنّما هي عطيّة من الله يطلبها الإنسان من ربّه، والنّبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– علّم عليّ –رضي الله عنه– قال له: (**قُلِ اللَّهُمَّ اهْدِنِي وَسَدِّدْنِي**)[1] ولذلك عندما تكون حاملًا للقرآن لا تجد نفسك مستسلمًا لشهوة الكلام، وهي شهوة من أخطر الشّهوات، وعند النساء –كما تعلمون– شهوة مضاعفة في الكلام فأوّل علامات دخول القرآن إلى القلب قلّة الكلام وسنأتي له بثلاث ضوابط:

- قلّة الكلام الّذي لا يزيد الإيمان، هناك كلام أحيانًا تشعر أنّه مهم لكنّه لا يزيد الإيمان، هذا النّوع ستتكلّم به في حال الاضطرار.

(1) أخرجه مسلم (2725).

- وقلّة الكلام الّذي يُخشى من ورائه الفتنة، أحيانًا يكون هناك كلام مهم لكنّك تعرف أنّك لو بدأت تتكلّم بهذا الكلام ستكون أشعلت نارًا؛ إذًا المفترض أن تسكت عنه.

- وقلّة الكلام فيما لا يعنيك، أيّ شيء لا يعنيك اتركه، ما هو ضابط "لا يعنيه" ؟ الكلام في شأن الدّنيا له ضابط والكلام في شأن الآخرة له ضابط:

- في شأن الدّنيا: كلّ ما لا تضطر إليه في الدّنيا ولا حاجة لك به هذا يكون ممّا لا يعنيك.

- وفي شأن الآخرة كلّ ما لا يزيد إيمانك يعتبر ممّا لا يعنيك.

قال: (**وَإِذَا سَكَتَ سَكَتَ بِعِلْمٍ**): مثلما يتكلّم بعلم يسكت بعلم.

(**إِذَا كَانَ السُّكُوتُ صَوَابًا**): الإنسان "يتكلّم بعلم" واضح لكن "يسكت بعلم" إذا كان السّكوت صوابًا، هو في هذه الحال لم يسكت لأنّه لا يعلم. هناك فرق بين الكلمتين: تسكت بعلم، تسكت لأنّك ليس عندك علم. إذا لم يكن عندك علم، لا بدّ أن تسكت، هذه ليست فضيلة منك إنّما هذا واجب عليك، إنّما هو يكلّمك عن السّكوت بعلم، تسكت لأنّك تعلم أنّ السّكوت هو الخير، تكون تستطيع أن تتكلّم وعندك أدلّة وتستطيع أن تستشهد لكنّك لم تُسأل، ما دمت لم تُسأل، هنا تسكت لأنّك تعلم أنّ السّكوت من باب الأدب الّذي يرضي الله عزّ وجلّ، لأنّك في موقف تريد أن تأمر بمعروف أو تنهى عن منكر لكنّك تعرف أنّك لو تكلّمت سيأتي منكر آخر أكبر فتسكت بعلم، سبب سكوتك علمك، ليس سبب سكوتك الجهل.

قال: (**يَخَافُ مِنْ لِسَانِهِ أَشَدَّ مِمَّا يَخَافُ مِنْ عَدُوِّهِ**): بمعنى أنّ الإنسان حين يكون حاملًا للقرآن فالكلام يخيفه جدًّا ويخاف من لسانه أكثر ممّا يخاف من عدوّه، تصوّر أنّك ستجتمع مع ناس أو تصوّر أنّك ستخرج في زيارة عائليّة، فأنت تحتاج قبل أن تخرج أن تبتهل إلى الله، تبتهل إلى الله ليس فقط لأنّك خائف منهم، بل خائف أيضًا من نفسك، ليسوا دائمًا هم مَن يوقعونا، بل نحن خائفون من أنفسنا أن تزلّ أقدامنا ونقول كلمة لا تصلح؛ لو نشعر أنّنا نخاف على النّاس من شرّنا لكفينا النّاس شرّ كثير؛ ولذا اجعلوا دائمًا على لسانكم وصيّة النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– لعلي: (**قُلِ اللَّهُمَّ اهْدِنِي وَسَدِّدْنِي**).

قال: (**لِيَأْمَنَ مِنْ شَرِّهِ وَسُوءِ عَاقِبَتِهِ**): يحبس لسانه ليأمن شرّ لسانه.

(**قَلِيلَ الضَّحِكِ فِيمَا يَضْحَكُ فِيهِ النَّاسُ، لِسُوءِ عَاقِبَةِ الضَّحِكِ، إِنْ سُرَّ بِشَيءٍ مِمَّا يُوَافِقُ الْحَقَّ تَبَسَّمَ، يَكْرَهُ الْمِزَاحَ خَوْفًا مِنْ اللَّعِبِ**)

أحيانًا المزاح يكون طباع عند الإنسان، ماذا يفعل؟ لا بدّ من أن يهذّب نفسه، يحبس نفسه عن المزاح، أحيانًا يكون المزاح حلّ أمام أنفسنا يخرجنا من مشكلة لكن الصحيح أنّه يدخلنا في مشكلة فمن أجل ذلك يُكره المزاح خوفًا من اللّعب وهذا لا يعني ألّا يمزح أبدًا؟! قال:

(**فَإِنْ مَزَحَ قَالَ حَقًّا، بَاسِطَ الْوَجْهِ، طَيِّبَ الْكَلامِ**): إذا فعل الإنسان هذا كلّه سيفرغ لسانه لذكر الله، سيفرغ لسانه لحمد الله، سيفرغ لسانه لأن يقول ما يريد الله لكن عندما ينشغل القلب واللّسان بغير الله عزّ وجلّ، المحل انشغل فلا يشغل بغيره.

أضرب لكم مثالًا: لو أحد فيكم يأكل ويريد الذّكر في نفس الوقت يصعب عليه؛ لأن مكان الذّكر مشغول، تصوّروا هذا المعنى الحسّيّ كالمعنويّ، إذا كان اللّسان مشغولًا بالكلام الّذي لا ينفع لن يكون المحل فارغًا للكلام الّذي ينفع وهكذا القلب إن كان مشغولًا بغير الله لا يستطيع أن يشغل بذكر الله عزّ وجلّ.

قال: (**لا يَمْدَحُ نَفْسَهُ بِمَا فِيهِ، فَكَيْفَ بِمَا لَيْسَ فِيهِ، يَحْذَرُ مِنْ نَفْسَهُ أَنْ تَغْلِبَهُ عَلَى مَا تَهْوَى مِمَّا يُسْخِطُ مَوْلاهُ. لا يَغْتَابُ أَحَدًا، وَلا يَحْقِرُ أَحَدًا، وَلا يَسُبُّ أَحَدًا، وَلا يَشْمَتُ بِمُصِيبَةٍ، وَلا يَبْغِي عَلَى أَحَدٍ، وَلا يَحْسِدُهُ، وَلا يُسِيءُ الظَّنَّ بِأَحَدٍ إِلّا بِمَنْ يَسْتَحِقُ، يَحْسِدُ بِعِلْمٍ، وَيَظُنُ بِعِلْمٍ، وَيَتَكَلَّمُ بِمَا فِي الإِنْسَانِ مِنْ عَيْبٍ بِعِلْمٍ، وَيَسْكُتُ عَنْ حَقِيقَةِ مَا فِيهِ بِعِلْمٍ.**

قَدْ جَعَلَ الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ وَالْفِقَهَ دَلِيلَهُ إِلَى كُلِّ خُلُقٍ حَسَنٍ جَمِيلٍ، حَافِظًا لِجَمِيعِ جَوَارِحِهِ عَمَّا نُهِيَ عَنْهُ، إِنْ مَشَى مَشَى بِعِلْمٍ، وَإِنْ قَعَدَ قَعَدَ بِعِلْمٍ، يَجْتَهِدُ لِيَسْلَمَ النّاس مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ. وَلا يَجْهَلُ، فَإِنْ جُهِلَ عَلَيْهِ حَلُمَ، وَلا يَظْلِمُ، فَإِنْ ظُلِمَ عَفَى، وَلا يَبْغِي، وَإِنْ بُغِيَ عَلَيْهِ صَبَرَ، يَكْظِمُ غَيْظَهُ لِيُرْضِيَ رَبَّهُ، وَيَغِيظَ عَدُوَّهُ، مُتَوَاضِعٌ فِي نَفْسِهِ، إِذَا قِيلَ لَهُ الْحَقُّ قَبِلَهُ، مِنْ صَغِيرٍ أَوْ كَبِيرٍ، يَطْلُبُ الرِّفْعَةَ مِنْ اللهِ –عزّ وجلّ– لا مِنْ الْمَخْلُوقِينَ، مَاقِتًا لِلْكِبْرِ، خَائِفًا عَلَى نفْسِهِ مِنْهُ.

لا يَتأكَّلُ بِالْقُرْآنِ، وَلا يُحِبُّ أَنْ تُقْضَى لَهُ بِهِ الْحَوَائِجُ، وَلا يَسْعَى بِهِ إِلَى أَبْنَاءِ الْمُلُوكِ، وَلا يُجَالِسُ بِهِ الأغْنِيَاءَ لِيُكْرِمُوهُ.

إِنْ كَسَبَ النّاس مِنْ الدّنيا الْكَثِيرَ بِلا فِقْهٍ وَلا بَصِيرَةٍ، كَسَبَ هُوَ الْقَلِيلَ بِفِقْهٍ وَعِلْمٍ، إِنْ لَبِسَ النّاس اللَّيِّنَ الْفَاخِرَ، لَبِسَ هُوَ مِنْ الْحَلالِ مَا يَسْتُرُ عَوْرَتَهُ، إِنْ وُسِّعَ عَلَيْهِ وَسَّعَ، وَإِنْ أُمْسِكَ عَلَيْهِ أَمْسَكَ، يَقْنَعُ بِالْقَلِيلِ فَيَكْفِيهِ، وَيَحْذَرُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ الدّنيا مَا يُطْغِيهِ)

نبدأ بالصّفات الّتي تتصل بمعاملته لنفسه مع النّاس، هو تكلّم سابقًا عن صفة التّقوى والورع ثمّ تكلّم عن صفته مع لسانه أنّه إذا تكلّم تكلّم بعلم والآن نرى موقفه مع النّاس:

(**لا يَمْدَحُ نَفْسَهُ بِمَا فِيهِ، فَكَيْفَ بِمَا لَيْسَ فِيهِ**): الدّاء الأعظم في الواقع: المدح، فحامل القرآن ما حاله؟

(**لا يَمْدَحُ نَفْسَهُ بِمَا فِيهِ، فَكَيْفَ بِمَا لَيْسَ فِيهِ**): ولذا تجد حامل القرآن يركّز على خراب قلبه، يركز على ما فسد من قلبه، يظهره أمام عينيه، يرى أنّ هذا فاسد وهذا فاسد، فإذا كان هذا فاسدًا وهذا فاسدًا كيف سأمدح نفسي! بمعنى يقلّل قيمة نفسه أمام نفسه، ويبقى شيء مهم جدًا في هذه المسألة وهي أنّ الإنسان يقلّل نفسه لكن يعظّم شأن نعمة ربّه عليه، فإذا أظهر لنفسه ما في قلبه من فساد، جاء على ما أُنعم عليه به فنسبه كلّه لله وعلم أن الله تفضّل عليه بهذا الأمر، بمعنى أنّك حافظ، نبيه، سريع البديهة، تستطيع أن تفهم، صابر على الطّلب والعلم، هذه كلها صفات فيك، لا تأتِ تقول لأحد: أنا أصلًا صبور وصبرت! لا تقل "أنا" في الموضوع كلّه، انظروا كيف بدأ:

(**يَنْبَغِي لِمَنْ عَلَّمَهُ اللهُ الْقُرْآنَ**): فلا بد أن تكون صيغة الكلام واضحة النّسبة له، تقول: الله -عزّ وجلّ- ربط على قلبي، الله يسّر لي، الله -عزّ وجلّ- أعطاني، وفّقني الله. أنت تتكلّمين عن الله ولا تتكلّمين عن نفسك، هناك فرق في منطلق الكلام، **المادح لنفسه تجده يبدأ الكلام عن نفسه ثمّ من أجل أن يحل المشكلة يقول: "وهذا فضل الله"** بعدما يكون أشبع ما في داخله من حبّ المدح وهذه البليّة العظيمة، لا نريد هذا الكلام، إنّما {**وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ**}[1] نريد أن تكون بداية كلامنا خبرًا عن الله، في أي جملة

(1) سورة الضّحى: 11.

عندك "مبتدأ وخبر" ضعي المبتدأ كلامًا عن الله والخبر عنه أيضًا، وأنت اذكري حالك كنموذج، مثلًا كنت بعيد والله أتى بك، لا تقل: "كنت أفكر وأبحث" ! بل قل: "انظر لطف الله كيف يلطف بعباده، يلقي عليهم أمورًا، أو يضيّق عليهم شؤونًا من أجل أن يأتوا إليه كما فعل معي". فالمبتدأ والخبر عن الله؛ لأنك لو وضعت المبتدأ نفسك والخبر عنها وفي النّهاية وضعت جملة اعتراضية "إن هذا من فضل الله" فهذه صيغة من صيغ مدح المستقيمين! المستقيمون عندما يريدون أن يمدحوا أنفسهم يلصقون في نهاية كلامهم "هذا فضل الله" .

وليُعلم أنّ التّوحيد –هذا الّذي ينجّي العباد– أصله يدور حول مسألة أن يكون الإنسان شاغله مدح الله له، التّوحيد كلّه يدور حول هذا الأمر، من أجل أن تكون موحدًا على الحقيقة يجب أن تحمل همًّا في قلبك "من أنا عند الله؟" وحاجتك للمدح الّتي خلقها ربّنا فيك لا تستخدمها بالطّريقة الّتي تضيّعك إنّما استخدمها بالطّريقة الّتي تنفعك، أنت محتاج أن تُمدح، اشغل تفكيرك طوال الوقت أن تصل إلى مدح الله وثنائه، وهذا يسمّى "توحيد طلب الثّناء" أن لا يكون في قلبك إلّا ثناء الله، وهذه من المشاعر الّتي يجب أن تكون في قلبك وقتما تقول أذكار الصّباح والمساء، نحن نسمع في سورة الأحزاب الله –عزّ وجلّ– يقول: {**يا أَيُّهَا الّذينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصيلًا (٤٢) هُوَ الّذي يُصَلّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ**}. {**يُصَلّي عَلَيْكُمْ**} أي: يثني عليكم في الملأ الأعلى، معناها عندما تكون طالبًا للمدح من الخلق فاعلم وقتها أنّ قلبك التفت إليهم وتركت طلب ثناء الله لكن اذكر الله يثني عليك في السّماء، أنت تحتاج المدح ولا يعيبك، نحن لا نقول: "طهّر قلبك من حاجتك للمدح"، بل نقول: "طهّر قلبك من حاجتك إلى مدح النّاس واجعل مدح النّاس لك إنّما هو من آثار ستر الله عليك" بمعنى أنه يحصل أنّ يمدحك النّاس فلا تتمتّع بمدحهم **وقل لنفسك من الدّاخل**: "والله لو تعرفوني لما مدحتموني" وقلها حقيقة، والأمر الثاني المهم: أنّك تقول: "أنت لا ترى إلّا بعين السّتر وهذا من جميل السّتر، من جميل الجبر أن أكون مكسورًا من أوّلي إلى آخري لكن من ينظر من الخارج لا ينظر إلى مكسور ويظن أنّي تام الصّورة" فهذا من آثار اسمه الجبّار واسمه السّتير، إذًا اجعل المدح وسيلتك لله عزّ وجلّ، وإذا اهتممت بهذا يحصل العلو ويحصل التّوحيد وتصبح واحدًا في الأرض لواحد في السّماء، بدلًا من هذا التّشتّت الّذي يعيشه النّاس وأصبحوا يتكفّفون ويشحتون كلمات الثّناء! وتجده يسهر طوال ليله ويقول لنفسه: "أنا الآن أفعل هذا وغدًا سينبهرون منّي!" فيبيت اللّيل بدلًا من أن يناجي ربّه أن يقبل عمله، يبيت اللّيل يفكر في ثناء النّاس في الصّباح!

قال: (**يَحْذَرُ مِنْ نَفْسِهِ أَنْ تَغْلِبَهُ عَلَى مَا تَهْوَى مِمَّا يُسْخِطُ مَوْلاهُ**): هذا الكلام يذكّرنا بأوّل الكلام في التّقوى ومعناه أنّ طالب العلم حامل القرآن عليه أن يعرف أنّه داخل معركة مع نفسه، ويخاف أن تغلبه على الهوى فيسخط مولاه، فيجاهد نفسه من أجل أن لا تغلبه.

قال: (**لا يَغْتَابُ أَحَدًا، وَلا يَحْقِرُ أَحَدًا، وَلا يَسُبُّ أَحَدًا، وَلا يَشْمَتُ بِمُصِيبَةٍ، وَلا يَبْغِي عَلَى أَحَدٍ، وَلا يَحْسِدُهُ، وَلا يُسِيءُ الظَّنَّ بِأَحَدٍ إِلّا بِمَنْ يَسْتَحِقُ**): **لماذا ذكر هذه الصّفات خصوصًا وأبرزها في صفات حامل القرآن؟** الغيبة، الاحتقار، السّبّ، الشّماتة، البغي، الحسد، إساءة الظّن، هذه صفات مذمومة عند كلّ النّاس لكن لحامل القرآن خاصّة، مشكلة حامل القرآن أنّه يتعرّض لهذا كلّه ويمكن أن يلبّس عليه الشّيطان أنّه من مخرج شرعي.

فنأتي للغيبة ومعروف من أين يأتي التّلبيس، مشكلة هذه الأمور أنّها يلتبّس فيها الحقّ بالباطل، بمعنى أنّ الإنسان يغتاب ويقول لنفسه: "أنا أدافع عن الدّين!" أو يأتي مثلًا في قلبه حرارة على دينه ويكره غير المستقيمين، هذه الحرارة تنقله من الحرارة على الدّين إلى احتقار النّاس، هذه الأمور كلّها الّتي ذكرها كأنّ فيها مزلّة قدم لحافظ القرآن، وقد يجعلك الشّيطان تحتقر أحدًا ويقول لك: "أنت لا تحتقره إنّما يستحقّ أن يُحتقر!" وكأنّه ييسّر عليك القيام بالعمل ويصبح مستساغًا، والحلّ أن تفرّق بين الحقّ والباطل في المسألة وأن تكون تقيًا من أوّل الأمر؛ لأنّ كثير من النّاس الّذين يشتغلون في إدارات المراكز –أو حتّى الزّميلات مع بعضهنّ البعض لكن الإدارات خصوصًا– كأنّ سياستها من الصّباح إلى المساء أن تغتاب، وكثير ما يحصل هذا، من أجل أن أحلّ المشكلة أتكلّم وأتكلّم، ومن أجل أن أحلّ المشكلة أنادي هذا وأدخّله في القصة وهذا أدخّله في القصة، فأجد أنّي اغتبت طوال يومي وهذا كلّه على أنّي أحل المشكلة وأنا في الحقيقة أضخّمها! من مناقب البخاريّ وهو يتكلّم عن الرجال أنّه ما تكلّم على رجل صاحب عيب بأكثر من كلمتين، يقول: "لا يؤخذ عنه"، فقط، المقصد أنّنا بعد أن نبذل جهودنا في التّقوى ونصحّح نيّاتنا، نصل إلى أن نقول كلمة مختصرة.

قال: (**وَلا يَسُبُّ أَحَدًا، وَلا يَشْمَتُ بِمُصِيبَةٍ**): لماذا يقول لأهل القرآن: "لا تشمتوا بمصيبة"؟ لماذا يقال لنا لا تشمتوا بمصيبة؟ ونحن نسير في طريقنا إلى الله ونحفظ القرآن سويًا يحصل شيء خطير جدًا وهو مسألة التّحزب، فهؤلاء عندهم مركز وله اسم وهؤلاء عندهم مركز وله اسم وأصبح ولاء الّذين هم داخل هذه المراكز ليس لله وللقرآن وإنّما ولاؤهم للمكان، وللاسم، عندما يكون ولاؤهم للاسم ويصبح هناك تحزّبات –وهي تدخل على القلب بدون أن يشعر الإنسان نتيجة أنّ هناك إدارة تدفع النّاس أن ارتبطوا بنا وارتبطوا

بمكاننا- تأتي الخطوة الّتي بعدها أنّ هؤلاء الجماعة أحبهم وهؤلاء الجماعة لا أحبهم، وهؤلاء الجماعة أعمل معهم مشاريع وأفتح لهم أبوابًا وهؤلاء الجماعة أخبّئ منهم أغراضي ولا أقول لهم ماذا عندي، فتكبر المسألة، ثمّ أحتقرهم، وكلّما أقاموا مشروعًا أقول: "ليس نافعًا وغير محقّق للأهداف...إلى أخره" إلى أن أصل إلى خطوة أنّه لو لم ينجح برنامجهم ولم يأتهم أحدًا وخرج الطّلاب من عندهم؛ أشمت فيهم!!

المقصد، عدّوا وامشوا معه ستجدون أنّ كلّ الكلمات الّتي يقولها مضمونها: احذر أن تكون حزبيًّا" لا تغتاب، لا تحتقر، لا تسبّ، لا تشمت، وهذا كلّه يحصل عندما يكون النّاس أحزابًا لا يتعاملون على أنّنا كلّنا شيء واحد ونريد أن نصل إلى طريق الله وولاؤنا لله وليس لهذا الاسم الّذي في الوسط بيننا وبين الله، ونرتبط ببعضنا من أجل أن النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- قائد لنا، وهذه الحزبيّة كالسّم وهي أخطر ما لدغ العالم الإسلاميّ، سرى سمّها في كلّ مكان، صار النّاس غير مستعدين للتّعاون؛ لأنّ هذه مدرستي، هذا مركزي، هذا حزبي، وحتّى لو ما كانت أحزابًا معلنة وإنّما هي أحزاب داخليّة، فتصوّري أنّ البلدان أصبحت مقسّمة إلى أحزاب ثمّ المدن أصبحت داخلها أحزب ثمّ المستقيمون بدلًا من أن يقودوا المجتمع من أجل أن يصل إلى الحقّ، أصبحوا يقودون جماعتهم فقط ومدرستهم! فبسبب الحزبيّة ظهرت هذه الأخلاق، غالبًا تبدأ بالاحتقار والغيبة والسّبّ وتنتهي بالتّشمّت.

إذًا هناك ممارسات تفعلها النّاس إنّما هي من غلبة الهوى والإنسان يتصوّر أنّ هذه قربة إلى الله وأنّه يسير على الطّريق المستقيم وأنّ هذه طاعة وعبادة لله، ثمّ أتى الآن بالتّمييز قال: (**يَحْسِدُ بِعِلْمٍ، وَيَظُنُّ بِعِلْمٍ، وَيَتَكَلَّمُ بِمَا فِي الإِنْسَانِ مِنْ عَيْبٍ بِعِلْمٍ، وَيَسْكُتُ عَنْ حَقِيقَةِ مَا فِيهِ بِعِلْمٍ**.):

كيف يحسد بعلم؟ هذا الّذي نعرّفه باسم الغبطة أن تتمنّى الخير ولا تتمنّى زواله عن غيرك هذا يسمى حسد بعلم، في الحسد بالعلم هناك مسألتان:

المسألة الأولى: هذا طالب العلم حامل القرآن يحسد بعلم أي يتمنّى الشّيء المهم العظيم -وعرف أنّه مهم وعظيم بعلمه- وفي نفس الوقت حين يتمنّاه لنفسه لا يتمنّاه لدنيا، بل يتمنّى ويحسد في شيء متّصل بدينه وليس بدنياه.

المسألة الثّانية: هذا الشّيء الّذي تمنّاه وينفع دينه لا بد أن يكون يطلبه لدينه؛ لأنّك مثلًا تجد حافظًا لكتاب الله وماهرًا وقد أعطي صوتًا نديّا، فأنت تتمنى أن تكون مثله لكن فكر جيّدًا لماذا تتمنّى ؟! تتمنّى من أجل أنّك ترى النّاس ملتفين حوله أو تتمنى لأنّ هذا الصّوت الشّجي يساعدك على أن تجمع قلبك وتتغنّى بالقرآن، تتمنّى هذا شأن الدّين للدّين أو تتمنى شأن الّدين للدّنيا؟!

بقي شيء لتبقى غبطة حقيقية: عندما تتمنّى الدّين للدّين لا تعتبر نفسك أهلًا للعطيّة إلّا أن يتفضّل الله عليك لأنّ مجرّد شعورك أنّك أهل للنّعمة هذا فيه سوء أدب مع الله، عندما تري النّاس عندهم نِعَم لا بدّ أن تعرف أنّ ما قسم لك هو الّذي ينفعك، فأنت راضٍ عن الله، ما أعطاك صوتًا نديًا، ما أعطاك كذا من الأشياء أنت ما أتاك هو الّذي ينفعك فتمتّع به، لكن من حبّك في الدّين تتمنّى أن يكون عندك صوت نديّ، تتمنّى أن تكون حافظ هذبه المهارة، فأنت تقول: أن ما قسم لي خير لي لكن أحب أن يكون عندي هذا لديني وأنا لست أهلًا له لكن إن تفضّل الله أصبح الفضل كلّه لله.

أصبحت لي ثلاث شروط:

الشّرط الأوّل: أن تتمنى شيء يتّصل بالدّين.

الشّرط الثّاني: أن تتمنّاه للدّين.

الشّرط الثّالث: ألّا تعتبر نفسك أهلًا له، لكن إذا تفضّل الله فالحمد لله، وإذا ما تفضّل عليّ فقد تفضّل عليّ بالكثير وهو – سبحانه وتعالى– حكيم يعطي من يشاء ما يشاء وكلّه بحكمة.

ولا بدّ أن تعرفوا أنّ هذا التّمني والأحلام باب من أبواب الطّاعة والقربى إلى الله، وقد عقد البخاريّ كتاب في صحيحه اسمه: (كتاب التّمنّي) وما أطيب أن تقرؤه إن كنت ستناقش أي أحد في أحلامه وأمانيه.

فهمنا كيف يحسد بعلم؛ بقي عليّ (يظنّ بعلم) كيف يظنّ بعلم؟ أول شيء نقرره أن الله –عزّ وجلّ– قال: {إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ}[1] سنقول أوّلًا: هذا إذا ظنّ فظنّه يتّصل بشأن مصلحته في دينه؛ لأنّه يخاف على دينه ويهتم بشأن دينه ويحذر من أن يُمكر به في دينه. ولا يخاف على دنياه، هؤلاء سيسرقوني وهؤلاء سيحسدوني لا، كلّ هذه الظّنون لا تدخل عنده؛ لأنّه يعلم أنّه في حفظ الله، في رعاية الله، في حمى الله.

ونفصّل أكثر نقول: لا تشعر أنّ العالم سالم وليس هناك أحد يكره أن يستقيم النّاس، لا، الله يقول في سورة الحج عن سنّة ماضية إلى قيام السّاعة: {هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ}[2] . إذًا هذا الشّيء مفهوم أنّ هناك أحد يكره أن يستقيم النّاس على الدّين هذه سنّة ماضية، وأنت لست مقصودًا كشخص لكن الاستقامة والمستقيمين والصّلاح والصُّلاح، وأنت ممكن أن تكون العين الّتي رأوها فيمكروا بك مكرًا يشعروك أنّك ستزداد دينًا، ستزداد علمًا، وستتفتّح وتستنير، مثلما مرّ على الأمّة الإسلامية في السّبعينات مرحلة التّنوير وإنّما كانت هذه إيذانًا بالشّيوعية تصرخ في كلّ مكان وكانوا يرون أنفسهم التّنوير ولازال، المقصد أنّ هناك من يمكر، فأنت حين تأتيك بعض الأفكار ولا تعرف ما هي وكلام لا تفهمه يحمل الحقّ ويحمل الباطل، فتقول: أنا أظنّ هذا لا يصلح، أظن هذا من المكر، أظن هذا لا ينفعنا، هنا ظنّك في مكانه، هنا ظنّك صحيح، يقولون لك: لا تسيء الظّن بالنّاس والنّاس ماذا يريدون منك! تقول: أنا لست كفرد مستهدف، لكن هذه سنّة الله {هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ} وستبقى هذه السّنّة إلى قيام السّاعة.

فحين تأتيك أفكارًا ويأتيك ناس يقولون لك: هنا الصّلاح وهنا الهدى، قل لهم: {إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَى اللَّهِ}[3] نحن عندنا مشكلة أخرى أن ينداديك أحدهم لبرنامج ويكون عبارة عن كلام النّاس. هل يقصد أن يشتّتني؟ هذه المسألة ليس هناك أحد يجزم بها، كثير ممن دخلوا في هذه الأمور وأدخلوا على المسلمين مصطلحات وكلمات ومفاهيم ليس لاه وجه من الحقيقة هم بأنفسهم لا يعرفوا، وكانوا مجرّد ضحايا، أداة، فظنّك لا بدّ أن يكون في مكانه، قد يأتيك من بعيد أمر فتنة ولا تظهر ملامحه لكن في نفسك تظنّ أنّه شرّ وفتنة، لا تظهر ملامحها والنّاس يقولون لك: اذهب للدّرس يقولون فيه آيات من القرآن. هناك لغة تمجّها قلوب المؤمنين حاملي

(1) سورة الحجرات: 12.

(2) سورة الحج: 19.

(3) سورة آل عمران: 73.

القرآن، لغة لا تحتملها؛ لأن من تعوّد أن يشرب ماءً زلالًا أي نقطة كدر يشعر بها، فهذا المقصود أنّك إذا صفيت لا تكدّر على نفسك، وحين يأتيك مثل هذا ظنّ فيه ولا تسلّم نفسك لأي أحد، فهذا يظنّ بعلم، هناك كلمات تخيفه، ليست وسوسة، وحين تشعر بالرّيبة اذهب استشِر أحد تثق في دينه، وأنت في الطّريق له تذلّل لله أن يرشدك إلى الحق، لا تنسوا كلام النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– لعليّ حين قال له: (**قُلِ اللَّهُمَّ اهْدِنِي وَسَدِّدْنِي**).

(**وَيَتَكَلَّمُ بِمَا فِي الإِنْسَانِ مِنْ عَيْبٍ بِعِلْمٍ**): حين يستشيرك أحد وأنت تعلم عيوب في حالات الزّواج، في القضاء، في المظلمة، في المحاكم، كلّ هذه حالات يجوز فيها للإنسان أن يتكلّم ويخبر عن العيب، الآن عندما يأتي الخاطب يسألك، لا تقل: "لا أريد أن أغتاب" وتضع الكلام في مكان غير مناسب، هنا يجب عليك أن تقول، توجد مظلمة وأحد يقول لك: "هل تشهد أنّ هذا ظلم هذا؟" فتقول: "لا أريد أن أغتابه!" ، هنا يجوز.

لكن الآن طلبوه للشّهادة في المحكمة ما المطلوب منه؟ في المحكمة يتكلّم وليس من بيته إلى المحكمة وهو يكلّم كل النّاس الّذين في الطّريق ويقول: "أنا سأذهب أشهد!" هو يعرف أين يتكلّم فيتكلّم في المكان الصحيح؛ لأنّ النّساء دائمًا تسأل بعد هذا الكلام: "هل يجوز للمرأة أن تشتكي زوجها؟" فنقول لها: نعم، فلا تجعل أحد في البلد إلّا وتحكي عن زوجها ثمّ تقول: يجوز! لا، بل بذلك هي تضع الكلام في مكان غير مناسب.

قال: (**وَيَسْكُتُ عَنْ حَقِيقَةِ مَا فِيهِ بِعِلْمٍ**): مثلًا عندنا مواقف بين النّاس وبين وليّ الأمر، وليّ الأمر يدير المكان، وليّ أمر المدرسة، وليّ أمر البيت، وليّ أمر الدّول والأماكن، أنت رأيت عيوبًا فتقول لنفسك: "أنت ساكت عن الحقّ وشيطان أخرس!" وتذهب وتحشد كلّ من تستطيعه وتقول في النّاس: "لا بدّ أن أنكر" نقول: حين تتكلّم بعلم وحين تسكت تسكت بعلم، أنت تعرف أنّ كلّ النّاس الّذين ستقول لهم لن يغيّروا هذا المنكر إنّما سندفع الثّمن كما هو حاصل حولنا، ونخالف وليّ أمرنا وندخل في الفتن والنّبيّ –صلى الله عليه وسلم– قال: (**فإِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً، فَاصْبِرُوا حتَّى تَلْقَوْنِي علَى الحَوْضِ.**)[1] فلا تقل: "نحن صابرون منذ ثلاثين سنة وأربعين سنة" لا يصحّ إنّما (**فَاصْبِرُوا حتَّى تَلْقَوْنِي علَى الحَوْضِ**).

(1) أخرجه البخاريّ (3163)، والأثرة: الأنانيّة، تفضيل الإنسان نفسه على غيره.

فالمقصد أنّك تعرف العيب لكنّك تسكت بعلم، يأتي من يقول لك: ما هذه العين الورديّة الّتي ترى بها الحياة!، نقول: نحن لسنا عميًا بل نرى لكنّنا نقدّر الأمور ونضع كلّ شيء في مكانه، وحين نسكت نسكت بعلم، واحذر أن يأتي أحد يثيرك بكلامه ويقول: "أنت تتملّق أهل الدّنيا" أو يأتيك من جهة أخرى ويقول لك: "أنت صاحب دين، انظر الدّين ليس موجودًا هنا وهنا وهنا" نقول: صحيح لا ننكر هذا لكن **من أجل أن يرجع الدّين لا بدّ أن يرجع أهل الدّين، انشر الحقّ ينتشر الحقّ**، أمّا ما يسمّونه "ربيعًا عربيًّا" إنّما هو ربيع اليهود وليس ربيع الإسلام، واستطاعوا أن يصلوا عن طريق الجهّال، فساعدهم على ذلك ثلاثة عناصر معروفة:

- من الدّاخل أناس مستقيمون وعندهم حرارة لكنّها حرارة ليست في مكانها وبجهل.
- وهناك المنافقون الّذين يستغلّون المسألة.
- وهناك الأيدي والأذرع الّتي تدخل من الخارج.

فتعاونت هذه العناصر سويًّا ودفعت العالم الإسلاميّ لما ترونه، أنت تعرف الحقّ لكنّك تسكت، تعرف متى تتكلّم ومن تكلّم؛ لأننا أنفسنا عندما نكون في بيوتنا ونجد أولادنا يذهبون يشتكونا في كلّ مكان والنّاس ينظرون لنا نظرة احتقار، انظري كيف يكون في قلبك من مشاعر غضب على أبنائك أن يفعلوا بك هذا الفعل، ونحن بالنّسبة لوليّ الأمر نفس الحالة حتّى لو حصل تقصير وحصل خطأ ثمّ من يريد أن تستقيم له الأمور فليستقِم هو أوّلًا مع ربّه، والله -عزّ وجلّ- ما جعل الدّنيا مكانًا لتحصيل الحقوق، هذا من الخيال أن تعتقد أنّ كلّ الحقوق تأخذها في الدّنيا، إنّما جعلت مكانًا للاختبار في الحقوق، فعليك أن تبذل جهدك أن تعطي ما تستطيع وحين يأتيك حقّك ناقصًا كن ذاكرًا أنّك أيضًا تؤدّي الحقوق ناقصة والجبر على الله -عزّ وجلّ- في الأخذ والعطاء.

نسأل الله -عزّ وجلّ- أن نكون ممّن يتكلّم بعلم ويسكت بعلم، وعلينا أن نحذر لأنّه قد ورد في الأثر "أن الخروج يكون بشّق كلمة"، يعني حتّى لا يتكلّم بكلمة كاملة إنّما بشقّ كلمة، فهذا الكلام خطير لا بدّ أن نفهمه جيّدًا ونعرف أنّ حامل القرآن يعرف متى يتكلّم ومتى يسكت.

قال: (**قَدْ جَعَلَ الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ وَالْفِقْهَ دَلِيلَهُ إِلَى كُلِّ خُلُقٍ حَسَنٍ جَمِيلٍ**): ما أطيب هذا الكلام كأنّها قاعدة واضحة، أنا أحتاج دائمًا في سيري إلى دليل فالقاعدة تقول: إنّ حامل القرآن لا يتّخذ غير القرآن والسّنّة دليل، هات الكلام على النّفي، أراد أن يقول النّفي بمعنى: لا أستقبل غير القرآن والسّنّة يدلّاني، وحتّى لو قرأت في أيّ ثقافة من الثّقافات الأخرى بالنّسبة لك تكون منتقدة، تنتقدين الثّقافات، لا تقولي: "أنتقي من غير القرآن والسّنّة". نقول: لا تنتقي إنّما إذا كنت لأيّ سبب لك علاقة بالثّقافات الأخرى –والأصل أن لا تكون لك علاقة– اجعليها قراءة انتقاد وليست قراءة انتقاء لآخذ لنفسي، إنّما لتقولي: انظروا الشّيوعيّة كيف هدّت النّظام الأخلاقيّ، انظري الرأس ماليّة هدّت النّظام الأخلاقيّ، هذا إذا قرأت في غير الإسلام والسّنّة لكن أنت تريدين دليلًا يدلّك كيف تتصرّفين في المواقف التّفصيليّة، اجعلي القرآن والسّنّة دليلًا إلى كلّ خلق حسن جميل. واعلمي أنّك إذا لم تكن لك علاقة بالثّقافات الأخرى فلن يضرّك ذلك؛ لأنّ قلبك مكان واحد لا يسع الحق والباطل، وليس في عمرك وقت تقضينه لتختبري أدلّة الثّقافات الأخرى صواب أم خطأ، لو أردت أن تختبري كلّ دليل يمرّ عليك فقد تذهبين معه إلى الطّريق المسدود وقد لا تستطيعين العودة!

سينتقل الآن إلى الجوارح، قال: (**حَافِظًا لِجَمِيعِ جَوَارِحِهِ عَمَّا نُهِيَ عَنْهُ، إِنْ مَشَى مَشَى بِعِلْمٍ، وَإِنْ قَعَدَ قَعَدَ بِعِلْمٍ**): ما معنى "مشى" و"قعد" هنا؟ "**إذا مشى**" أي إذا قرّر مثلًا أن يدخل مسألة، و"**إذا قعد**" أي: إذا قرّر أن لا يدخل في مسألة.

نجمع الكلام مع بعضه: هو جعل القرآن والسّنّة دليله، وهو حافظ لجوارحه، إن مشى وأخذ قرار أن يستمر مشى بعلم، وإن قعد قعد بعلم.

الآن سيحتك بالنّاس في قراراته وتصرّفاته: (**يَجْتَهِدُ لِيَسْلَمَ النَّاس مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ**) هذا واحد يعرف مَن هو ويعرف الشّر الموجود في داخله، فكّري في دعاء الخروج ما هو دعاء الخروج؟! (**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَضِلَّ**) أوّل شيء أنا الّذي أفعل (**أَوْ أُضَلَّ، أَوْ أَزِلَّ أَوْ أُزَلَّ، أَوْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ، أَوْ أَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ**) فقبل أن تفكّر أنّ النّاس يضرّونك وشرّهم مستطير عليك فكّر أنّ شرّك على النّاس مستطير، فكّر في ذلك من أجل أن يسلم النّاس من شرّك ولا تمارس هواك عليهم.

(**يَجْتَهِدُ لِيَسْلَمَ النَّاس مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ. وَلا يَجْهَلُ، فَإِنْ جُهِلَ عَلَيْهِ حَلُمَ، وَلا يَظْلِمُ، فَإِنْ ظُلِمَ عَفَى، وَلا يَبْغِي، وَإِنْ بُغِيَ عَلَيْهِ صَبَرَ، يَكْظِمُ غَيْظَهُ**) لماذا؟ (**لِيُرْضِيَ رَبَّهُ، وَيَغِيظَ عَدُوَّهُ**) لهذا السّبب هو يكظم غيظه، ليس من أجل أنّه لم تأته الفرصة بعد ويجمع

غيظه للمرّة القادمة؛ لأنّ عدوّنا الشّيطان ماذا يفعل بنا؟ نكون وفّقنا في الموقف أن نكظم غيظنا، أو أحيانًا يكون أحد باغتك بالكلام أو التّصرّف فما استطعت أن تفعل ردّة الفعل الّتي على بالك –الحمد لله ربّنا ستر عليك وما أعطاك القوّة على ذلك– هل ترجع البيت وتقول: الحمد لله أنّ ربّنا وفّقني لهذا؟ لا، يجعلك الشّيطان ترجع البيت تشحن وتستعد للّقاء القادم، إلى أن تمتلئ نفسك على آخرها ثمّ تنتظر اللّقاء القادم وتفجّر أنت الموقف! فهو يقول: (**لِيُرْضِيَ رَبَّهُ، وَيَغِيظَ عَدُوَّهُ**) وأنتم لا تعرفون كيف أنّ غيظ العدوّ طاعة وعبادة، **وقتما تغيظ الشّيطان تكون قد عبدت الرّحمن**، أمّا أعلى إغاظة في مثل هذه المواقف يهرب منك الشّيطان بسببها ولا يأتيك بسيرة الموضوع مرّة أخرى، أنّه كلّما ذكّرك بهذا الّذي أغاظك دعوت له، لو دعوت له الشّيطان لن يذكّرك به، يهرب هروبًا تامًا؛ ولذلك هذه الإغاظة بنفسها نوع عبادة.

من صفات حامل القرآن أنّه (**مُتَوَاضِعٌ فِي نَفْسِهِ، إِذَا قِيلَ لَهُ الْحَقُّ قَبِلَهُ، مِنْ صَغِيرٍ أَوْ كَبِيرٍ**.) التّواضع في شأن كلّ أحد مختلف، بمعنى أنّك تكون مثلًا صاحب جاه أو لك عائلة معروفة لها اسم، فهذه العوائل معروف أنّها إذا ذكر اسمها يحصل لها مكانة اجتماعيّة عند النّاس مباشرة أيًّا كان فأنت عندما تكتب اسمك في أي مكان التّواضع هنا أن تكتب اسمك ولا تكتب اسم العائلة، هذا حين تكتب اسمك في شيء ليس له حاجة، ليس في أماكن رسميّة. ولم يقصد التّواضع بمعنى حبّ الفقراء أو الزّهد في الشّراء، بل قصد نوع خاصّ من التّواضع، إنّما قصد التّواضع بمعنى إذا قيل له الحق قبله لأنّ كلّ المعركة عند حامل القرآن فكريّة، عنده علم ويفهم المسائل فمن أجل أنّها فكريّة صار التّواضع في حقّه أنّه عندما يأتي أحد يقول له علم أو يقول له رأي بدليل؛ عليه مباشرة أن يسكت ويسلّم.

فأنتم لا بدّ أن تفهموا أن كلّ هذه الصفات في كلّ وضع على حسبها، فالتّواضع عند حامل القرآن يدور حول هذا المعنى وهو سيذكر تفاصيل للتّواضع وأوّل التّفاصيل أنّه إذا عُرض عليك الحقّ تقبله. هل المناقشة تعتبر ردًا للحقّ؟! لا، المناقشة ليست ردًا للحق إنّما المناقشة أحيانًا تكون من أجل أن تفهم المسألة بتفاصيلها، لكن في أحيان كثيرة نحن لا نتلمّس قلبنا وقت المناقشة ولا نعرف لماذا نناقش، فأناقش وأنا محترقة لنفسي ثمّ أقول: "كلّ شيء قابل للنّقاش وأنا لا أقصد إلّا أنّي أفهم" هذا الكلام تكذب به على النّاس لكن الله مطّلع على ما في قلبك وأنّك تناقش وتجادل كبرًا، وليعلم أنّ من ناقش وجادل كبرًا تغلق عليه المسألة، لا تدخل إلى قلبه جزاء له، ومن جرّب سيعرف هذه المسألة.

قال: (**إِذَا قِيلَ لَهُ الْحَقُّ قَبِلَهُ، مِنْ صَغِيرٍ أَوْ كَبِيرٍ.**): "صغير وكبير" يقصد به في السّن ونحن بالنّسبة لنا هذه ليست مشكلة كبيرة لأنّ كلّ النّاس يرون أنفسهم صغارًا فقد لا نشعر بهذه المشكلة، والنّساء خصوصًا يشعرون أنّ هذه المسألة بعيدة عنهم! لكن "صغير وكبير" لها معني آخر وهو: "صغير وكبير" من جهة العلم، واليوم النّاس عندهم فنّ الألقاب، على المستوى الأكاديمي: الأستاذ والدكتور وإلى آخره، وعلى مستوى حملة القرآن عندنا الشّيخة وعندنا الحافظة إلى آخره، يضعون ألقابًا، تجد أحدهم تقول لأخرى: لا تنسي أنّي مجازة، لا تنسي أنّي أعلى منك في كذا وأكثر خبرة منك وتستعرض ما عندها، وخصوصًا فنّ كتابة السّيرة الذّاتيّة، يقال لك: اكتب كلّ شيء، من أجل أن ينتفع النّاس ورائك! أيّ انتفاع يأتي من وراء من يقول: أنا، أنا؟! فأنت في هذا كلّه تكون صغيرًا وتكبّر نفسك، تكتب وتقول: ما شاء الله عليّ كلّ هذا فعلته! فأنت بنفسك يدخلك العجب، فهذه السّيرة الذّاتيّة ليست من كلامنا ولا من ثقافتنا وليس لنا علاقة بها أبدا إنّما بكلمات مختصرة تستطيع أن تعرّف نفسك فيها للحاجة، وعندما تكون لست محتاجًا فلا تفعل.

قال: (**مُتَوَاضِعٌ فِي نَفْسِهِ، إِذَا قِيلَ لَهُ الْحَقُّ قَبِلَهُ، مِنْ صَغِيرٍ أَوْ كَبِيرٍ. يَطْلُبُ الرِّفْعَةَ مِنْ اللهِ –عزّ وجلّ– لا مِنْ الْمَخْلُوقِينَ**): مباشرة ستجدون أنّ حاجة الرّفعة موجودة فيأتيك الحلّ المباشر: لا تطلب الرّفعة من النّاس واطلبها من الله، أنت محتاج أن تكون لك مكانة ومحتاج للمدح فيقال لك: أشبع حاجتك هذه بطلبها من الله، أهم شيء يكون لك مكانة عند الله، أهمّ شيء الرّفعة عند الله، وهذا ليس كلام تقوله إنّما هذه مشاعر تعالجها، تجاهد، تقول أهمّ شيء: من أنا عند ربّي.

ثم يقول: (**مَاقِتًا لِلْكِبْرِ**): هذا غير علاج الكبر، هناك عبادة المقت للكبائر إلى أن يصل الإنسان أن يمقت نفسه قربة إلى الله، أنت تكره الكبائر كلّها، وحين تمرّ على خاطرك الكبائر وتجد في نفسك كبيرة من الكبائر لا تكرهها ارجع لأوّل الكلام وعالج ما خرب من قلبك.

الآن الكبائر كلّها تكرهها ووقع في قلبك الكراهية وحصل منك أنّك مارست إحداهم فلنفترض أنّك مارست الكبر ستنتقل من مقت الكبر نفسه إلى مقت نفسك لأنّك تكبّرت، وإذا مقتّ نفسك تكون قد تقرّبت إلى الله، فنحن نتقرّب إلى الله بمقت الكبائر ونتقرّب إلى الله بمقت أنفسنا إن اشتهت الكبائر، نتقرب إلى الله بمقت أنفسنا إذا اقترفت الكبائر وهذه العبادة من دقيق العبادات

القلبيّة أنّك تكره نفسك عندما تجد نفسك تحبّ شيء لا يحبّه الله، وتكره نفسك لو اشتهيته، وتكره نفسك لو مارسته، فلا تترك نفسك بمعنى: لا ترضَ عن نفسك.

(**خَائِفًا عَلَى نفْسِهِ مِنْهُ**): ما العبادة الّتي يعبد الله بها؟ عبادة الخوف، يخاف من الله أن يلقاه وهو مقصّر، ويخاف من الله بمعنى يخاف أن يقع فيما يغضب الله.

متى يكون هذا الخوف صحيّ؟! لأنّ هناك أناس طوال الوقت يقولون: نخاف أن نكون متكبّرين إذًا لن نذهب لنعلّم النّاس لأنّنا نخاف من الكبر، **متى يكون الخوف صحيحًا في مكانه؟** أي خوف يدفعك للقربى من الله وللهرب ممّا يبغض الله يكون صحيحًا لكن الخوف الّذي يمنعك من طاعة الله مباشرة هذا خوف من الشّيطان.

سأضرب لكم مثالًا؛ تعرفين قول النّبيّ: (**مَن تَرَكَ صَلَاةَ العَصْرِ فقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ**)[1] افترضي أنّك نمت عن الصّلاة واقترب المغرب، والحديث أمام عينيك فيكون عندك خوف شديد، وهذا الخوف يجعلك تفزعين إلى الصّلاة ويجعلك تكثرين الاستغفار ويجعلك بعد المغرب تدخلين في طاعة، صليت ودخلت المغرب فتدخلين في طاعة بعدها وتبذلين جهودك بعدها لأنّك تعرفين أنّ الحسنات يذهبن السّيئات، هذا هو الخوف المجدي، أمّا الخوف الغير مُجدي أنّك وجدت نفسك لم تصلّي العصر فتقولي "حبط عملي إذًا لا فائدة من أن أكمل باقي الصّلوات!" هذا الخوف اسمه وسواس، ليس خوفًا صحّيًا، هذا وسواس من الشّيطان.

نسير على هذه الحالة؛ الآن ربّنا أعطاك صفات قياديّة لكن تجد نفسك لا تريد أن تقود النّاس من أجل أنّك تخاف أن تظهر منك مظاهر كبر على النّاس أو تشعر أنّك أفضل منهم وأفهم منهم، نقول: "إذا كان المسلمون بحاجة إليك من أجل أن تقودهم قُدْهم وعالج نفسك" قُدْهم وكلّما ظهر مرضك طهّر نفسك، ليلك اقضِه في التّطهير ونهارك اقضِه في القيادة لكن لا تقنع نفسك أنّ الصّواب أن تجلس! لأنّك ستكون متكبّرًا وأنت نائم على فراشك! أنت تقول: "أنا أعرف أنّهم ضائعون وأنّهم لا يعرفون كيف يصلون إلى حل!!" مادمت تعرف قُم وانفع المسلمين وعالج قلبك، والمسألة تحتاج إلى جهاد وجهاد إلى أن تصل، أقول هذا الكلام لأنّ

(1) أخرجه البخاريّ (553).

الشّيطان لن يتركنا في الخوف والرّجاء خصوصًا، وكم من قانطين من رحمة الله ولا يعرفون أنّهم دخلوا في هذه الكبيرة العظيمة ويظنّون أنّهم خائفون والصّحيح أنّهم دخلوا فيمن يأس من رحمة الله في أن يصلح قلبه.

فعلى حامل القرآن أن يعالج قلبه بطلب الرّفعة من الله، السّؤال: هل طلب الرّفعة ممنوع؟ هل المدح ممنوع؟ سنقول: كلّنا محتاجين للرّفعة والمدح لكن طريقنا لإشباع هذه الحاجة هو التّوحيد، أي اطلبها من واحد، اطلبها فقط من الله، اطلب أن يرفعك، اطلب أن يثني عليك، اطلب أن تكون لك عنده سمعة حسنة، فلا نستطيع أن نقول إنّنا لسنا محتاجون إنّما هذه حاجة خلقها الله في النّفوس فحين تؤدّب نفسك بالقرآن اعرف كيف تؤدّب نفسك، لا تقل لنفسك: "أنت لست بشيء لأنّك تحب المدح!" قل: "مادام الله خلقنا نحبّ المدح فلنجعله قربة إلى الله بمعنى أنّك تطلب ثناء الله، مدح الله، وقد ورد في الحديث: (**مَا مِنْ عَبْدٍ إِلّا لَهُ صِيتٌ فِي السَّمَاءِ، فَإِذَا كَانَ صِيتُهُ فِي السّماء حَسَنًا وُضِعَ لَهُ فِي الأَرْضِ حَسَنًا، وَإِذَا كَانَ صِيتُهُ فِي السّماء سَيِّئًا وُضِعَ لَهُ فِي الأَرْضِ سَيِّئًا**)[1] فالمقصد أنّ لك صيت، لك سمعة حاول أن تحسّنها، مثلما نكون حريصين على سمعتنا عند النّاس، وليُعلم أنّ الله –عزّ وجلّ– خلقنا على خلقة تدور على التّوحيد، أي نهتمّ أن نمدح ونريد أن يمدحنا أعلى من في المكان، أنت تقول في الصّلاة: "الله أكبر" إذًا قل لنفسك: "الله أكبر من كلّ شيء ومدحه أعظم شيء" فاطلب كلّ حاجاتك من الله؛ ولذلك قال: (**يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلّا مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلّا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ**)[2] هذا هو التّوحيد، فاكتشاف النّفس في النّهاية يوصلك إلى التّوحيد وتجد نفسك إذا أردت أن تقول: "أنا عملت كذا" تصمت لأنّك تعرف أنّك بذلك تريد ثناءهم.

ننتقل الآن إلى قضية من أخطر القضايا الّتي نواجهها:

قال: (**لا يَتأَكَّلُ بِالْقُرْآنِ، وَلا يُحِبُّ أَنْ تُقْضَى لَهُ بِهِ الْحَوَائِجُ، وَلا يَسْعَى بِهِ إِلَى أَبْنَاءِ الْمُلُوكِ، وَلا يُجَالِسُ بِهِ الأَغْنِيَاءَ لِيُكْرِمُوهُ.**)

(1) أخرجه الطّبراني (5248).

(2) أخرجه مسلم (2577).

(**لا يَتأكَّلُ بِالْقُرْآنِ**): بمعنى أنّه لا يتكسّب بالقرآن، هذا معناه أنّنا سنتكلّم عن الرّواتب المرتّبة لمعلمي القرآن، وأي خطأ في فهم هذا الأمر سيسبّب مشكلة كبيرة.

من هو المتأكّل بالقرآن؟ المتأكّل بالقرآن الّذي علّم القرآن للراتب، للمال، علّم بقصد المال.

هل معنى ذلك أنّ كل من أخذ راتب كان متأكّلًا؟ الجواب: لا، الضّابط ماذا يقصد بتعليمه حال عقده النّيّة، إذًا الفاصل هو مقصده، لا بدّ أن نثبت هذا بمثال، اسمعوا هذا المثال من كلام ابن تيمية –رحمه الله– اكتبوا:

- حجّ ليأخذ المال.
- أخذ المال ليحجّ.

نحن نتكلّم عن حجّ الإنابة، حجّ الإنابة أن يكون أحد نائبًا عن أحد، من أجل أن ينوب لا بدّ أن يأخذ مال، اقرؤوا وفرّقوا بين الاثنين:

- الأوّل: قال لأحد: "تعال أنوب عنك" ولا بدّ أن يكون هناك أموال من أجل أن يذهب للحجّ، فالأوّل هو المتكسّب، وهذا محرّم.

- والثّاني: أخذ المال ليحجّ، ما مقصده؟ الحجّ، صحيح أنّه سيذهب لحجّ إنابة لكن يقول لنفسه: "يكفي أنّي أطوف بالحرم بقدمي وإن كانت الأجور عائدة على الحاج لكنّي سأصّلي في الحرم وسأرجع بروح مختلفة" فيشتاق للمشاعر المقدّسة، ويشتاق للحرم، فيقول: "لا بأس أخرج ببدني وأكسب من وراء ذلك أن أكون في الحرم" ثمّ لا بدّ له من مال؛ لأنّ ما يعيقه أن يحجّ بنفسه المال، فأخذ المال من أجل أن يحجّ، فالّذي بين عينيه الحج والمال وسيلته.

هذه الصّورة نفسها بالضّبط انقلوها في القرآن:

- الأوّل: علّم ليأخذ المال.

- أخذ المال ليعلّم.

أنت تقولين: "ليس عندي مواصلات أصل بها لأعلّم، ولا بدّ أن يدفع لي أحد"، "ليس عندي مثلًا من ينوب عنّي في البيت من أجل أن يساعدني من أجل أن أستطيع أن أعلّم" فالّذي بين عينيك هو التّعليم والّذي تأخذينه وسيلة هو المال، وإذا وجدت نفسك مكتفية فلا تأخذيه.

وعلى ذلك لا يصلح أبدًا أن يخرج من لسان معلّم القرآن حين يأتي آخر الشّهر: "خصمتم منّي"، "فعلتم بي"، كلّ هذه الكلمات لا تليق، أنت ستقولين: لكنّه حقّي! نقول: "أنت أصلًا لم تخرجي من أجل الحقّ إنّما خرجتِ من أجل أن تعلّمي والمال مجرّد وسيلة" هذا الموضوع خطير، الحالة الأولى تدخل فيما يسمّونه أهل العلم: "شرك النّيّة والإرادة والقصد" أي تدخل في الشّرك! حالة خطيرة انتشرت ثقافتها للأسف، حتّى وصل النّاس لحال إذا طلبتِ من معلّمة أن تعالي علّمي ابنتي القرآن، تقول: "على شرط هذا المال!"، ثمّ تقولين لها: "كثير" تقول لك: "تعطون معلّمات الرياضيات ولا تعطونا! نقول: أنت أصلًا لم تخرج من أجل المال ولا تساوم أحدًا على المال! يعيبك أن تفعل هذا الفعل، المفترض أن نستحي، وقت ما يأتي وقت استلام الرّواتب وتطلب من الله أن اغنني عن أن أعلّم من أجل المال، اجعلني أعلّم بدون المال، وكلّ فرصة تستطيع أن تعلّم فيها بدون المال افعل، مثلًا أنت في مدرستك تعلّمين بالمال ثمّ بجانبك مسجد وعندهم برنامج يوم الإجازة، اطلبي من الله أن ييسّر لك أن تعلّمي بدون مال وانظري شهوتك في التّعليم، قيسي شهوتك في التّعليم، هل أنت مستعدّة أن تعلّمي سواء كان هناك مال أو ليس هناك مال، أو أنّك لا تعلّمين إلّا إذا كان هناك مال، طبعًا نحن في البداية نسير على خير ثمّ تنحرف مشاعرنا، فلا تتركوا أنفسكم تصل إلى هذه الحال، وحتّى لو قرّروا أنّ هناك أموال فلا بدّ أن تكرّروا على أنفسكم: "أنا لم أخرج للمال، أنا مبتلاة أنّي محتاجة لمال، يا ليتني أستطيع أن أعلّم القرآن وأرتفع عند الله بدون أن آخذ أجرًا".

وكما اتّفقنا مادمت لم تخرج من أجل المال يصبح المال حلالًا، لكن لا تخطئ وتطمع وتحاسب كأنّك موظّف في دائرة تشتغل للدّنيا! وأدخل على نفسك الحياء، قل: "أنا أستحي لكنّ الله يعلم حالنا" هذا موضوع خطير جدًا ولا تنسوا الجملتين:

- حجّ ليأخذ المال، أخذ المال ليحجّ.

- علّم ليأخذ المال، أخذ المال ليعلّم.

فرق شاسع كما بين السّماء والأرض، وهذا هو الّذي يسبّب أخلاق المعلّمين الّتي نراها، من يأتون من أجل الأموال لو قلتِ لها: "تعالي ساعديني ودرّسي لهؤلاء" تقول: "ليس عملي!" ثمّ يِدخلون مفهوم الجودة، يقول لك: "من الجودة ألّا تعمل إلّا عملك، من الجودة أن تبيّن لي بالضّبط وظيفتي من أجل أن لا أتعدّاها!" فلسفة، بل الجودة: أن تجود بما تملك وأجود شيء تملكه تعطيه للنّاس، هذه هي الجودة الحقيقيّة، جودة النّفس أن تكون من الدّاخل جيد، لا أن تبحث عن عذر لتحلّل لنفسك ممارسة أخلاق التّجار الّذين يتاجرون لدنياهم، فتصبح المدارس والعلم تجارة! إلى أن نصل إلى حد أن تأتي امرأة فقيرة إلى مدرسة أو جمعية، فيقولوا لها: هل عندك بنات؟ إذا قالت: نعم، يقولون: اِيتِ بهم يتعلّمون عندنا ثمّ يصبحون مدرّسات ويكفونكم شأن الحاجة! نصيحة في غير مكانها، يعني هي تبدأ دخولها في القرآن بنيّة أن تعمل في النّهاية! مصائب، ومن ثمّ انظري للمدارس، تجدين معلّمة للقرآن، قائدة في فصلها، لكن ليس فيها ملامح القرآن! من عينيها إلى أخمص قدميها لا تجد القرآن في عيونها! والسّبب واضح، وهكذا أصبحت الحال، وكنّا اتّفقنا أنّه يقرأ القرآن: "مؤمن ومنافق وفاجر" فظهرت الآن الأصناف كلّها وكانت المساحة الأوسع للأسف الشّديد للفاجر الّذي يتأكّل بالقرآن!

نأتي بعدها يقول: (**لا يَتأكَّلُ بِالْقُرْآنِ، وَلا يُحِبُّ أَنْ تُقْضَى لَهُ بِهِ الْحَوَائِجُ**): لا يفكّر في المال، لا يريد أن تكون له مكانة عند النّاس بالقرآن وتوصله هذه المكانة أنّه لو رأوه مباشرة يقضون له حوائجه لأنّه حامل للقرآن.

افتحوا صفحة (38) لتجدوا نموذجًا لذلك، ضعوا عليها عنوان: صورة التّأكّل بالقرآن وقضاء الحوائج، (التّأكّل) هناك: مال بعينه، وهناك تأكّل عن طريق قضاء الحوائج، هذا نموذج من قضاء الحوائج: (**كَتَبَ حُذَيْفَةُ الْمَرْعَشِيُّ إِلَى يُوسُفَ بْنِ أَسْبَاطٍ: بَلَغَنِي أَنَّكَ بِعْتَ دِينَكَ بِحَبَّتَيْنِ، وَقَفْتَ عَلَى صَاحِبِ لَبَنٍ، فَقُلْتَ: بِكَمْ هَذَا؟ فَقَالَ: هُوَ لَكَ بِسُدْسٍ، فَقُلْتَ: لا، بِثُمُنٍ، فَقَالَ: هُوَ لَكَ، وَكَانَ يَعْرِفُكَ، اكْشِفْ عَنْ رَأْسِكَ قِنَاعَ الْغَافِلِينَ، وَانْتَبِهْ مِنْ رَقْدَةِ الْمُوتَى، وَاعْلَمْ أَنَّهُ مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ ثمّ آثَرَ الدّنيا لَمْ آمَنْ أَنْ يَكُونَ بِآيَاتِ اللهِ مِنَ الْمُسْتَهْزِئِينَ.**)

هذا حذيفة المرعشي يخاطب يوسف ابن أسباط، ويوسف ابن أسباط ممّن قرأ القرآن وتميّز به وعنده علم، ماذا فعل؟ أول شيء يصفه فيقول:

(**بَلَغَنِي أَنَّكَ بِعْتَ دِينَكَ بِحَبَّتَيْنِ، وَقَفْتَ عَلَى صَاحِبِ لَبَنٍ**): وقفت تريد أن تشتري بمالك.

(**فَقُلْتَ: بِكَمْ هَذَا؟ فَقَالَ: هُوَ لَكَ بِسُدْسٍ، فَقُلْتَ: لا، بِثُمُنٍ**): ماذا فعل؟ فاصل البائع في الثّمن، ومن حقّك في الشّرع أن تفاصل.

(**فَقَالَ: هُوَ لَكَ، وَكَانَ يَعْرِفُكَ**): هنا المشكلة، أنّه يعرف أنّك من أهل القرآن، ولأنّك من أهل القرآن رضي لك، فهو يقول له:

(**اكْشِفْ عَنْ رَأْسِكَ قِنَاعَ الْغَافِلِينَ**): هذه ما هي إلّا تصرّفات الغافلين عن الحقيقة.

(**وَانْتَبِهْ مِنْ رَقْدَةَ الْمُوتَى، وَاعْلَمْ أَنَّهُ مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ ثُمّ آثَرَ الدّنيا لَمْ آمَنْ أَنْ يَكُونَ بِآيَاتِ اللهِ مِنَ الْمُسْتَهْزِئِينَ.**): يعني من الاستهزاء بآيات الله، إذًا قضاء الحوائج أن يكون أحد يعرفك وأنت نتيجة أنّه يعرفك تطلب منه أن يعمل لك تخفيضًا.

قال: (**إِنْ كَسَبَ النّاس مِنْ الدّنيا الْكَثِيرَ بِلا فِقْهٍ وَلا بَصِيرَةٍ، كَسَبَ هُوَ الْقَلِيلَ بِفِقْهٍ وَعِلْمٍ**): من أهل الدّنيا من هو حريص على المال سواء يدخل عليه الحلال أو يدخل عليه الحرام لا يهمّه، لكنّه يأخذ القليل لكن أهم شيء أن يكون بفقه وعلم.

(**إِنْ لَبَسَ النّاس اللّيّنَ الْفَاخِرَ، لَبَسَ هُوَ مِنْ الْحَلالِ مَا يَسْتُرُ عَوْرَتَهُ**): مقاصده واضحة، أهم شيء أن يستر عورته وهم وإن لبسوا اللّين الفاخر فقد خلطوا فيما يربحون من مال بين الحرام والحلال لكنّه لا يخلط على نفسه ويكتفي بما يستر العورة، هل هو زاهد؟ اسمعوا ماذا يقول:

(**إِنْ وُسِّعَ عَلَيْهِ وَسَّعَ**): إذا ربّنا وسّع عليه المال يوسّع على نفسه لا بأس، مثل ابن عمر وعبد الرحمن ابن عوف -رضي الله عنهم- ربّنا وسّع عليهم فوسّعوا على أنفسهم.

(**وَإِنْ أُمْسِكَ عَلَيْهِ أَمْسَكَ**): فهو يتقلّب مع رضا الله، عندما يكون عنده ينفق على نفسه وينفق على أهل بيته وينفق فيما يقرّبه إلى ربّه، عندما لا يكون عنده لا يغضب ولا يشعر أنّه أقل من غيره.

(**يَقْنَعُ بِالْقَلِيلِ فَيَكْفِيهِ، وَيَحْذَرُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ الدّنيا مَا يُطْغِيهِ.**): لا يتمنّى أن تفتح عليه الدّنيا، إذا وسّع عليه أخذ وهو خائف، وإذا أمسك عليه أمسك، في نفسه يقنع بالقليل يكفيه وعندما يأتيه الكثير يخاف على نفسه من الدّنيا أن تطغيه.

وستأتي أيضًا تفاصيل من تصرّفاته: (**يَتَّبِعُ وَاجِبَاتِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، يَأْكُلُ الطَّعَامَ بِعِلْمٍ، وَيَشْرَبُ بِعِلْمٍ، وَيَلْبَسُ بِعِلْمٍ وَيَنَامُ بِعِلْمٍ، وَيُجَامِعُ أَهْلَهُ بِعِلْمٍ، وَيَصْحَبُ الإِخْوَانَ بِعِلْمٍ، يَزُورُهُمْ بِعِلْمٍ، وَيَسْتَأْذِنُ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ، يُجَاوِرُ جَارَهُ بِعِلْمٍ. وَيُلْزِمُ نَفْسَهُ بِرَّ وَالِدَيْهُ، فَيَخْفِضُ لَهُمَا جَنَاحَهُ، وَيَخْفِضُ لِصَوْتِهِمَا صَوْتَهُ، وَيَبْذُلُ لَهُمَا مَالَهُ، وَيَنْظُرُ إِلَيْهِمَا بِعَيْنِ الْوَقَارِ وَالرَّحْمَةِ، يَدْعُو لَهُمَا بِالْبَقَاءِ، وَيَشْكُرُ لَهُمَا عِنْدَ الْكِبَرِ، لا يَضْجَرُ بِهِمَا، وَلا يَحْقِرُهُمَا، إِنْ اِسْتَعَانَا بِهِ عَلَى طَاعَةٍ أَعَانَهُمَا، وَإِنْ اِسْتَعَانَا بِهِ عَلَى مَعْصِيةٍ لَمْ يُعِنْهُمَا عَلَيْهَا، وَرَفَقَ بِهِمَا فِي مَعْصِيتِهِ إِيَّاهُمَا، يُحْسِنُ الأَدَبَ لِيَرْجِعَا عَنْ قَبِيحِ مَا أَرَادَا، مِمَّا لا يَحْسُنُ بِهِمَا فِعْلُهُ، يَصِلُ الرَّحِمَ، وَيَكْرَهُ الْقَطِيعَةَ، مَنْ قَطَعَهُ لَمْ يَقْطَعْهُ، مَنْ عَصَى اللهَ فِيهِ، أَطَاعَ اللهَ فِيهِ.**

يَصْحَبُ الْمُؤْمِنِينَ بِعِلْمٍ، وَيُجَالِسُهُمْ بِعِلْمٍ، مَنْ صَحِبَهُ نَفَعَهُ، حَسَنُ الْمُجَالَسَةِ لِمَنِ جَالَسَ، إِنْ عَلَّمَ غَيْرَهُ رَفَقَ بِهِ، لا يُعَنِّفُ مَنْ أَخْطَأَ وَلا يُخْجِلُهُ، رَفِيقٌ فِي أُمُورِهِ، صَبُورٌ عَلَى تَعْلِيمِ الْخَيْرِ، يَأْنَسُ بِهِ الْمُتَعَلِّمُ، وَيَفْرَحُ بِهِ الْمُجَالِسُ، مُجَالَسَتُهُ تُفِيدُ خَيْرًا، مُؤَدِّبٌ لِمَنْ جَالَسَهُ بِأَدَبِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ.)

سيتكلّم عن علاقات حامل القرآن: (**يَتَّبِعُ وَاجِبَاتِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ**) صورتها (**يَأْكُلُ الطَّعَامَ بِعِلْمٍ، وَيَشْرَبُ بِعِلْمٍ، وَيَلْبَسُ بِعِلْمٍ وَيَنَامُ بِعِلْمٍ، وَيُجَامِعُ أَهْلَهُ بِعِلْمٍ، وَيَصْحَبُ الإِخْوَانَ بِعِلْمٍ، يَزُورُهُمْ بِعِلْمٍ، وَيَسْتَأْذِنُ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ، يُجَاوِرُ جَارَهُ بِعِلْمٍ.**)

نفهم صورته، لن أتكلّم عن التّفصيل والتّفصيل يحتاج برنامجًا كاملًا وأنصحكم بعمل هذا البرنامج لكن نتّفق أوّلًا على المفهوم الأساسيّ.

ما هو المفهوم الأساسيّ في هذه المسألة؟ المفهوم الأساسيّ: أنّنا في ظلمة في كلّ مسألة ونحتاج إلى نور، وطلبك للنّور يجعلك تبحث: كيف أكل النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– كيف نام، كيف صاحب، كيف شرب، كيف كان يلبس؟ وكلّ هذا موجود مكتوب قد جمع لنا من ديننا، لكن لا بدّ أن تكون عندنا مشاعر ملحّة أنّنا نريد أن نعرف كيف فعل النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم؟ لأنّ هناك من يأكل ويشرب ويتصرّف بطبيعته، وكلّ يوم يقولون لك: من الثّقافة أن تأكل هذا وتفعل كذا بهذه الطّريقة...! مثلًا في الثّقافة المعاصرة الآن عند كثير من بيوتنا أنّه لو أتانا ضيف مدعوًا على العشاء أو الغذاء، ماذا نفعل له؟ يجلس في مكانه ثمّ نضع الطّعام في مكان آخر ثمّ نقول له: تفضّل في المكان الآخر، هذه من عاداتنا، ولا أحد يقول: "ليس حرامًا" أنا لا أتكلّم عن الحرام إنّما أنا أتكلّم عن: هل معي نور في هذا التّصرّف أو ليس معي نور؟ ثمّ تقرئين في القرآن وتقرئين في موقف إبراهيم –عليه السّلام– مع الملائكة: {**فقربه إليهم**}[1] فهذا من إكرام الضّيف، فتجدي نور أنّ هذا هو الصّحيح.

ما القضيّة؟ القضيّة أنّ بينك وبين النّور أحيانًا تكون هناك مسافات طويلة وأنت لا تشعر أنّك في ظلمة لأنّك لا تسأل سؤال: هل هذا ما فعله النّبيّ، هل هذا ما يحبّه الله، هل هذا هو التّصرّف الصّحيح؟ حتّى في العادات، نحن نرى أنفسنا في نور كوننا نبدأ طعامنا نسمّي "بسم الله" وحينما ننتهي نحمد الله، صحيح لكن هل بحثنا في نفس الأكل والشرب؟ مثلًا تقرأ في حديث ابن عبّاس –رضي الله عنه– : (**نهى رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عنِ النفْخِ في الطعامِ والشرابِ**)[2] وهكذا إلى أن تجد نفسك تجلس على الطّعام وتعمل بسنّة النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– في كلّ الأفعال، فيصبح عندك نور.

- فبداية الأمر: أن تطلب النّور.

- ثانيًا: أن تطلبه من مكانه الصّحيح وتعرفه من مظانّه، أين أجد النور؟ مثلًا في **كتاب**: (**الأدب المفرد للبخاريّ**)، ما أطيبه وأطيب تفصيله! لا تتصورون إلى أي درجة مفيد بحيث أنّك تجد نفسك عندك نور في كلّ شيء، وهناك أيضًا: (**الآداب الشّرعيّة**) **لابن مفلح** أيضًا هذا من الكتب الجميلة جدًّا، والفرق بينه وبين الأدب المفرد أنّ الأدب المفرد معتمد على الحديث فقط والآداب الشّرعيّة فيه تفاصيل أكثر، وهناك شرح للأدب المفرد يسير جدًا اسمه: (**رشّ البَرَد في شرح الأدب المفرد**) **لمحمد ابن لقمان السّلفيّ**، كتاب

(1) سورة الذّاريات: 27.

(2) أخرجه أحمد (293/4)، وصحّحه أحمد شاكر.

الآداب الشّرعيّة موجود على الشّبكة العنكبوتيّة مصوّر، والأهم من أن نُرشد إلى كتب أن نشعر أنّنا نحتاج النّور، وخصوصًا إذا كنتم معلّمين تأتيكم مواقف لا تعرفون: هل هذا من السّنّة أو ليس من السّنّة؟

- ثالثًا: مراجعة ما قرأت؛ لأنّك قد تنسى مع الوقت.

ويمكن أن نستعين بأجهزتنا عن طريق عمل مذكّرة نكتب فيها: تعلّمت أن أفعل كذا قبل الأكل لأنّ النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- قال كذا، لا بدّ أن تكتبي الآية أو الحديث، والمرّة القادمة تراجعين النّص وكلّ يوم يزيد النّور، اليوم تحفظين جزءً من النّص وغدًا وبعد غد إلى أن تصلي أن تعرفي أنّ هذا حديث أسماء وهذا حديث أبو هريرة، بهذه الطريقة، واعلمي أنّ العلم لا يصب صبًّا إنّما العلم نقطة نقطة، لكن النّقطة الّتي تأخذها أمسك بها وراجعها، نحن أزمتنا في المراجعة، علينا أن نراجع كأنّ واحد وجد نورًا ويستمرّ في إيقاده، لا تدعه ينطفئ عليك.

إذًا علينا أن نتّبع واجبات القرآن فنأكل بعلم ونشرب بعلم وننام بعلم ويجامع الزّوج زوجته بعلم ويستأذن بعلم ومن آداب الاستئذان ما ورد في سورة النّور عن ردّ المستئذن: {وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ}[1] فتحسّس قلبك تجد أنّك تغضب مباشرة بدون مناقشة، فلا يصحّ أن أكون حافظة للقرآن ثمّ آتي في المواقف وأعرف أنّ ربّنا وعد أنّه سيكون أزكى لنا ومع ذلك لا أقبل الأمر.

الآن هو رتّب الأولويّات أوّلًا: نفسك كُل بعلم واشرب بعلم ثمّ والديك، تكلّم عن ما يجب للوالدين: (**وَيُلْزِمُ نَفْسَهُ بِرَّ وَالِدَيْهُ، فَيَخْفِضُ لَهُمَا جَنَاحَهُ، وَيَخْفِضُ لِصَوْتِهِمَا صَوْتَهُ، وَيَبْذُلُ لَهُمَا مَالَهُ، وَيَنْظُرُ إِلَيْهِمَا بِعَيْنِ الْوَقَارِ وَالرَّحْمَةِ، يَدْعُو لَهُمَا بِالْبَقَاءِ، وَيَشْكُرُ لَهُمَا عِنْدَ الْكِبَرِ، لا يَضْجَرُ بِهِمَا، وَلا يَحْقِرُهُمَا، إِنْ اِسْتَعَانَا بِهِ عَلَى طَاعَةٍ أَعَانَهُمَا، وَإِنْ اِسْتَعَانَا بِهِ عَلَى مَعْصِيةٍ لَمْ يُعِنْهُمَا عَلَيْهَا، وَرَفَقَ بِهِمَا فِي مَعْصِيتِهِ إِيَّاهُمَا**) يعني لا يتكلّم كلامًا قبيحًا ولا يردّ ردًّا قبيحًا إنّما يتلطّف معهم.

(1) سورة النّور: 27.

(**يُحْسِنُ الأَدَبَ لِيَرْجِعَا عَنْ قَبِيحِ مَا أَرَادَا**) يناقشهم لكن يحسن الأدب (**مِمَّا لا يَحْسُنُ بِهِمَا فِعْلُهُ**) ممكن أن يقع أحد الوالدين في الغيبة، ليس عندنا كلمة نقولها إلّا: "هذه غيبة حرام عليكم!" هذه ليست مناقشة، المناقشة تحتاج أن تقول إن النّاس الّذين تتكلّم عنهم فيهم خير ثمّ حتّى لو كانوا غير ذلك، فكشف عيوب النّاس يسبّب كشف عيوبنا، فناقشهم ولا تقل لهم الحكم، أكيد يعرفونه، فأنت لا بدّ أن تتلطّف بهما وتخاف على نفسك أيضًا أن تقع.

بعد دائرة الوالدين تأتي الدّائرة الأوسع وهي دائرة صلة الرّحم:

(**يَصِلُ الرَّحِمَ، وَيَكْرَهُ الْقَطِيعَةَ**): لم يقل: "يقطع" فقط إنّما يكره القطيعة، نحن لا نتكلّم عن أحد يقطعك لكن نتكلّم عن أنّه ليس دائمًا متوفر لنا الوصل، أحيانًا هناك ناس لا بدّ أن توصلهم وتحب وصلهم لكن ليس هناك طريق لوصلهم، فتتمنّى من الله أن يعطيك طريقًا لوصلهم، فنحن محتاجون أن نصل من نستطيع ونكره قطيعة من لا نستطيع وصله، فلا تقل: الحمد لله، على عدم تيسير وصلهم! لأن حامل القرآن يكره القطيعة.

(**مَنْ قَطَعَهُ لَمْ يَقْطَعْهُ**): الشخص الّذي يقطعه هو لا يقطعه.

(**مَنْ عَصَى اللهَ فِيهِ، أَطَاعَ اللهَ فِيهِ**): هو عصى بأن قطعك وأنت تطيع الله بأن توصله.

معنى ذلك أن الإنسان هنا تفكيره يكون في طاعة الله، الآن أمامك عاصٍ هل القطع هو الحل؟ أصلًا لا يحل لك أن تقطع – تهجر– أكثر من ثلاث أيام، ثمّ يأتي الأمر المهم هل قطيعتك ستنفعهم أم لم تنفعهم؟! على حسب، وأنتم تعرفون في الواقع أنّ القطيعة لا تنفع، غالبًا قطيعة المقصّرين الّذين تأمرهم بالمعروف وتنهاهم عن المنكر لا تنفعهم بالعكس، يشعرون بالرّاحة لأنّه امتنع عن تذكيرهم.

ثمّ بدأ بالكلام عن علاقته بالمؤمنين: (**يَصْحَبُ الْمُؤْمِنِينَ بِعِلْمٍ، وَيُجَالِسُهُمْ بِعِلْمٍ، مَنْ صَحِبَهُ نَفَعَهُ، حَسَنُ الْمُجَالَسَةِ لِمَنْ جَالَسَ**):

عندما يصحب المؤمنين يصحبهم بعلم ويجالسهم بعلم، ما معنى "يصحبهم بعلم"؟ عندما نأتي لموضوع الصّحبة نجد أن موضوع الصّحبة عندنا ليس له قيّم شرعيّة واضحة تحكم العلاقات الإنسانيّة، هناك مجموعة قيم لا بدّ أن تكون بين الأصحاب، أحيانًا تكون هذه القيم غير مرئيّة، أحيانًا تكون غير واضحة؛ لذلك تجد من يعتبر أن الصّاحب لا بدّ أن يعرف كلّ شيء عن صاحبه، أو الصّحبة عندهم أن لا تصاحب أحد غيري، مثلًا من لوازم الصّحبة كتمان السر، فتجد من تفشي سرّ صاحبتها، وإذا نبّهتها لحرمة ذلك تقول: "هي لم تقل إنّه سرّ! تعتبر أنّها إن لم تقل لها: "هذا سرّ" أنّه يجوز لها أن تقوله لأيّ أحد، والصّواب مادمت صاحبًا إذًا من لوازمك كتمان السّرّ! فتجدهم يتخبّطون في صحبتهم ولا يضعون أمامهم قيمًا صحيحة شرعيّة تحكم الصّحبة، ومن ثمّ عندما لا تكون هناك قيم إسلاميّة صحيحة؛ تكون الصّحبة ليست بعلم فيحصل الهجر على أمر ليس صحيحًا، ثمّ كثير من الأزمات تأتي من الصّحبة، أكيد تشعرون بهذا الشّيء كثيرًا في مدارس التّحفيظ نتيجة خلطة النّاس ببعضهم كثيرًا؛ تجدون من الازمات العاطفيّة والنّفسيّة بسبب صاحباتها، على هذا المفترض أن ننشّط أنفسنا في معرفة القيم الإسلاميّة للصّحبة، القيم الإسلاميّة لبرّ الوالدين، ما دمت صاحبي لا أحتاج كلّما دخلت بيتي أن أقول لك: "هذا الكلام سرّ واستر عورة بيتي ولا تحكِ ما تراه هنا في الخارج!!

أيضًا "**يجالسهم بعلم**" بمعنى: أنّ مجالسته لهم تظهر فيها الآداب الشّرعيّة، لو جالسهم منفردين يلتزم بالآداب الّشرعيّة ولو جالسهم مجتمعين يلتزم بالآداب الشّرعيّة، لأنّ أحيانًا تكون لك صحبة عامّة وصحبة خاصّة، فتحصل منك الأخطاء الشّرعيّة أمام الصّحبة الخاّصة!

قال: (**مَنْ صَحِبَهُ نَفَعَهُ**): حامل القرآن ينفع أيّ أحد يصاحبه، لا يقل: "هذا صاحبي الّذي أصاحبه نتيجة الدّراسة أو جارنا، وأنا أبحث عن أناس مثلي بالضّبط وأنفعهم" نقول: هذا ليس صحيحًا، إنّما انفع كلّ من تصاحب، وأنت حامل القرآن لا يأتي أحد ويصاحبك إلّا إذا كان في قلبه ميل لك –حتّى لو ما كان عنده علم– فعليك أن تميل له بالعلم وتميل له بالنّفع.

الآن وسّع الدائرة ليسوا أصحابه الآن، هؤلاء دائرة أكبر، جالس ناس لأي سبب ماذا يحصل له؟

(**حَسَنُ الْمُجَالَسَةِ لِمَنِ جَالَسَ**): بمعنى لا يسمع منه إلّا الكلام الطّيّب، والآن سنصل إلى درجة أنّه يجلس مجلس علم ماذا يفعل؟

(**إِنْ عَلَّمَ غَيْرَهُ رَفَقَ بِهِ**): هنا تظهر قيمة الرّفق، أحيانًا كثيرة ونحن معلّمون تكون هناك أهدافًا تطغى على قيمة الرّفق عندنا، تريد أن تزيد طالبتها في مقدار الحفظ فتقسو عليها، فنقول: قد نحتاج الشّدة أحيانًا لكن لا يكون سمتك وحالتك بحيث يكره النّاس القرآن، ويقول أحدهم: عندما كنت أتعلّم عند فلان كنت أعدّ السّاعات لأنتهي من الدّرس وأشعر باكتئاب عندما أدخل المدرسة! لستم بريئين إذا كان كلّ النّاس ضحايا فمن الفاعل؟!

(**لا يُعَنِّفُ مَنْ أَخْطَأَ وَلا يُخْجِلُهُ**): الخطأ وارد خصوصًا عند من يتعلّمون قراءة القرآن، فقد يحصل منهم خطأ في القراءة أو في الفهم فالمفترض ألّا تُعنّف ولا تُخجل، بحيث أنّ الشّعور بالخجل يجعل بين المتعلّم وبين العلم حاجزًا.

(**رَفِيقٌ فِي أُمُورِهِ، صَبُورٌ عَلَى تَعْلِيمِ الْخَيْرِ**): ليست دائمًا المشكلة أنّك تكون لست رفيقًا، بل أحيانًا تبتلى بطلبة فيهم جفاء، فيهم تعدّي، طلبة لا يعرفون حدودهم، وهذه مشكلة كبيرة في حلقة الطّلب، حين تُبتلى بمن لا يعرف حدوده –وهذا يحصل كثيرا ممّن هم في بداية الطّلب– لأنّه لا يشوّش عليك أنت كمعلّم إنّما يشوّش على نفسه وعلى زملائه، فلا تتصوّر أنّ العنف هو ما سيأتي بنتيجة، بل اصبر عليه قليلًا، عامل المسألة بقدر ما تستطيع من الصّبر، لا توجّه كلامًا قاسيًا حتى لو كان هو متعدّيًا، كن صبورًا، إذا علّمت كن رفيقًا وإذا اعتدي عليك فكن رفيقًا وصبورًا على تعليم الخير.

ثمّ يرتفع إلى درجة أن: (**يَأْنَسُ بِهِ الْمُتَعَلِّمُ**): يأنس المتعلّم بحامل القرآن، يدخل إلى قلبه الأنس ولا يدخل إلى قلبه الرّعب! الرّعب لو كان ينفع لكان نفع في مدارس التّعليم العام ولكنّه لم يخرج لنا أحد كفء، لكن الأصعب منه أن تكون هذه مشاعر الطّلاب وهم يدخلون لحفظ القرآن أن يشعروا بالاكتئاب، افترضي أن عندك طالبة تعاني من صعوبات التّعلم، لا تشعري بمشاعر أنّها عالة عليك! أصلًا هذه مأجورة بمجرّد جلوسها ثمّ إنّ جبر خاطرها ومساعدتها قدر المستطاع كلّ هذه أجور للمعلّم، أنت مثلًا تعرفين أن هذا الجزء مثلًا هي لن تستطيع قراءته بالأحكام؛ فتجاوزيها لا تلزميها بالقراءة، لا تجعليها تقرأ، ابدئي ممّن تليها، ابدئي من مكان بعيد، اختاري الطّالبة التي ستقرأ اختيارًا عشوائيًا بحيث أنّها لا تشعر بالحرج، ولا تأتِ كلّ فترة للإدارة تشتكي "هذه ليست لها فائدة في فصلي" هذا كلّه سوء أدب مع الله، ما رزقته أنت ارضِ به، أنتِ لا تعرفي كم تدعو لك لأنّك مشيت معها وصبرتِ عليها، نحن مشكلتنا الوحيدة الشّهادات الّتي نكبتنا، طبعًا ستقولين لنفسك: "كيف أكتب لها شهادة في النّهاية أنّها نجحت؟ أوّلًا: هذه الشّهادة لو وضعنا عليها قطرة ماء ذهبت وذهبت ملامحها! ثانيًا: أعطهم كلّهم شهادة وهي لا تعطِها وأفهميها أنّك تحتاجين خطوات بسيطة

وهم سابقون لك، إن قبلت فالحمد لله، إن لم تقبل إذًا هي تأخذ قرارها بنفسها، لكن لا يصير أن نسمع من تقول: كنت في مدرسة وعقّدوني وأصبحت أكره الحفظ وأكره القراءة! هذه مصيبة، حين أكون أنا معلّمًا منفّرًا لهم عن القرآن وهم جاؤوا مقبلين أكون نسيت ماذا أريد! نحن لا نريد أن نخرج أناس يجيدون الحروف وليس في قلوبهم تعظيمًا للقرآن وحبًّا له، نريد أن نخرج أناسًا إن وفّقوا فكانوا من المهرة فهذا رزق الله وإن كان عليهم صعب فلهم أجران، فأنا باقٍ على هذا التّفكير أنّ الشاقّ عليه القراءة له أجران، فبقدر المستطاع لا تعامل هؤلاء بأسلوب يوصلهم إلى بغض القرآن، نحن أهدافنا واضحة، ثمّ إذا جاء أحد يقول لك: "هذا تسيّب في الإدارة" نقول: "من أنجح أنواع الإدارة في العالم هي الإدارة بالأهداف، بحيث أضع الهدف أمامي وأقيس كلّ الإنجازات وكلّ مرّة لا أصل إلى الإنجاز أراجع خطّة العمل، لا أن أضع النّتائج أمام عيني وأقول: "ما وصلت إذًا فشلت!" لا، ضع هدفًا أمامك وقس المسافة بينك وبين الهدف.

قال: (**وَيَفْرَحُ بِهِ الْمُجَالِسُ، مُجَالَسَتُهُ تُفِيدُ خَيْرًا**): "خيرا" كلمة جميلة، ما قال: "تفيد علمًا" إنّما "تفيد خيرا" فرّقوا بين "خير" و"علم" في المجالسة؟ ليس شرطًا أن من يجلس معه يأخذ معلومات، في أحيان كثيرة هناك كلمتان تثير القلب، في أحيان كثيرة كون الطّالب يشعر أنّ معلّمه أخذه معه إلى مكان فيشعر أنّه يتمثّل خلقًا فيصيبه من الخير، والسّؤال عنه يصيبه خير، حبّ الطّريق والبقاء على الطّريق هذا خير، كون الطالب لو جالسه معلّمه يرى أنّه قبل صحبته، كلّه خير ويساعده على الثّبات في الطّريق، فيفيدهم خيرا بسلوكه، بكلامه، بمناقشته في مسائل، بتعليمهم كيف يرتّبون عقولهم.

(**مُؤَدِّبٌ لِمَنْ جَالَسَهُ بِأَدَبِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ.**): هو لا يتفلسف على من جالس برأيه، إنّما يتحرّى أن يكون كلامه من الكتاب والسّنة، مثلًا أنت وجليستك الآن تتكلّمان فقلتِ لها: "حفظك الله"، و "حفظك الله" هذا دعاء، قولي لها: هل تعرفين أنّ النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- قاله؟! قاله النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- في موقف عجيب فيه صحبه، أنّ أحد أصحابه كان يسير معه فمالت برسول الله راحلته فنعس فالصحابيّ مشى بجواره يحفظه من أن يقع من على الدّابة، وسار سيرًا طويلا فسأله النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: (**مُذ كم كان مَسيرُكَ**) ؟! يعني من متى هذه الحال؟! قال: " **منذ اللَّيلةِ**" من مسيرة كذا وكذا قال: (**حَفِظَكَ اللهُ كما حَفِظْتَ رسولَه**)[1] فأنت تقول لجليسك: "حفظك الله" وفي قلبك أنّ هذا من الكتاب والسّنّة، مثلًا تقول لجليسك: "متّعني الله بك" تجدين أنّ هذه الكلمة في بعض الآثار قالها النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- لأبي بكر -رضي الله عنه- ، فما أحسنها من إضاءة أن

(1) أخرجه مسلم (681).

تقول ما يقوله النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– وتستخدم القيم العليا الّتي أرشد إليها الإسلام وتقول الّذي يقوله، وتعلّم جلساءك، وهذه المسألة تحتاج أن تتعلّم وتقرأ السّنّة وتقرأ أفعال النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم.

نأتي إلى أحوال أخرى من أحواله، قال: (**إِنْ أُصِيبَ بِمُصِيبَةٍ، فَالْقُرْآنُ وَالسُّنَّةُ لَهُ مُؤَدِّبَانِ، يَحْزَنُ بِعِلْمٍ، وَيَبْكِي بِعِلْمٍ، وَيَصْبِرُ بِعِلْمٍ، وَيَتَطَهَّرُ بِعِلْمٍ، وَيُصَلِي بِعِلْمٍ، وَيُزَكِّي بِعِلْمٍ، وَيَتَصَدَّقُ بِعِلْمٍ، وَيَصُومُ بِعِلْمٍ وَيَحُجُّ بِعِلْمٍ، وَيُجَاهِدُ بِعِلْمٍ، وَيَكْتَسِبُ بِعِلْمٍ، وَيُنْفِقُ بِعِلْمٍ، وَيَنْبَسِطُ فِي الأُمُورِ بِعِلْمٍ، وَيَنْقَبِضُ عَنْهَا بِعِلْمٍ، قَدْ أَدَّبَهُ الْقُرْآنُ وَالسُّنَّةُ**).

(**إِنْ أُصِيبَ بِمُصِيبَةٍ، فَالْقُرْآنُ وَالسُّنَّةُ لَهُ مُؤَدِّبَانِ**): بمعنى أن يكون القرآن والسّنّة له مرشدين ماذا يفعل، فمثلًا من الأحوال الّتي يمر بها الخلق أن تؤخذ منهم نعمة فالله –عزّ وجلّ– يخبرنا كما في سورة هود عن كثير ممّن تؤخذ منهم نعمة أنّه "يئوس قنوط" عندما تنزل عليه مصيبة، وهذا وصف ذم له، لكن حين يتأدّب بالقرآن أوّل ما تنزل المصيبة يقول لنفسه: "لا تكن يئوسًا" أي: لا تيأس من رحمة الله أن يبدّلك الله خيرًا منها، ولا تكن قنوطًا من رحمة الله عزّ وجلّ، لا تيأس ولا تقنط وهناك كلام لأهل العلم في الفرق بين اليأس والقنوط، منها أنّ اليأس في القلب، والقنوط يظهر على الوجه، فعلينا أن نفهم أنّ المصيبة عندما تنزل فهناك أحوال تحصل للإنسان، والله حذّرنا من هذه الأحوال وأرشدنا؛ لأنّ في السّياق في سورة هود قال تعالى: {**إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**}[1] ففهمت أنّك في المصيبة مطلوب منك أن تصبر وليس فقط أن تصبر ولا بدّ من أجل أن تقوى على الصّبر أن تعمل الصّالحات، وفي سورة البقرة مشهور قوله تعالى: {**وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (155) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**}[2] لكن لا تركّزوا فقط على موطن واحد؛ لذلك لم أبدأ بموطن البقرة لأنّنا نظنّ أنّ هذا هو المطلوب فقط أن نقول: "إنّا لله وإنّا إليه راجعون" وإن كان هذا صحيح ولا بدّ منه لكن انتبه لمشاعرك، لا تيأس، لا تقنط، لا تقلب المسألة دائمًا في المصائب وتقول: هذا عقاب، وأنا لست على الطّريق، لا تتعامل هكذا مع الله عزّ وجلّ، إن نزلت المصيبة من الله –عزّ وجلّ– فهو قدّر وعليك أن تتصرّف كما ينبغي مع القدر، وإن كانت عقوبة فكفّارة وإن كنت من أهل الرّفعة فالحمد لله، ومن أجل أن تميّز نفسك ولا يختلط عليك الأمر:

- إذا كنت سائرًا على الطّريق المستقيم وطائعًا ونزل عليك ما يؤذيك فهذه رفعة.

---

(1) سورة هود: 11.

(2) سورة البقرة: 155-156.

وإذا كنت حدت يمينًا أو شمالًا عن الطّريق المستقيم ونزلت عليك المصيبة معناه ارجع للطّريق المستقيم.

لكن ليست هذه القضيّة، القضيّة عندما تنزل المصيبة كيف أتصرّف؟ ليس ما السّبب إنّما أهم شيء: كيف أتصرّف تصرّفًا سليمًا، فتقرأ في القرآن أن هناك قوم ييئسون وهناك قوم يسترجعون، يصبرون، يعملون الصّالحات، فتجد عقلك يفهم ما يجب عليه ويتأدّب بأدب القرآن.

قال: (**يَحْزَنُ بِعِلْمٍ، وَيَبْكِي بِعِلْمٍ**): يحزن بعلم يعني أنّه يقدّر الأمور قدرها، بمعنى أنّه حين تنزل عليه مصيبة في دينه يحصل له الحزن الحقيقي، وقد ورد عن بعض السلف أنّه قال: "مات ولدي فعزّاني ألف، وتركت تكبيرة الإحرام فلم يعزّني أحدًا"؛ فللأسف نحن جعلنا المصائب محصورة في فقدان شيء من الدّنيا أما الدّين فلا نشعر أنّ عندنا حزن لما يذهب، فحين تحصل في العالم الإسلاميّ أحداثًا وتجد أنّ دين هؤلاء النّاس زال، فيثيرك الحزن الشديد، وقد ذكر عن أحد العلماء الكبار –موجود في المملكة، من إحدى الدول العربية– يقول: إنّه وقتما كان شابًا في بلده وكان من طلبة العلم الكبار، قرّرت فيه بلده أن تزيح الأحكام الشّرعية جلس يبكي ثلاث ليال! –من طالب العلم– حزنه شديد على دينه، فحين تلتقي بشباب مثلًا –نسأل الله أن يحفظنا جميعًا– دخلوا في الإلحاد أو يسألونك أسئلة تستفزّ قلبك! فهذا يحتاج أن تحزن حزنًا شديدًا كونهم يقولون مثل هذا الكلام.

قال: (**وَيَصْبِرُ بِعِلْمٍ، وَيَتَطَهَّرُ بِعِلْمٍ**) هناك أمور يجب عليك أن تصبر فيها وهناك أمور لا يجب ألّا تصبر، بمعنى أنا أمام منكرات أنا تحت يدي تغييرها إذًا لا أصبر، لكن هناك منكرات ليس تحت يدي تغييرها؛ إذًا أصبر وأتصرّف التّصرّف الصحيح.

(**وَيَتَطَهَّرُ بِعِلْمٍ وَيُصَلِي بِعِلْمٍ، وَيُزَكِّي بِعِلْمٍ، وَيَتَصَدَّقُ بِعِلْمٍ، وَيَصُومُ بِعِلْمٍ وَيَحُجُّ بِعِلْمٍ، وَيُجَاهِدُ بِعِلْمٍ وَيَكْتَسِبُ بِعِلْمٍ، وَيُنْفِقُ بِعِلْمٍ، وَيَنْبَسِطُ فِي الأُمُورِ بِعِلْمٍ، وَيَنْقَبِضُ عَنْهَا بِعِلْمٍ** –تقول: هذا لا أقبله وهذا أقبله، تنقبض وتنبسط في الأمور بدليل– **قَدْ أَدَّبَهُ الْقُرْآنُ وَالسُّنَّةُ.**)

تعالوا إلى جملة غاية في الأهمية يقول:

(**يَتَصَفَّحُ الْقُرْآنَ لِيُؤَدِّبَ بِهِ نَفْسَهُ**): ما معنى أن يتصفّح القرآن ليؤدّب به نفسه؟ كأنّنا نقول: وضع القرآن كالمرآة أمام قلبه يعرض له ما في داخله، يتكلّم القرآن عن المتكبّرين ويقرأ صفاتهم فيبحث في داخله، كأنّ القرآن يكشف له من هو، فيتصفّح القرآن من أجل أن يؤدّب نفسه، لا يتصفح القرآن من أجل أن يحسّن تلاوته فقط! والشّيء الثّاني المهم: (**وَلا يَرْضَى مِنْ نَفْسِهِ أَنْ يُؤَدِّيَ مَا فَرَضَ اللهُ –عزّ وجلّ– عَلَيْهِ بِجَهْلٍ**): كلّ مرّة يفعل فعل يطلب له دليل، أو يرشد إرشادًا يقول ما دليله.

(**قَدْ جَعَلَ الْعِلْمَ وَالْفِقْهَ دَلِيلَهُ إِلَى كُلِّ خَيْرٍ إِذَا دَرَسَ الْقُرْآنَ فَبِحُضُورِ فَهْمٍ وَعَقْلٍ** –انظروا همّته، مهموم بأي شيء؟– **هِمَّتُهُ إِيقَاعُ الْفَهْمِ لِمَا أَلْزَمَهُ اللهُ –عزّ وجلّ– مِنْ اتِّبَاعِ مَا أَمَرَ، وَالانْتِهَاءِ عَمَّا نَهَى، لَيْسَ هِمَّتُهُ مَتَّى أَخْتِمُ السُّورَةَ** –ما همّته؟ متى أفهم، ثمّ سيحكي بالتّفصيل كيف تكون همّته– **هِمَّتُهُ مَتَى أَسْتَغْنِي بِاللهِ عَنْ غَيْرِهِ، مَتَى أَكُونُ مِنْ الْمُتَّقِينَ، مَتَى أَكُونُ مِنْ الْمُحْسِنِينَ، مَتَى أَكُونُ مِنْ الْمُتَوَكِّلِينَ، مَتَى أَكُونُ مِنْ الْخَاشِعِينَ، مَتَى أَكُونُ مِنْ الصَّابِرِينَ، مَتَى أَكُونُ مِنْ الصَّادِقِينَ، مَتَى أَكُونُ مِنْ الْخَائِفِينَ، مَتَى أَكُونُ مِنْ الرَّاجِينَ؟**

مَتَى أَزْهَدُ فِي الدّنيا، مَتَى أَرْغَبُ فِي الآخِرَةِ، مَتَى أَتُوبُ مِنْ الذُّنُوبِ، مَتَى أَعْرِفُ النِّعَمَ الْمُتَوَاتِرَةِ، مَتَى أَشْكُرُ عَلَيْهَا، مَتَى أَعْقِلُ عَنْ اللهِ –جَلَّتْ عَظَمَتُهُ– الْخِطَابَ، مَتَى أَفْقَهُ مَا أَتْلُو، مَتَى أَغْلِبُ نَفْسِي عَلَى هَوَاهَا، مَتَى أُجَاهِدُ فِي اللهِ –عزّ وجلّ– حَقَّ الْجِهَادِ، مَتَى أَحْفَظُ لِسَانِي، مَتَى أَغُضُّ طَرْفِي، مَتَى أَحْفَظُ فَرْجِي، مَتَى أَسْتَحِي مِنْ اللهِ –عزّ وجلّ– حَقَّ الْحَيَاءِ، مَتَى أَشْتَغِلُ بِعَيْبِي، مَتَى أُصْلِحُ مَا فَسَدَ مِنْ أَمْرِي، مَتَى أُحَاسِبُ نَفْسِي؟.

مَتَى أَتَزَوَّدُ لِيَوْمِ مَعَادِي، مَتَى أَكُونُ عَنْ اللهِ رَاضِيًا، مَتَى أَكُونُ بِاللهِ وَاثِقًا، مَتَى أَكُونُ بِزَجْرِ الْقُرْآنِ مُتَّعِظًا، مَتَى أَكُونُ بِذِكْرِهِ عَنْ ذِكْرِ غَيْرِهِ مُشْتَغِلًا، مَتَى أُحِبُّ مَا أَحَبَّ، مَتَى أَبْغَضُ مَا أَبْغَضَ، مَتَى أَنْصَحُ للهِ، مَتَى أُخْلِصُ لَهُ عَمَلِي؟.

مَتَى أُقَصِّرُ أَمَلِي، مَتَى أَتَأَهَّبُ لِيَوْمِ مَوْتِي، وَقَدْ غُيِّبَ عَنِي أَجَلِي، مَتَى أُعَمِّرُ قَبْرِي، مَتَى أُفَكِّرُ فِي الْمَوْقِفِ وَشِدَّتِهِ، مَتَى أُفَكِّرُ فِي خَلْوَتِي مَعَ رَبِّي، مَتَى أُفَكِّرُ فِي الْمُنْقَلَبِ؟.

يريد أن يقول لنا كلّما قرأتِ آية كيف تفكّرين بها.

سنرجع مرّة أخرى للمرآة: قال: (**فَالْمُؤْمِنُ الْعَاقِلُ إِذَا تَلا الْقُرْآنَ اسْتَعَرَضَ، فَكَانَ كَالْمِرآةِ يَرَى بِهَا مَا حَسُنَ مِنْ فِعْلِهِ، وَمَا قَبُحَ فِيهِ، فَمَا حَذَّرَهُ مَوْلاهُ حَذِرَهُ، وَمَا خَوَّفَهُ بِهِ مِنْ عِقَابِهِ خَافَهُ، وَمَا رَغَّبَهُ فِيهِ مَوْلاهُ رَغِبَ فِيهِ وَرَجَاهُ.**)

سأضرب مثالًا لنتصوّر؛ الآن تقرأ في قصّة قارون وتجد تركيزك على قارون وما بلغ من المال وأنّه: {قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي}[1] لكن في القصّة تجد انقسام النّاس إلى قسمين:

- جماعة تقول لنا: {قَالَ الّذينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدّنيا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ}[2].
- وجماعة ثانية: {وَقَالَ الّذينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ}[3]

تصوّري هذه القصّة نفسها واعتبري قارون هو الحضارة الّتي تحيط بنا من الشّرق والغرب ثمّ تعالي انظري لنفسك أنت بالنّسبة لهذه الحضارة الشّرقيّة أو الغربيّة والأموال والدّنيا المفتوحة من الجماعة الّذين يقولون: {يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ} أم أنت من الجماعة الّذي يقولون: {وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ} فتضع مرآة وتقول لنفسك: هل أنا راضٍ وهذه حالي أم من أنا في هؤلاء؟

ثم هم ماذا قالوا؟! {وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ}[4] تبيّن لهم أنّ هؤلاء لن يفلحوا فكيف تتمنّى في لحظة أن تكون معهم أو مثلهم.

المقصد أن تكون المسألة عندك واضحة، تتصفّح القرآن من أجل أن تؤدّب نفسك وفي النّهاية القرآن عندك يصبح كالمرآة يعكسك، أنت من بالنّسبة لهذا، وهذا لا يكون إلّا بعد علم أمّا وأنت جاهل فلا تتفلسف، وأنت جاهل لا تضع الآيات أمامك وتقل: "هذه معناها كذا" و"هذه معناها كذا" ثمّ تضع لنفسك مرآة خاطئة مشوّشة، أحيانًا يكون هناك عباد مائلون إلى الرّجاء جدًا

(1) سورة القصص: 78.
(2) سورة القصص: 79.
(3) سورة القصص: 80.
(4) سورة المؤمنون: 82.

فلا يحضرون المرآة أمامهم إلّا في آيات الرجاء، وجماعة قانطون جدًّا فلا يضعون المرآة أمامهم إلّا في آيات التّرهيب! لا بدّ أن تكون صادقًا كلّ نصوص كتاب الله –عزّ وجلّ– تضعها أمام عينيك.

الآن سيختم هذا الفصل: (**فَمَنْ كَانَتْ هَذِهِ صِفَتُهُ، أَوْ مَا قَارَبَ هَذِهِ الصِّفَةِ، فَقَدْ تَلاهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ، وَرَعَاهُ حَقَّ رِعَايَتِهِ، وَكَانَ لَهُ الْقُرْآنُ شَاهِدًا، وَشَفِيعًا، وَأَنِيسًا، وَحِرْزًا، وَمَنْ كَانَ هَذَا وَصْفُهُ نَفَعَ نَفْسَهُ، وَنَفَعَ أَهْلَهُ، وَعَادَ عَلَى وَالِدَيْهِ، وَعَلَى وَلَدِهِ كُلُّ خَيْرٍ فِي الدّنيا وَالآخِرَةِ.**) من كانت هذه صفته في كلّ ما مضى أو قارب الصّفة –لا يريد منّا الكمال– تكون النّتيجة أنّه: (**فَقَدْ تَلاهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ**) هذه أوّل نتيجة مهمة أنّك تكون داخل تحت هذه الآية على الحقيقة، تكون تلوته حق التّلاوة ورعيته حقّ الرّعاية ثمّ يصبح القرآن لك:

(**شَاهِدًا، وَشَفِيعًا، وَأَنِيسًا، وَحِرْزًا، وَمَنْ كَانَ هَذَا وَصْفُهُ نَفَعَ نَفْسَهُ، وَنَفَعَ أَهْلَهُ، وَعَادَ عَلَى وَالِدَيْهِ، وَعَلَى وَلَدِهِ كُلُّ خَيْرٍ فِي الدّنيا وَالآخِرَةِ.**): عدّوا المصالح: بالنّسبة لك أوّلًا: تدخل في وصف المدح أن تكون ممّن تلاه حقّ التّلاوة، وإذا دخلت في وصف المدح كان القرآن لك شاهدًا وشفيعًا وأنيسًا وحرزًا، وفي المقابل تنفع نفسك بما مضى وتنفع أهلك ووالديك وولدك، وسيأتي بالنّصوص الّتي تدل على ذلك:

رُوِيَ عَنْ سَهْلِ بْنِ مُعَاذٍ الْجُهَنِيِّ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ –صلّى الله عليه وسلّم– قَالَ: (مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ، وَعَمِلَ بِمَا فِيهِ، أُلْبِسَ وَالِدَاهُ تَاجًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ضَوْءُهُ أَحْسَنُ مِنْ ضَوْءِ الشَّمْسِ فِي بُيُوتِ الدّنيا، لَوْ كَانَتْ فِيهِ، فَمَا ظَنُّكُمْ بِالّذي عَمِلَ بِهَذَا)[1].

وَرُوِيَ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– أنَّه قَالَ: (يَجِيءُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى الرَّجُلِ كَالرَّجُلِ الشَّاحِبِ، فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَيَقُولُ: أَنَا الّذي أَظْمَأْتُ نَهَارَكَ، وَأَسْهَرْتُ لَيْلَكَ)[2].

هذان النّصان يدلّان على الفضل، النّص الأوّل فيه أنّه سينفع والداه، لكن نحدّد لأنّ النّاس يستعملونه دائمًا بدون ضوابط:

(1) أخرجه أبو داود (1453)، وضعّفه الألباني.

(2) أخرجه ابن ماجه (3781)، وحسّنه الألباني.

النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– يقول: (**مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ، وَعَمِلَ بِمَا فِيهِ**) إذًا لا نأتي إلى أحد ونقول له: "أنت ستلبس والديك تاجًا" إنّما لا بدّ أن يقرأ ويعمل، ثمّ إذا تحقّق أنّه قرأ وعمل ليس لأحد أن يحكم لأحد بذلك، فكلّ ما يحصل من مخالفات كون أن نأتي مثلًا في بعض البرامج ويضعون على رأس الطفل تاجًا على أنّ هذا سيكون تاج الوقار؛ دخلوا في مشاكل كثيرة منها:

أوّلًا: التّمثيل للشّيء الغيبيّ؛ لأنّ التّاج من الأشياء الغيبيّة.

ثانيا: أنّهم حكموا له، وكيف يحكمون له وهذا شيء غيبيّ! لا نشهد لأحد بجنة أو نار نرجو للنّاس لكن لا نشهد لأحد إلّا لمن شهد له النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم.

ثالثًا: أنّهم لم يحقّقوا شرط الحديث وهو العمل به.

هذا تشجيع ليس في مكانه، لا تتعدّوا النّص، وأي مناقشات أخرى ليس لها معنى؛ لأنّ النّص غيبيّ يوم القيامة ولمن قرأ القرآن وعمل به.

كيف ينفع صاحبه في الحديث الثّاني: (**يَجِيءُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى الرَّجُلِ كَالرَّجُلِ الشَّاحِبِ**): القرآن يأتي كالرّجل الشّاحب (**فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَيَقُولُ: أَنَا الّذي أَظْمَأْتُ نَهَارَكَ، وَأَسْهَرْتُ لَيْلَكَ**) القرآن ممكن أن يسهرك اللّيل كونك تقرأ، لكن النّهار كيف؟! المقصود: العمل به، فلمّا عرف الآخرة صام النّهار ولمّا عرف الآخرة قام اللّيل، فهذا شاهد واضح أنّه لا بدّ من العمل به، فهو ظمأ بالنّهار انفعالًا بالقرآن وسهر اللّيل انفعالًا بما في القرآن، وهذا هو وصف عثمان –رضي الله عنه– في قوله تعالى: {**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الّذينَ يَعْلَمُونَ وَالّذينَ لَا يَعْلَمُونَ**}[1] هذه نزلت في عثمان –رضي الله عنه– لكن ما مطلع هذه الآية؟ {**أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ**} ما صفته؟! عدّوا صفاته: {**قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ**} يعني هو يعلم ومن أجل ذلك: {**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الّذينَ يَعْلَمُونَ وَالّذينَ لَا يَعْلَمُونَ**} وهذه الآية ممنوع استخدامها في شيء غير "يعلم عن الله أو لا يعلم عن الله" أي مسألة أخرى ليس لنا علاقة بها، يأتي أحد يقول لك: "هل يستوي الّذي يعلم والّذي لا يعلم في مسألة تتّصل بالدّنيا" قل:

(1) سورة الزّمر: 9.

ممكن يستوي ويصبح أفضل منه أيضًا لكن الّذي لا يستوي "من يعرف الله ومن لا يعرف الله" لماذا لا يستوون؟ هذا قائم قانت ساجد ويحذر الآخرة ويرجو رحمة ربّه، أثّر فيه العلم، وعثمان -رضي الله عنه- كان نموذجًا واضحًا لذلك، كان هذا الرّجل نموذجًا للمسلمين في حبّه وعلاقته بالقرآن الّتي وصلت إلى أن يجتمع عليه الخوارج فوق سقف بيته ويشعر بهم يدبّون فوق بيته قاصدين قتله وهو على مصحفه يقرأ ويقتلونه ويقع دمه على مصحفه، نموذج واضح! فهل يستوي الّذين يعلمون والّذين لا يعلمون، فتمثيل القرآن بالرّجل الشّاحب، بمعنى أن شحوبه من أثر العمل بالقرآن.

ثمّ ختم الفصل الماضي:

قال: **روي عن إِيَاسَ بْنِ عَامِرٍ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ قَالَ لَهُ:** (**إِنَّكَ إِنْ بَقِيتَ** -إن طال بك العمر- **فَسَيُقْرَأُ الْقُرْآنُ عَلَى ثَلاثَةِ أَصْنَافٍ: صِنْفٍ للهِ تَعَالَى** -مرّ معنا ذكره- **وَصِنْفٍ لِلدُّنْيَا** -من قلنا عنه: يتأكّل- **وَصِنْفٍ لِلْجَدَلِ** -هؤلاء المنافقون يخرجون إلى القنوات معهم آيات من هنا ومن هنا من المتشابهة ويلقونها على المسلمين- **فَمَنْ طَلَبَ بِهِ أَدْرَكَ**)[1].

يعني: أي أحد يريد شيئًا من هذه الثّلاثة سيجده، لا يأتي الإنسان يقول: "أنا أكيد على خير لأنّي وجدت نفسي أحفظ، ثمّ بعدما حفظت علّمت والنّاس مقبلون عليّ" نقول: "ليس شرطًا، فالفاجر والمنافق والمؤمن يطلبون من القرآن ما يريدون ويصلون" فليس هناك مقياس بهذه الصّورة، ما أخطره من مقياس أن أقول لنفسي: "مادمت أسير هكذا إذًا أنا على الصّراط المستقيم!" بل لا بدّ أن أراجع مفاهيم الإيمان.

(قَدْ ذَكَرْتُ أَخْلاقَ الصِّنْفِ الّذينَ قَرَؤُوا الْقُرْآنَ يُرِيدُونَ اللهَ -عزّ وجلّ- بِقِرَاءَتِهِمْ، وَأَنَا أَذْكُرُ الصِّنْفَيْنِ اللَّذَيْنِ يُرِيدَانِ بِقِرَاءَتِهِمَا الدّنيا وَالْجَدَلَ، وَأَصِفُ أَخْلاقَهُمْ حَتَّى يَعْرِفَهَا مَنْ اتَّقَى اللهَ جَلَّتْ عَظَمَتُهُ، فَيَحْذَرَهَا.)

ذكر الصّنف الأول وسيذكر أوصاف الصّنفين الآخرين معًا لأنّ أول ما تترك الإيمان فالسّقوط يشبه بعضه والفوارق بسيطة.

إذًا لماذا أسمع عنهم؟ من أجل أن أحذر، من أجل أن أتّقي أن أقع في ذلك.

(1) الدارمي (3372) صحيح.

كيف يفرّق حافظ القرآن وحامل الدّين والعلم بين أنّه يُفتح له بما يُرزق أو أنّه يُستدرج؟! لأنّ هذان الأمران أخطر ما يكون على طالب العلم بل على النّاس جميعًا أنّه هل هذه الفتوح الّتي تفتح لي دليل الرّضا أم هذه الفتوح بلاءات؟!

من أجل أن نضبط المسألة لا بدّ أن نستعمل كلام الله وكلام رسوله –صلّى الله عليه وسلّم– سنقرأ مقطع من سورة المؤمنون يكون بالنّسبة لنا قاعدة لا ننساها، لكن أبدأ أوّلًا بالتّنبيه على مسألة مهمة تكلّمنا عنها، خطر عظيم وهو **خطر الحزبيّة**، نحن نواجه مع طلبة العلم ونواجه مع معلمي القرآن ونواجه مع طلّاب القرآن –نتيجة الطريقة الّتي ندرس بها– خطر الحزبيّة، يتحزّب النّاس حول أسماء أماكنهم، حول مناطقهم، حول طرقهم الّتي يستخدمونها، فتصبح المسألة أن يتحول النّاس أحزابًا، هؤلاء الأحزاب لهم صفات عندما نقرأ هذه الآيات ستفيدنا الأمرين:

- نعرف صفات الأحزاب.
- وأيضًا ستفيدنا في التّمييز (هل يُفتح لي الآن أم أن هذا استدراج؟!)

إن شاء الله من خلال الآيات نصل لهذه النّتيجة، وهذا كلام مهم جدًا لا بدّ أن نفهمه لأنّنا في الواقع ندخل في أحزاب ونحن لا نشعر، والآيات ستبيّن لنا.

- بدأت السّورة من آية (1) إلى آية (11) فيها وصف المؤمنين.
- ثمّ بدأت من الآية (12) تُذكر منن الله –عزّ وجلّ– على خلقه، من حيث خلق الإنسان، إلى خلق الأشياء له، إلى إرسال الرّسل، كلّ هذا ذُكر، ذُكر نوح –عليه السّلام– وذُكر بعد نوح–عليه السّلام–رسول لم يسمّى في السّورة، ثمّ ذُكرت سنّة الله في الإرسال ثمّ ذُكر موسى ثمّ ذُكر عيسى عليهم السّلام.

ثمّ بعد ذكر أنّ هؤلاء المؤمنون الكُمّل استفادوا من الآيات، قال الله عزّ وجلّ: {يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ}[1].

ثمّ هذه الآية المهمّة جدًا {وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً} أمّة ما وصفها؟ واحدة، لا بدّ أن تفهموا أنّنا أمّة واحدة من حيث اتّباعنا للرّسل، {وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ}[2].

ماذا فعل مَنْ أتى بعد أولئك المؤمنين الكُمّل؟ {فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا} ما حالهم؟ {كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ}[3].

ينقسمون جماعة يأخذون القرآن ولا يقبلون السّنة وجماعة يهتمّون بالحروف ولا يهتمّون بالمعاني، إنقسامات ثمّ داخل هذه الانقسامات لا بدّ أن تأتي الانقسامات الجزئيّة الّتي تجدينها في المجتمعات، نحن نتكلّم عن الصُلّاح، نحن لا نتكلّم عن عامّة النّاس، كان الواجب أن نرث الكتاب وراثة صحيحة بحيث تكون النّتيجة أن يصل الإنسان إلى ما كان عليه الرّسل لا أن يخالف الرّسل، لكن الحاصل الانقسامات!

الآن سنقرأ السّياق وأنتم تميّزون لأنّ هذا السّياق فيه شيء من الصّعوبة لأنّ فيه انتقالة، سنقرأ السّياق لكي نعرف الصّفات ونحن نريد جواب سؤال: **هل ما يُفتح لي ويأتيني هو لي أم عليّ؟!** لكن انتبهوا أنّ بداية المسألة أنّ الله يقول: {يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (٥١) وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ} ماذا حصل منّا؟ {فَتَقَطَّعُوا} سنبدأ من هنا نقرأ السّياق كاملًا ثمّ نفكّر في الإجابة.

{فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (٥٣) فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ (٥٤) أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ (٥٥) نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ (٥٦) إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ (٥٧) وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (٥٨) وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ (٥٩) وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (٦٠)

(1) سورة المؤمنون: 51.

(2) سورة المؤمنون: 52.

(3) سورة المؤمنون: 53.

أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ (٦١) وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنطِقُ بِالْحَقِّ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٦٢) بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ}[1].

فهمنا أنّ "الأحزاب" هم من انقسموا على الدّين، الانقسامات الّتي حصلت من ورثة الدّين ليس المقصود النّاس الّذين هم بعيدون عن الدّين، البعيدون عن الدّين لهم خطاب آخر، لكن هؤلاء هم أتباع الأنبياء الّذين قيل عنهم: {فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا} وهناك صفة فيها مصيبة أكبر: {كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ} كلّ منهم يقول: "أنا الصّواب" ولا بدّ أن يكون هناك واحد صواب لكن ليس هناك من على الصّواب إلّا من اعتصم بالكتاب والسّنة كلّها، ليس الّذي يأخذ جزءًا منها وأقام النّاس على هذا الجزء وقال: "أنتم لستم بشيء إذا ما أقمتم الحروف"، "أنتم لستم بشيء إذا ما دخلتم معي حزبي"، "أنتم لستم بشيء إذا ما قمتم بأنشطة"، أنتم لستم من أهل الدّين إذا ما كنتم تحملون اسمي"، "إذا ما كان عنواني أنا هو الّذي يظهر عندكم وليس كلام النّبيّ ولا كلام الله، ولا بدّ أن ترتبطوا بي شخصيًا!!" هذه هي العلامات الّتي نراها في الواقع، هؤلاء كلّ حزب بما لديهم فرحون ثمّ يحملون غيرهم على هذه الأمور، ويعتبرون أنّ من هو خارج حزبهم ليس بشيء ومن داخل حزبهم هو الّذي داخل الإسلام وداخل الإيمان! ثمّ من التّكفير إلى التّفسيق إلى الحكم بأنّهم ليسوا صُلّاحًا ولا ندري هل يدخلون الجنّة أو لا يدخلونها!!

بهذه المشاعر، أنا أصف لكم ماذا يشعرون، ماذا يقولون، ماذا يدخلون في قلوب النّاس، حتى شعر النّاس أنّهم لو ما انتموا إلى حزب إذًا ليس لهم طريق إلى ربّهم، هذا فعل الأحزاب، وهذه الأحزاب ليس شرًاط أن يُعلن عنها، ليس شرطًا أن يقولوا لك "نحن حزب مدرسة كذا أو جمعية كذا" لكن هذه مشاعر تدخل في النّفس، مشاعر تتكوّن نتيجة أنّ الإنسان ما يعالج نفسه بالاعتصام بالكتاب والسّنّة، أنت دائمًا لا بدّ أن تردّ نفسك أنّ قدوتي النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- ثمّ هناك أئمّة يقتدى بهم، فارتبط بالأئمة، ارتبط بمن نسبه إلى النّبيّ، ليس المقصود النّسب المعلوم إنّما من ينسب نفسه إلى النّبيّ علمًا وفهمًا ويكون صادقًا في ذلك.

المقصد أنّ هؤلاء هذه حالهم، فالله يقول للنّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: {فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ} "غمرة" من: غُمر في الماء، كأنّه غارق لا يعرف الحقائق، {فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ} ثمّ {أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ (٥٥) نُسَارِعُ لَهُمْ فِي

(1) سورة المؤمنون: 53-63.

الْخَيْرَاتِ} يعني تنتصر الأحزاب ويصبح عددها أكبر ويصبح عندها مال وتتوسّع أماكنها، ويصبح لها ناصرون، ويصبح لها صِيت في العالم الإسلاميّ ويحصل ويحصل ويحصل ماذا يحسبون؟ نسارع لهم في الخيرات، بل لا يشعرون أنّهم يمدّ لهم إلى الهلاك.

مباشرة تحصل انتقالة –وسورة المؤمنون عجيبة في الانتقالات– : {إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ (٥٧) وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (٥٨) وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ(٥٩)} الجماعة الثانية: {وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (٦٠) أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ} **هناك** الله يسارع لهم في الخيرات **وهنا** هم يسارعون في الخيرات، جاءتهم الخيرات أو لم تأتِهم الخيرات ليس مقياس هؤلاء المؤمنين أن يسارع الله لهم في الخيرات أو أن يعطيهم أو أن يفتح عليهم، فُتح و وُسّع الحمد لله، ضُيّق الحمد لله، هم في الحالّتين يسارعون في الخيرات، هذا هو الضّابط المهمّ، **متى تفهم أنّ الّذي أنت فيه خير؟** عندما تجد نفسك لازلت مجتهدًا في الإتيان بهذه الصّفات، عدّي الصّفات:

- {إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ}.
- {وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ}.
- {وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ}.
- {وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ}.
- ثمّ هذا كلّه يدفعهم: {أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ} الله يعِدهم، ثمّ ينبّهنا تنبيهًا، أنا بذلت جهدي في كثير من الخيرات لكن لا أستطيع هذا أو هذا! مباشرة أتى الجواب: {وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنطِقُ بِالْحَقِّ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ}.
- ثمّ عاد السّياق مرّة أخرى للأوائل {وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (٦٠) أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ (٦١) وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنطِقُ بِالْحَقِّ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} عاد

السّياق مرّة أخرى للأوائل: {بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ} يعني الله سيمدّ في أعمارهم ويمكّنهم ويكملون أعمالًا سيّئة ليُقبضوا على أسوأ حال، **إذًا ما المقياس؟** المقياس أن ترى هل أنت تسارع بالخيرات؟! لا تنظر لعطيّة الله **لأنّ الله –عزّ وجلّ–عطيّته مرتبطة بحكمته** وأنت عليك أن تأتي بهذه الصّفات الّتي من أهمّها: أن تسارع في الخيرات، ولا يهمّك ولا تنظر أعطيت أو لم تعط، فتح لك أو لم يفتح لك، ليست هذه المشكلة، يوم يفتح لك ويوم لا يفتح لك، وعلى هذا **لا تقِس رضا الله بعطايا الدّنيا، لا العطيّة تدلّ على الرّضا ولا المنع يدلّ على السّخط؛** و لهذا كونوا متذكّرين لسورة الفجر: {فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (١٥) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ}[1] الله يجيب: {كَلَّا}[2] قفوا عند {كلاّ} لأنّها تخبرك أنّ هذا المقياس خطأ، وما بعدها يقول: لأنّ عقولكم بهذه الصّورة تحبّون المال وتأكلونه؛ تقيسون أفعال الله بنفس الطّريقة لكن الصّحيح، كلّا ليس هذا المقياس الّذي يدلّ على رضا الله عزّ وجلّ.

إذًا ما **القاعدة** الّتي بها تفهمين أفعال الله عزّ وجلّ؟ **لا العطاء يدلّ على الرّضا ولا المنع يدلّ على السّخط.**

إنّما ما الّذي يدلّني؟ **رضا الله مقياسه أن يشرح صدرك للأعمال الصالحة وأنت مخلص،** ولا تنسوا أنّ من صفاتهم: {إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ} ، {وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ} لا بدّ أن تأتوا بكلّ الصّفات الّتي آخرها: { يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ}.

بهذا انتهى النّقاش في هذه النّقطة، نعود لمقصدنا الأساسيّ وهو أنّنا نريد أن نصل إلى أنّ هناك من حمل القرآن ولا يريد به وجه الله.

بَابُ: أَخْلاقِ مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ لا يُرِيدُ بِهِ اللهَ –عزّ وجلّ–

(1) سورة الفجر: 15-16 .

(2) سورة الفجر: 17.

(فَأَمَّا مَنْ قَرَأُ الْقُرْآنَ لِلدُّنْيَا وَلأَبْنَاءِ الدّنيا، فَإِنَّ مِنْ أَخْلاقِهِ: أَنْ يَكُونَ حَافِظًا لِحُرُوفِ الْقُرْآنِ، مُضَيِّعًا لِحُدُودِهِ، مُتَعَظِّمًا فِي نَفْسِهِ، مُتَكَبِّرًا عَلَى غَيْرِهِ.

قَدْ اتَّخَذَ الْقُرْآنَ بِضَاعَةً يَتَأَكَّلُ بِهِ الأَغْنِيَاءَ، وَيَسْتَقْضِي بِهِ الْحَوَائِجَ، يُعَظِّمُ أَبْنَاءَ الدّنيا، وَيُحَقِّرُ الْفُقَرَاءَ، إِنْ عَلَّمَ الْغَنِيَّ رَفَقَ بِهِ طَمْعًا فِي دُنْيَاهُ، وَإِنْ عَلَّمَ الْفَقِيرَ زَجَرَهُ وَعَنَّفَهُ؛ لأنهُ لا دُنْيَا لَهُ يَطْمَعُ فِيهَا، يَسْتَخْدِمُ بِهِ الْفُقَرَاءَ، وَيَتِيهُ بِهِ عَلَى الأَغْنِيَاءِ، إِنْ كَانَ حَسَنَ الصَّوْتِ أَحَبَّ أَنْ يَقْرَأَ لِلْمُلُوكِ، وَيُصَلِّي بِهِمْ طَمْعًا فِي دُنْيَاهُمْ، وَإِنْ سَأَلَهُ الْفُقَرَاءُ الصّلاة بِهِمْ ثَقُلَ ذَلِكَ عَلَيْهِ، لِقِلَّةِ الدّنيا فِي أَيْدِيهِمْ، إِنَّمَا طَلَبُهُ الدّنيا، حَيْثَ كَانَتْ رَبَضَ عِنْدَهَا.)

يريد أن يتكلّم عن أخلاق **من قرأ القرآن لا يريد به وجه الله**، لكن لا تنسوا كلام علي –رضي الله عنه– حين قال لإياس ابن عامر: (**إنك إن بقيت**–ماذا سيحصل؟ **–فسيقرأ القرآن على ثلاث أصناف: صنف لله تعالى وصنف للدّنيا وصنف للجدل فمن طلب به أدرك)** قال الآجري: أنا سأصف لكم الآخرين، لماذا يصف لنا من طلبه بغير وجه الله؟ قال في النهاية: (وَأَصِفُ أَخْلاقَهُمْ حَتَّى يَعْرِفَهَا مَنْ اتَّقَى اللهَ جَلَّتْ عَظَمَتُهُ، فَيَحْذَرَهَا.)

يعني هذه الأخلاق للحذر، إذًا **نحن نعرف الشرّ لا للشّر لكن لتوقّيه، ومن لا يعرف الشّر يقع فيه.**

نبدأ الآن بأوّل صفة له: (فَأَمَّا مَنْ قَرَأُ الْقُرْآنَ لِلدُّنْيَا وَلأَبْنَاءِ الدّنيا): للدّنيا أي: مقصده الدّنيا، وأيضًا لأبناء الدّنيا، وسيتبيَّن لماذا لأبناء الدّنيا، من خلال نقاشه ستفهمين ما معنى أبناء الدّنيا، ما أخلاقه؟ أول خلق وأهمه والّذي يكفي جملة مختصرة في أخلاقه: (أَنْ يَكُونَ حَافِظًا لِحُرُوفِ الْقُرْآنِ، مُضَيِّعًا لِحُدُودِهِ): بمعنى إذا وجدت الخُلق عرفت المقصد، المعنى أنّه ليس شرطًا أن يكون شاعرًا بنفسه أنّه قرأ القرآن للدّنيا لكن **إذا وُجدت الصّفات عُلمت المقاصد**، بمعنى **إذا وجدنا أنفسنا لا نعرف من القرآن إلّا الحروف ونجد أنفسنا مضيّعين للحدود إذًا هذا يساوي أنّنا قرأنا القرآن لا نريد به وجه الله.**

لا بدّ أن نفهم المسألة بالعكس كأنّه يقال انظر إذا وُجدت هذه الصّفات عُلمت هذه المقاصد، هل الصّفات الخارجيّة تدلّ على المقاصد الدّاخلية؟! الجواب: نعم، هناك **تصرّفات خارجيّة تدلّ على المقاصد الداخليّة**، إن وُجدت الخارجيّة غالبًا أنّ الداخليّة تكون كذلك، لكن من يقول: "ليس هذا قصدي" نقول: الآن قرأنا {بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ

لَهَا عَامِلُونَ} وفي السّياق الأوّل: {فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ} فهذا في غمرة، شخص غارق لا يعرف أين مكانه، لا يبحث من أجل أن يصل، إذا وجدنا أنفسنا حافظين للحروف،مضيّعين للحدود وأيضًا نجمع على ذلك أنّنا معظّمين لأنفسنا، متكبّرين على غيرنا، فهذا يعني أنّ القراءة لغير وجه الله والحلّ التّوبة والعودة وسير الطّريق، فليس لكوننا نستصعب المسألة يكون ردّنا أن نقول: "هذا ليس شرطًا، ممكن أن يكون الإنسان هذه صفته ولكن ليس هذا مقصده!" نقول: لا، **إذا وجدت الصّفات دلّت على المقاصد**، هو وصفه **بأربع صفات**:

الصّفة الأولى: أنّه حريص على الحروف يعني حافظ للحروف.

الصّفة الثانية: أنّه مضيّع للحدود، لأحكامه.

الصّفة الثّالثة: مُتعظِّمًا فِي نَفسه.

الصّفة الرّابعة: مُتكبّرًا على غيره.

متعظّم في نفسه حتّى لو كان في الصّحراء وحده وليس هناك أحد معه، يرى نفسه عظيمًا، وهذه سِياسة يعيشها النّاس حين لا يعرفون العبوديّة، حين لا يعرفون الذّلّ والانكسار، الإنسان يبذل جهده أن يغطّي ما يجد في نفسه من ضعف وهو مخلوق ضعيف وعاجز وفقير يحاول يدافع هذه الثّلاث صفات، كلّ العالم يحاول أن يدافعها **والمؤمن يعلم أنّ هذه الثّلاث صفات منطلق شرفه لأنّك مادامت فقيرًا وضعيفًا وعاجزًا إذًا ستقف موقف العبوديّة كما ينبغي**، وتعرف لمن تفتقر وعند من تُظهر عجزك وتطلب ممّن القوّة، لكن غير المؤمن يحاول أن يدافعها فيخترع اختراعات تدفع عنه ضعفه وفقره وعجزه، هذا المضيّع لحدود القرآن ما حاله؟ ما عرف أنّ شرفه الفقر والضّعف والعجز فيبحث عن أي شيء يفتخر به ويتعظّم به.

لا بدّ أن تفهموا هذه المسألة جيّدًا لأنّ هذه مشاعر نفسيّة خطيرة، كلّ النّاس يشتركون في ثلاث صفات أساسيّة تأتي بالعبوديّة وهذه الثّلاث صفات تقابل ثلاث صفات من صفات الله، عندما نقرأ سويًّا قوله تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ

(٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ} ثمّ {إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ}[1] يقابلها ثلاث من صفات الإنسان: فقير وعاجز وضعيف، فيقال لك: **فقرك وعجزك وضعفك شَرفُك**، أنت في داخلك مشاعر أنّك لا بدّ أن تدافع هذا الفقر والضّعف والعجز، مشاعر مزعجة جدًا أنّك تشعر أنّك فقير ومحتاج أو تشعر أنّك ضعيف أو عاجز لا تستطيع أن تفعل، نقول: المدافعة عند المؤمن التقيّ هي أن يتدبّر قوله تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} وهذه الثّلاث صفات هي الّتي تدفعك إلى الطّاعة والعبادة، كلّ النّاس غير المؤمن التّقي يبذلون جهودهم بأشكال مختلفة لمدافعة هذه المشاعر، منها أن يقنع الإنسان نفسه أنّ في داخله – كما يعبّرون في كثير من الدّورات– "مارد قويّ!" و "فجّر ما فيك من طاقات!" إلى آخر هذا الكلام لكي يدافعوا هذا الثّلاثي الّذي هو مصدر الشّرف، يأتي بعض النّاس يتّخذون بعض الأعمال لكي يدافعوا هذا الأمر ليصبحوا عظماء في أنفسهم، فتصوّري أنّ بعض النّاس يحفظ القرآن ويستعمله من أجل أن يدافع هذه الثّلاثة فيتعظّم في نفسه، **يصبح معظّمًا لنفسه، ما نعبّر عنه** باختصار أنّه يصاب **بمرض العجب**، ومرض العجب الإنسان يصاب به حتى لو كان وحده في صحراء، لو كان معجب بنفسه يمارس العجب في أيّ مكان!

- إذًا إذا وُجدت الصّفات عُلمت المقاصد والنيّات.
- كثير منّا قلبه تائه لا يعرف لماذا يعمل، سار في الطريق وجد ناس سار معهم، غير محدّد مقصده.
- فتأتي الصّفات تبيّن ما هو موجود من المقاصد، بمعنى أنّ الإنسان حين يكون في غمرة لا يشعر بمقاصده.
- نحن لا نستطيع أن نضع أيدينا على قلوبنا ونخرّج تقريرًا أنّ مقصدنا وجه الله؛ ومن أجل ذلك الصّفات تدلّ على المقاصد.
- وهذه الصّفات إمّا أفعال قلب وإمّا أفعال جوارح، فلنفكّر في صفاتنا ونرى أين نحن منها.

(1) سورة الذّاريات: 56-58.

قال: (**قَدْ اتَّخَذَ الْقُرْآنَ بِضَاعَةً يَتَأَكَّلُ بِهِ الأَغْنِيَاءَ وَيَسْتَقْضِي بِهِ الْحَوَائِجَ، يُعَظِّمُ أَبْنَاءَ الدّنيا** -أصحاب الأموال والجاه- **وَيُحَقِّرُ الْفُقَرَاءَ**)

ولذلك دائمًا لا بدّ أن تعالج قلبك وأنت تلقى الأغنياء وتعالج قلبك وأنت تلقى الفقراء، ترى هل قلبك منشرح لهذا ولهذا سواء أم ترى قلبك يتغيّر في الانشراح؟ وهذا ليس له علاقة بإنزال النّاس منازلهم، حين تعاملهم أنزلهم منازلهم من الاحترام وكلّ هذا، لكن هل في قلبك انشراحًا متساويًا حال تدريس القرآن وتفهيم المسائل؟ وسيعبّر الآن: (**إِنْ عَلَّمَ الْغَنِيَ رَفَقَ بِهِ** -رفق به في التدريس- **طَمَعًا فِي دُنْيَاهُ، وَإِنْ عَلَّمَ الْفَقِيرَ زَجَرَهُ وَعَنَّفَهُ؛ لأنهُ لا دُنْيَا لَهُ يَطْمَعُ فِيهَا** -ليس عنده دنيا يطمع فيها فيضغط عليه في التّعليم- **يَسْتَخْدِمُ بِهِ الْفُقَرَاءَ**): "يستخدم" بمعنى من أجل أن يعلّمه يشغّله في أقلّ الأشياء، وهذا كثير ما يحصل منّا ونحن لا نشعر، كثير ما نرسل الصّغار الّذين نعلّمهم يقضون لنا حوائجنا: هات لي أغراضي من المكتب، هات لي كذا، نحن الآن نتكلّم عن قارئ القرآن الّذي يستخدم النّاس في القرآن، هذا شيء آخر غير الودّ والمحبّة، هناك بعض طَلَبَتُك في قلوبهم ودّ ولك صلة بهم فهذا أمر آخر، لكن نتكلّم عن هذا الّذي عنده قاعدة الفقير يستخدمه ليستفيد من بدنه والغنيّ يفعل له شيء آخر، ماذا يفعل؟ (**وَيَتِيهُ بِهِ عَلَى الأَغْنِيَاءِ**) "يتيه به" أي: حين يجلس معهم وهم عندهم أموالهم هو يقول لهم: "أنا أفضل منكم" وممكن أن يعظهم حتى في مالهم على أنّه يقول: "أنا قضيت عمري في القرآن والعلم فيما ينفع والأموال لا تنفع" وهو عنده مشاعر أنّها تنفع! وأيضًا في نفس الوقت عنده مشاعر أنّه يريد أن تتعلّق عيونهم به أنّه أفضل منهم، وهو يريد أن يروه أفضل منهم -وإن كان صادقًا، لكان أفضل منهم بالقرآن بدون مناقشة-لكن لماذا يبحث عن قلوبهم والمكانة فيها؟! هذه المشكلة! لماذا تبحث عن المكانة في قلوب النّاس؟! ابحث عن المكانة عند الله، **فالمدح، الثّناء، الرّفعة كلّ هذه الأشياء الّتي تحتاجها عند الله، اسألها الله ولا تسألها خلقه.**

قال: (**إِنْ كَانَ حَسَنَ الصَّوْتِ أَحَبَّ أَنْ يَقْرَأَ لِلْمُلُوكِ، وَيُصَلِّي بِهِمْ طَمَعًا فِي دُنْيَاهُمْ**) سواء كان يصلّي بهم الفرائض أو يصلّي بهم التّراويح مثلًا، يحبّ أن يذهب إلى مساجد الأغنياء ويصلّي بهم.

(**وَإِنْ سَأَلَهُ الْفُقَرَاءُ الصّلاة بِهِمْ ثَقُلَ ذَلِكَ عَلَيْهِ** -يشعر أنّها ثقيلة ليس لها فائدة عنده- **لِقِلَّةِ الدّنيا فِي أَيْدِيهِمْ، إِنَّمَا طَلَبُهُ الدّنيا** -يعني هو أصلًا يبحث عن الدّنيا، ثمّ يعبّر بتعبير تحقير له- **حَيْثُ كَانَتْ رَبَضَ عِنْدَهَا** -"ربض" لا تقال إلّا على المواشي، فكأنّه يشبّهه بالماشية الّتي تربض عند الدّنيا.

قال: (**يَفْخَرُ عَلَى النّاس بِالْقُرْآنِ، وَيَحْتَجُّ عَلَى مَنْ دُونَهَ فِي الْحِفْظِ بِفَضْلِ مَا مَعَهُ مِنْ الْقِرَاءَاتِ، وَزِيَادَةِ الْمَعْرِفَةِ بِالْغَرَائِبِ مِنْ الْقِرَاءَاتِ، الّتِي لَوْ عَقِلَ لَعَلِمَ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ لا يَقْرَأَ بِهَا، فَتَرَاهُ تَائِهًا مُتَكَبِّرًا، كَثِيرَ الْكَلامِ بِغَيْرِ تَمْيِيزٍ، يَعِيبُ كُلَّ مَنْ لَمْ يَحْفَظْ كَحِفْظِهِ، وَمَنْ عَلِمَ أَنَّهُ يَحْفَظُ كَحِفْظِهِ طَلَبَ عَيْبَهُ.**

مُتَكَبِّرًا فِي جِلْسَتِهِ، مُتَعَاظِمًا فِي تَعْلِيمِهِ لِغَيْرِهِ، لَيْسَ لِلْخُشُوعِ فِي قَلْبِهِ مَوْضِعٌ، كَثِيرَ الضَّحِكِ وَالْخَوْضِ فِيمَا لا يَعْنِيهِ، يَشْتَغِلُ عَمَّنْ يَأْخُذُ عَلَيْهِ بِحَدِيثِ مَنْ جَالَسَهُ، هُوَ إِلَى اسْتِمَاعِ حَدِيثِ جَلِيسِهِ أَصْغَى مِنْهِ إِلَى اسْتِمَاعِ مَنْ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَسْتَمِعَ لَهُ، يُرِي أَنَّه لِمَا يَسْتَمِعُ حَافِظًا، فَهُوَ إِلَى كَلامِ النّاس أَشْهَى مِنْهِ إِلَى كَلامِ الرَّبِّ عزّ وجلّ، لا يَخْشَعُ عِنْدَ اسْتِمَاعِ الْقُرْآنِ، وَلا يَبْكِي، وَلا يَحْزَنُ، وَلا يَأْخُذُ نَفْسَهُ بِالْفِكْرِ فِيمَا يُتْلَى عَلَيْهِ، وَقَدْ نُدِبَ إِلَى ذَلِكَ.)

الآن علاقته بالنّاس كلّهم: (**يَفْخَرُ عَلَى النّاس بِالْقُرْآنِ، وَيَحْتَجُّ عَلَى مَنْ دُونَهَ فِي الْحِفْظِ بِفَضْلِ مَا مَعَهُ مِنْ الْقِرَاءَاتِ، وَزِيَادَةِ الْمَعْرِفَةِ بِالْغَرَائِبِ مِنْ الْقِرَاءَاتِ**):هو ينافس:

- فأوّلا يفْخر على النّاس كلّهم بالقرآن.
- إذا كان في مجلس فيه أهل القرآن يرتفع في مسألة القراءات.
- إذا كان أيضًا عندهم قراءات يرتفع في الشاذّ من القراءات، يبحث عن الشاذّ من القراءات على أنّه يعرف القراءات والشاذّ منها.

فهو يقول له: (**الّتِي لَوْ عَقِلَ لَعَلِمَ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ لا يَقْرَأَ بِهَا**): لأنّها شاذّة المفترض أن تكون نهايتها أن تُترك لا أن تُشهر، فهو لو كان عاقل لما قال: "أنا أعرف القراءات الشاذّة" لأنّ حقّ الشاذّ أن يُترك ولا يُذكر.

(**فَتَرَاهُ تَائِهًا مُتَكَبِّرًا** –ثم هناك صفة خطيرة– **كَثِيرَ الْكَلامِ بِغَيْرِ تَمْيِيزٍ**): حين يجد نفسه حاملًا للقرآن كثير الكلام بغير تمييز يتكلّم في أيّ شأن فهذا دليل على أنّ القرآن لم يكسبه الانشغال به؛ لأنّ **من ينشغل بالقرآن ومعانيه يقلّ جريان الكلام العادي على**

لسانه، الّذي لا قيمة له في دينه فهو كثير الكلام بغير تمييز، ماذا يقول؟ (**يَعِيبُ كُلَّ مَنْ لَمْ يَحْفَظْ كَحِفْظِهِ**): يقول: هؤلاء لا يُتقنون، هؤلاء لا يحفظون كحفظه، يعيب كلّ من لم يحفظ كحفظه.

(**وَمَنْ عَلِمَ أَنَّهُ يَحْفَظُ كَحِفْظِهِ طَلَبَ عَيْبَهُ**): وإذا وجد أحد يحفظ كحفظه فيُجري له اختبارات ليُظهر عيبه.

(**مُتَكَبِّرًا فِي جِلْسَتِهِ**): أي في جلوسه سواء كان في حلقة التّعليم أو كان بين النّاس، لكن الجلوس والمشي تجدون لهم في الدّين مكانة، قال تعالى: {**وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا**}[1] علينا أن ننتبه إذا وجدنا أنفسنا جالسين بطريقة غير لائقة قلبيًّا، من يجلس ويشعر أنّه على مخدّة هوائيّة! من حيث الفخر والشّعور أنّه ليس هناك أفضل منه، فهذه مشاعر خطيرة، يجلس وليحذر من يجد النّاس مجتمعين عليه، فهذا لا يأتي له بالانكسار والذّلّ إنّما يأتي له بمشاعر أنّه ليس هناك مثلي!

(**مُتَعَاظِمًا فِي تَعْلِيمِهِ لِغَيْرِهِ**): هو جالس من أجل أن يعلّم غيره، أصلًا يرى نفسه فوق ثمّ يتعظّم على من يعلّمه.

(**لَيْسَ لِلْخُشُوعِ فِي قَلْبِهِ مَوْضِعٌ**): المفترض عندما يجلس مجلس التّعليم **يكون أخشع من طلاّبه لأنّه سيجمع بين أمرين: بين أنّه هو يعبد الله بالاستماع وبين أنّه سيعبد الله بالتّعليم**، سيقرأ القرآن ويُقرَأ عليه.

وانظري كيف تكون حالته خارج مجلس الدّرس أو حتّى لو في الدّرس وأتى أحد من أصحابه، من أنداده (**كَثِيرَ الضَّحِكِ وَالْخَوْضِ فِيمَا لا يَعْنِيهِ، يَشْتَغِلُ عَمَّنْ يَأْخُذُ عَلَيْهِ بِحَدِيثِ مَنْ جَالَسَهُ**): تصوّروا هؤلاء جالسين في مجلس تحفيظ وهذا يقرأ عليه وأتى أحد من أصحابه أو من معارفه وكلّمهُ، لا يجعل هذا ينتظر، إنّما ينقطع عن من يسمع منه لحديث غيره، يقول: (**يَشْتَغِلُ عَمَّنْ يَأْخُذُ عَلَيْهِ بِحَدِيثِ مَنْ جَالَسَهُ هُوَ إِلَى اسْتِمَاعِ حَدِيثِ جَلِيسِهِ أَصْغَى مِنْهُ إِلَى اسْتِمَاعِ مَنْ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَسْتَمِعَ لَهُ**) يلتفت إلى هذا الّذي يكلّمه ويترك جليسه –الطّالب الّذي يسمع منه أو هو يسمع عليه– أيضًا هناك حالة أخرى من حالاته: (**يُرِي أَنَّه لِمَا يَسْتَمِعُ حَافِظًا**): أي أحد يأتي يقول له أيّ شيء يبيّن له أنّه يعرفه، ما يسمّونها اليوم "ممانعة التعلّم" يُدافع التّعلّم أو يُدافع التّدريب، بمعنى أنا أعرف كلّ شيء، بهذه المشاعر!

(1) سورة الفرقان: 63.

(**فَهُوَ إِلَى كَلامِ النّاس أَشْهَى مِنْهِ إِلَى كَلامِ الرَّبِّ عزّ وجلّ**): يشتهي كلام النّاس أكثر مما يشتهي كلام الله!

(**لا يَخْشَعُ عِنْدَ اسْتِمَاعِ الْقُرْآنِ، وَلا يَبْكِي، وَلا يَحْزَنُ، وَلا يَأْخُذُ نَفْسَهُ بِالْفِكْرِ فِيمَا يُتْلَى عَلَيْهِ**): **التّفكر فيما يتلى عليك يكون على حسب حضور قلبك** قد تسمع سورة أنت تحفظها وقرأها كثيرًا لكن تجتمع في القلب أمور ويأتيه حال يجعل عاصفة المشاعر أقوى فيحصل البكاء وتحصل الخشية على حسب الحال الّذي هو فيه، فتصوّر لو أنّك تُدرك أنّك تجلس وطالبك يجلس والملائكة تجلس معك، وتدرك أنّ الله –عزّ وجلّ– ينظر إلى قلبك وتدرك أنّ هذا الكلام الّذي تسمعه الآن كلام الله به، فاحترامًا لهذا المجلس كلّه ولله –عزّ وجلّ– الّذي ينظر ويسمع واحترامًا لنفسك، احترامًا لعبوديتك ولعبودية من تسمع منه وللملائكة الّتي تحيط، لا بدّ أن تكون إثارة المشاعر في المجلس أقوى من أنّك منفرد فيحصل الخشوع، وكثير من الأحيان يكون صادقًا ويجلس أمام طلاّبه وطلاّبه يقرؤون عليه ومن سماعه لطلاّبه يفهم ما لا يفهمه لو قرأ هو وحده، ويجلس في المجلس ويُفتح عليه من الفهوم ما لا تفتح عليه وهو منفرد فتجده أكثر خشوعًا، هو لا يمثّل الخشوع ولا يتباكى ولا يريد أن يظهر لطلاّبه أنّه تأثّر إنّما يبذل جهودُه أن يحبس دموعه عند طلاّبه، لكن يحصل له الخشوع بسبب أنّ هناك ملابسات تدخل على القلب، أنت قرأت هذه الآيات، قرأت هذا الكلام في البيت لكن جئت وطلاّب مجتهدون صادقون وملائكة تحيط بكم وربّ ينظر إليكم ومجلس يُشْهَد، هذا كلّه ما يثير الفؤاد؟ يثيره، فتحصل حالة الخشوع والخشية الّتي من ورائها تحصل حالة من الفهم والإدراك لأمور لم تكن تُدركها سابقًا، فهذه كلّها مصالح تُخسر، غالبًا المعلّمين يخسرونها؛ لأنّ أثقل شيء عليهم أن يسمّعوا لطلاّبهم، والأمر الثّاني: أن يسمع من طالبه ويترك الباقي يتكلّم ويحصل إزعاج ولا تشعر أنّ هذا المجلس مجلس علم، فكلّ هذه منافاة لما يجب أن يكون عليه المجلس.

لكن كيف نوفّق بين هذا الكلام وكلام عمر رضي الله عنه: (**إن لم تبكوا فتباكوا**)؟!

هذا الكلام يكون بينك وبين الله وأنت وحدك لا تذهب أمام النّاس وتتباكى، لا بدّ أن تحبس دمعتك، لا بدّ وأنت معلّم تكون ضابطًا لنفسك إلّا إذا خرج الأمر عن إرادتك وغلبك.

قال: (**لا يَخْشَعُ عِنْدَ اسْتِمَاعِ الْقُرْآنِ، وَلا يَبْكِي، وَلا يَحْزَنُ، وَلا يَأْخُذُ نَفْسَهُ بِالْفِكْرِ فِيمَا يُتْلَى عَلَيْهِ، وَقَدْ نُدِبَ إِلَى ذَلِكَ.**)

هل وقت التّسميع وقت تفكّر؟! نعم، لكن لأنّنا نضع كل تفكيرنا على أنّه هل أخرج هذا الحرف من مكانه، وقام بكذا؟ ذهبت المشاعر وصرنا مجرّد آلات، لا بدّ من الضّبط، لا ننكر، لكن لا بدّ أن تدرّب نفسك على أن تجمع قلبك على الفهم.

(رَاغِبٌ فِي الدّنيا، وَمَا قَرَّبَ مِنْهَا، لَهَا يَغْضَبُ وَيَرْضَى. إِنْ قَصَّرَ رَجُلٌ فِي حَقِّهِ، قَالَ: أَهْلُ الْقُرْآنِ لا يُقَصَّرُ فِي حُقُوقِهِمْ، وَأَهْلُ الْقُرْآنِ تُقْضَى حَوَائِجُهُمْ، يَسْتَقْضِي مِنْ النّاس حَقَّ نَفْسِهِ، وَلا يَسْتَقْضِي مِنْ نَفْسِهِ ما للهِ عَلَيْهَا.

يَغْضَبُ عَلَى غَيْرِهِ –زَعَمَ للهِ– وَلا يَغْضَبُ عَلَى نَفْسِهِ للهِ، وَلا يُبَالِي مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَ: مِنْ حَرَامٍ أَوْ حَلالٍ، قَدْ عَظُمَتْ الدّنيا فِي قَلْبِهِ، إِنْ فَاتَهُ مِنْهَا شَيْءٌ لا يَحِلُّ لَهُ أَخْذُهُ حَزِنَ عَلَى فَوْتِهِ.

لا يَتَأَدَّبُ بِأَدَبِ الْقُرْآنِ، وَلا يَزْجُرُ نَفْسَهُ عَنْ الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ. لاهٍ غَافِلٌ عَمَّا يَتْلُو أَوْ يُتْلَى عَلَيْهِ. هِمَّتُهُ حِفْظُ الْحُرُوفِ، إِنْ أَخْطَأَ فِي حَرْفٍ سَاءَهُ ذَلِكَ؛ لِئَلاّ يَنْقُصَ جَاهُهُ عِنْدَ الْمَخْلُوقِينَ، فَتَنْقُصَ رُتْبَتُهُ عِنْدَهُمْ، فَتَرَاهُ مَحْزُونًا مَغْمُومًا بِذَلِكَ، وَمَا قَدْ ضَيَّعَهُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ تَعَالَى مِمَّا أَمَرَ بِهِ فِي الْقُرْآنِ، أَوْ نَهَى عَنْهُ غَيْرَ مُكْتَرِثٍ بِهِ.

أَخْلاقُهُ فِي كَثِيرٍ مِنْ أُمُورِهِ أَخْلاقُ الْجُهَّالِ الّذينَ لاَ يَعْلَمُونَ، لا يَأْخُذُ نَفْسَهُ بِالْعَمَلِ بِمَا أَوْجَبَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ، إِذْ سَمِعَ اللهُ –عزّ وجلّ– قَالَ: {وما آتاكُم الرسول فَخُذوهُ وَما نَهاكُم عَنهُ فَانتَهوا} [1] فَكَانَ الْوَاجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُلْزِمَ نَفْسَهُ طَلَبَ الْعِلْمِ لِمَعْرِفَةِ مَا نَهَى عَنْهُ الرَّسُولُ –صلّى الله عليه وسلّم– فَيَنْتَهِيَ عَنْهُ.)

نأتي الآن إلى **خصائصه النّفسيّة أو القلبيّة:**

(رَاغِبٌ فِي الدّنيا، وَمَا قَرَّبَ مِنْهَا): يتكلّم عن قلبه، الواجب على من يحفظ القرآن ويفهمه، أن يرغّبه ما يحفظه من القرآن في الآخرة، وهذا الكلام لا يقال باللّسان والقلب طمعان في الدّنيا! لا بدّ أن يكون القلب هو الّذي يرغب فيما عند الله، لكن هذا قلبه راغب في الدّنيا وراغب فيما قرّب من الدّنيا، يرغب في الدّنيا ويحبها ويبذل جهوده أن يأتي بالأسباب الّتي تقرّبه من الدّنيا كأنّه لا

(1) سورة الحشر: 7.

يقرأ في القرآن الأمثلة الّتي وصفت بها الدّنيا وكيف أنّ الدّنيا وصفت بأحقر الصّور في القرآن وفي السّنة، ويسمّع وصف الدّنيا في سورة الحديد ويونس والكهف ويقرأ كيف ضُرب مثل للدّنيا، وكأنّ لا علاقة له بذلك.

بناءً على ما في قلبه يترتّب عليه أنّه: (**لَهَا يَغْضَبُ وَيَرْضَى** –للدّنيا– **ويصف هذا:** **إِنْ قَصَّرَ رَجُلٌ فِي حَقِّهِ، قَالَ: أَهْلُ الْقُرْآنِ لا يُقَصَّرُ فِي حُقُوقِهِمْ، وَأَهْلُ الْقُرْآنِ تُقْضَى حَوَائِجُهُمْ**): يعني لا بدّ أن تنزّلوهم منازلهم، يُطالب النّاس ويقول لهم: "أهل القرآن لا بدّ أن يكون لهم مكانة عليّة عندكم" وأنت تقول أهل القرآن وأنت لا تقصد أهل القرآن إنّما تقصد نفسك! وقد اتّخذت القرآن مجرّد وسيلة تتأكّل به وتطلب الرّفعة لنفسك عن طريق القرآن، كأنّ شخصًا لبس لباسًا ليس لباسه من أجل أن يُشهر عند النّاس فيصبح القرآن وحفظه وتعليمه لباس شهرة في حقّه والمطلوب من النّاس أن يحترموه!

ولذلك من صحّ منه الإيمان وقوّته وكان يعلّم الناس، أثقل شيء على هذا الشّخص أن يعلّمهم الآداب، أثقل شيء عليه أن يقول لهم: "تعالوا اجتمعوا أعلّمكم أدب طالب العلم" شيء ثقيل عليه لأنّه يشعر كأنّه يقول لهم: "تعالوا أعلّمكم أدب الطلب لتعاملوني بالأدب" وهو لا يريد لنفسه، والطّلاب محتاجون إلى أدب طالب العلم، فهذا ثقيل جدًا للإنسان إن كان صادقًا، لكنّه بالعكس تمامًا حالته، لبس لباس الشّهرة –حفظ القرآن– وأصبح يستجدي النّاس ويقول لهم: "احترموا أهل القرآن"!

(**يَسْتَقْضِي مِنَ النّاس حَقَّ نَفْسِهِ، وَلا يَسْتَقْضِي مِنْ نَفْسِهِ ما للهِ عَلَيْهَا.**) هذا من المطفّفين، يريد حقّه كاملًا من النّاس – الاحترام– ويريد منهم التّبجيل، وهناك شيء حقّه وهناك شيء ليس حقّه أصلًا، ويريد لو كلّفهم بتكليف يطيعوه، وغدًا لا أعذار لمن لم يأتِ، بهذه الصّورة وإذا ما فعلوا يكونوا مستهترين والقرآن يجب أن يأخذ مكانه! فهو لا يدافع عن القرآن، هو يدافع عن نفسه،كيف أكلّفكم ولا تأتون بالتّكاليف، كيف أحفّظكم وتأتون وأنتم لم تحفظوا، كيف أقول لكم: غدًا تأتون في السّاعة الفلانيّة ويتأخّر أحدكم! هذه ليست نصرة للدّين، بل نصرة لنفسه؛ ومن هنا تكوّنت الحزبيّة، يريد حزبه هؤلاء أن يكونوا تحت يده، ويكون مسيطرًا عليهم، في المقابل هو ممكن أن يتأخّر عن فروضه مع الله –عزّ وجلّ–ويترك كثيرًا من الأعمال الصّالحة، يطلب من النّاس أن يستقضوا حقوقه ولا يستقضي من نفسه ما لله عليه!

نرى **صفة نفسيّة أخرى:** (**يَغْضَبُ عَلَى غَيْرِهِ –زَعَمَ للهِ– وَلا يَغْضَبُ عَلَى نَفْسِهِ للهِ**) مثل هذا المثال الّذي ضربناه، يأتي في مواقف وينصح طلاّبه في مسألة معينة، افترضي أنّك نصحتِها بالحجاب ثمّ خرجتِ ووجدتِها غير محجّبة، فتثور ثائرتك، كيف

أنصحك ولا تردّين عليّ! طبعًا نحن نقول: في هذا الموقف تأتي مشاعر خاطئة لهذا، هذا لم يغضب لأنّه حقّ الله، إنّما غضب لحقّ نفسه وإلّا أنا ما دوري مع النّاس؟! دوري أن أسمعهم الحقّ وليس دوري أن ألزمهم به، فإذا فعلوا الحمد لله، وإذا لم تنشرح صدورهم أدعو لهم بأن يشرح الله صدرهم، من أجل أن نأتي بالضّابط جيّدًا ولا نخلط بين الغضب لله ولغيره ننظر أنّه أحيانًا نأمرهم بأمر وهم لا يأتون منه بشيء ثمّ يأتي أمر أسوء منه، تخيّلوا مثال الحجاب والتّوحيد، أنت نصحتِها بالحجاب ولا تدري عنها ما حالها في التّوحيد، وخرجتِ وجدتِها محجّبة لكنّك عرفت أنّها تلبس تميمة، من أجل أنّك لم تنصحيها تشعرين أنّك لست مهتمّة، أنت كان مقياسك فقط: هل تحجّبت أو ما تحجّبت؟ ردّت عليّ أنا أو ما ردّت! والأهمّ والأعلى -وهو التّوحيد- لم تهتمّي به لأنّك لم تنصحي فيه ولم تطلبي منها! فيكون هذا الغضب كذب، حين أغضب على الحجاب أكون كذّابة لأنّي غضبت لمجرّد أنّي أنا الآمرة! وحتى لو خالفت الأعلى ونفّذت ما أريد لا يهمّني ولا أحترق على الأعلى لكن أهمّ شيء ما قلته! فما أخطره من مقياس هذا، نجد أنفسنا كثيرًا ما نحترق لكن لأنفسنا، لأنّني أنا أمرتك وليس لأنّ هذا دين وشرع.

(**وَلا يَغْضَبُ عَلَى نَفْسِهِ للهِ**): هذا لا يرى تقصيره ولا يرى كيف أنّ الله -عزّ وجلّ- أمره والرّسول -صلّى الله عليه وسلّم- أمره وهو مخالف لذلك.

نأتي إلى صفته مع الأموال: (**وَلا يُبَالِي مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَ: مِنْ حَرَامٍ أَوْ حَلالٍ، قَدْ عَظُمَتْ الدّنيا فِي قَلْبِهِ، إِنْ فَاتَهُ مِنْهَا شَيْءٌ لا يَحِلُّ لَهُ أَخْذُهُ، حَزِنَ عَلَى فَوْتِهِ.**) وهو أصلًا لا يحلّ له يعني حرام، لكن لا يقول: الحمد لله أنّ ربّنا عافاني من الحرام، لا بل يحزن على فوته.

(**لا يَتَأَدَّبُ بِأَدَبِ الْقُرْآنِ، وَلا يَزْجُرُ نَفْسَهُ عَنْ الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ. لاهٍ غَافِلٌ عَمَّا يَتْلُو أَوْ يُتْلَى عَلَيْهِ.**): لا يأخذ القرآن ومواعظه مكانًا للآداب، بحيث أنّه يأتي لكلّ أمر أُمر به أو نُهي عنه فيقيسه،كما مرّ معنا "ويجعله كالمرآة"، لا ليس عنده هذا التّفكير، لا يتأدّب، غافل لاه هذه صفته.

أيضًا من صفاته التّفصيليّة: (**هِمَّتُهُ حِفْظُ الْحُرُوفِ** -وسيفصّل هذه الهمّة- **إِنْ أَخْطَأَ فِي حَرْفٍ** -يقصد أمام النّاس- **سَاءَهُ ذَلِكَ؛ لِئَلا يَنْقُصَ جَاهُهُ عِنْدَ الْمَخْلُوقِينَ، فَتَنْقُصَ رُتْبَتُهُ عِنْدَهُمْ، فَتَرَاهُ مَحْزُونًا مَغْمُومًا بِذَلِكَ، وَمَا قَدْ ضَيَّعَهُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ تَعَالَى مِمَّا أَمَرَ بِهِ فِي الْقُرْآنِ، أَوْ نَهَى عَنْهُ غَيْرَ مُكْتَرِثٍ بِهِ.**)

يقرأ آيات فيها أوامر عظيمة، وأخطأ في حرف في هذه الآية فيغتمّ، ومعناها هو خالٍ تمامًا من معنى الآية ولا يغتمّ! لكن كلّ تفكيره المنزلة عند النّاس، فكونه خالٍ في قلبه من معاني الآية، إذًا لا يكتشف أحد أنّ قلبه خالٍ من معاني الآية فلا يهمّه، لكن النّاس يكتشفون أنّه أخطأ في الحرف فيغتمّ!

(**أَخْلاقُهُ فِي كَثِيرٍ مِنْ أُمُورِهِ أَخْلاقُ الْجُهَّالِ الّذينَ لا يَعْلَمُونَ**): أخلاقه وقت الممارسات كأنّه جاهل، كأنّه لم يقرأ القرآن، بمعنى أنّه حين يحزن لا يحزن بعلم، حين يفرح لا يفرح بعلم، حين يأكل لا يأكل بعلم، حين يشرب لا يشرب بعلم، مثل ذاك إنّما أخلاقه في كثير من الأمور أخلاق الجهّال الّذي لا يعلمون.

(**لا يَأْخُذُ نَفْسَهُ بِالْعَمَلِ بِمَا أَوْجَبَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ**): "لا يأخذ نفسه" بمعنى: لا يأمرها، لا يحملها، يترك نفسه على هواها.

(**إِذْ سَمِعَ اللهُ –عزّ وجلّ– قَالَ**: {**وما آتاكُم الرسول فَخُذوهُ وَما نَهاكُم عَنهُ فَانتَهوا**}[1]) : هو لا يأخذ نفسه بالتأدّب خصوصًا وأنّه يسمع قوله تعالى: {**وما آتاكُم الرسول فَخُذوهُ وَما نَهاكُم عَنهُ فَانتَهوا**}

ماذا كان الواجب عليه؟ (**فَكَانَ الْوَاجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُلْزِمَ نَفْسَهُ طَلَبَ الْعِلْمِ لِمَعْرِفَةِ مَا نَهَى عَنْهُ الرَّسُولُ–صلّى الله عليه وسلّم– فَيَنْتَهِيَ عَنْهُ.**): هنا يتكلّم عن مشكلة كبيرة جدًّا نعانيها وهي أنّ كثير من الحفّاظ ظنّوا أنّ حفظهم للقرآن بداية ونهاية العلم وانتهى، وأصبحوا يقولون: "لا أريد أن أطلب العلم لأنّه يشغلني عن القرآن!" ما فقهوا، ما عرفوا، المفترض أنّ قراءة القرآن مجاورة تمامًا لطلب العلم، والبرامج المطروحة اليوم غالبها لا تسير على الطّريق الصّحيح في حفظ القرآن والسّبب: أنّ هناك عمليّة فصل تامّ بين طلب العلم وبين حفظ القرآن، والمفترض أن تكون عمليّة مجاورة بين طلب العلم وحفظ القرآن وليس الفصل الّذي نحن فيه، فيجب على من عنده قدرة أن يفتح برنامجًا ولو صغيرًا بحيث أنّ طالب العلم يصبح هو حافظ القرآن، وحافظ القرآن هو طالب العلم فليفعل ويسأل الله التّوفيق، وهناك قاعدة تمكّننا من وضع برنامج للتّعليم: **أعلّم الطّالب المصادر وأربطه بها وأوصله إلى المقاصد.**

عندنا كم مصدر للدّين؟ القرآن والسّنّة هما الدّين، فأنت ستفرّع عمليّة التّعليم منهما، سنأتي للقرآن ونقول: القرآن له:

(1) سورة الحشر: ٧.

-علوم تبدأ بالقراءة الصّحيحة.

-ثانيا: التّفسير بأنواعه.

-ثالثًا يُنتقل إلى معرفة تفاصيل أكثر تتّصل بعلوم القرآن.

نأتي إلى السّنّة، سندرس في السّنّة:

-نعرف السّنّة نفسها، أحاديث النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم.

-ونعرف شروحها.

القرآن والسّنّة الآن هما المصادر، ثمّ يأتيني شيء مهمّ: المقاصد

- **عقيدة تعتقدها.**
- **فقه تعمل به.**

كيف تعرف المقصد -العمل- المقصد تعرفه من مجمل الدّين، **الدّين يريد منك أمرين:**

-يريد منك قلب.

-ويريد منك عمل.

إذًا **حقّقي هذين المقصدين:**

-حقّقي بالعقيدة عمل القلب.

-وحقّقي بالفقه عمل الجوارح.

إذًا أربط طالب العلم بالمصادر وأدلّه على المقاصد، هذا الّذي يجب أن يكون، أمّا أن يأتيني حافظ للقرآن من أوّله إلى آخره وأسأله عن اسم من أسماء الله أو صفة من صفاته أو عقيدته في الاستواء أو عقيدته في العلوّ ولا يستطيع أن يستدلّ لي!

حين أسأله: أين ذُكر الاستواء في القرآن؟ تدور ولا تعرف أنّه ذكر في سبع مواطن وذكر في سورة كذا وكذا بالترتيب، فهذا معناه أنّنا حَفَظْنا آلات، ولم يصل الحافظ إلى العقيدة والمقاصد، خصوصًا هذه المسائل الشائكة، وخصوصًا في بلدكم، حين تأتي مسألة شائكة مثل مسألة الاستواء على العرش، كثير من النّاس قد لبّس عليهم وقيل لهم: "استوى بمعنى استولى!" وأنت تعرف في سبعة مواطن ابتداء من الأعراف انتهاء بالحديد الله -عزّ وجلّ-كرّر {**استوى على العرش**} وأنت تحفظها وتعرف أماكنها، أنا لا أكلّم واحد ليس حافظ إنّما يحفظ، المفروض أنّك تقول: **كيف يصرّح الله في سبعة مواطن بالاستواء ثمّ أنقل هذا الاستواء بتأويل إلى الاستيلاء وهو معنى فاسد أصلًا -الاستيلاء- فاللّوم كلّ اللوم على من يحفظ ولا يستدلّ على عقيدته**، السّبب واضح نحن لا نلوم الحفّاظ أبدًا، إنّما نلوم واضعي البرامج، نلوم من يقول للنّاس: احفظوا، وهو لم يرشدهم كما ينبغي، فهو يقول من عيوب الحافظ طالب الدّنيا أنّه: (**قَلِيلُ النَّظَرِ فِي الْعِلْمِ الّذي هُوَ وَاجِبٌ عَلَيْهِ، فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ عزّ وجلّ، كَثِيرُ النَّظَرِ فِي الْعِلْمِ الّذي يَتَزَيَّنُ بِهِ عِنْدَ أَهْلِ الدّنيا** -ما هو العلم الّذي يتزيّن به عند أهل الدّنيا؟! الحروف، الأداء-

لِيُكْرِمُوهُ بِذَلِكَ، قَلِيلُ الْمَعْرِفَةِ بِالْحَلالِ وَالْحَرَامِ الّذي نَدَبَ اللهُ إِلَيْهِ): تفهمون أنّ السّياسة الواقعة الآن في مدارس التّحفيظ هذا شكلها في العالم الإسلامي من الشّرق إلى الغرب، فمعناها أنّ هذه الطريقة غير صائبة في الوصول ويمكن المجاورة، والمجاورة ليست مستحيلة بين طلب العلم وبين حفظ القرآن.

(**لِيَأْخُذَ الْحَلالَ بِعِلْمٍ، وَيَتْرُكَ الْحَرَامَ بِعِلْمٍ**): لا نتّهمه أنّه يقع في الحرام نقول: حتّى عمله ليس بعلم، إذًا على أيّ أساس حفظ؟! المفترض أن تحفظ من أجل أن تعمل بعلم، وعنده أيضًا مشكلة أخرى: (**لا يَرْغَبُ فِي مَعْرِفَةِ عِلْمِ النِّعَمِ** -هذا علم مستقلّ اسمه علم

النّعم- **وَلا فِي عِلْمِ شُكْرِ الْمُنْعِمِ.**): هذه مسألة مهمّة جدًّا ومغفول عنها وكم يقرأ الطّلاّب ولا يفكّرون في علم النّعم ولا في علم شكر المنعم.

أمّا **علم النّعم فالمقصود به: الإرشاد إلى أفعال الله في تربية خلقه**، فكلّ فعل في القرآن فعله الله -عزّ وجلّ- للخلق يعتبر من علم النّعم، فالواجب على من حفظ القرآن أن يجري على لسانه استعمال هذه الأفعال، وسنشترط شروطًا، كأنّنا تكلّمنا عن نقطتين:

- **النّقطة الأولى**: أنك تقرأ القرآن تجد أنّ الله -عزّ وجلّ- أعطى، رزق، كسا، تجد أنّ الله -عزّ وجلّ- أجرى، أنشأ السّحاب الثّقال...إلى آخره، أوّل نقطة **أنّك تعرف أفعال الله الّتي ربّى بها عباده**، هذه أوّل مسألة في معرفة علم النّعم.

- **النّقطة الثّانية**: أن تصل إلى أن تتكلّم بهذه الأفعال عن الله -عزّ وجلّ- في الحياة.

مثلًا تستطيعين أن تقولي في الدّرس وأنت تدرسين: فهّمني الله، ما دليلك؟ {فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ}[1] أنت فهمت والله هو الّذي فهّمك والله-عزّ وجلّ-في القرآن قال: {فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ} أريد الأفعال، نفس الأفعال الّتي في القرآن لله -ونحن نتكلّم عن معرفة علم النّعم- نفس الأفعال بعدما تعرفينها تستعملين نفس اللّفظة بالنّسبة إلى الله، بالتفصيل:

- رأيت الفلك في البحر قولي: أجراها الله.

- رأيت السّحاب في السّماء -لا تقولي: تبخّر من البحر ليس لي علاقة بهذا الكلام- أنت تقولين: أنشأ السّحاب الثّقال.

نفس الألفاظ تستعملينها في مكانها بحيث أنّك حافظة للقرآن لا تعبّري عن شأن من النّعم الّتي في الأرض إلّا بكلامه؛ لأن هذا هو معرفة علم النّعم، بحيث أنّك في النّهاية من كلّ سورة تقرئينها تخرجين علم النّعم، تعرفون أنّ هذا الشّيء كأنّه مهجور تمامًا، معناه أنّنا عندما نقرأ القرآن لا نعرف ماذا يجب أن نجمع في قلوبنا، هذا بالضّبط مِثل المثل الّذي نضربه دائمًا نأتي نحفّظ الصّغار: {أَلَمْ تَرَ

(1) سورة الأنبياء: 79.

كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ}[1] نعلّم الأطفال فعل الفيل، ولا نعلّمه أنّ الله هو القويّ، الله هو القادر، الله هو العزيز، الله هو ملجئي، وقتما أخاف أهرب إليه، اطمئن لو مكر بك من مكر الله ينجّيك من مكره، ولا شيء من هذا الكلام يقال! لأنّ مع كِبري –الّذي أعلّمه– لا أفهم! فهذا يعني أنّ علم النّعم خارج الدّائرة تمامًا، ومن ثمّ تجدين أيّ أحد بعيد عن معرفة علم النّعم لو جئت قلت له: انسب النّعمة لله في كلامك، يقول: "قلبي ينسبها إلى الله" نقول: **"من يعرف النّعم قلبه يَنْسِب ولسانه يغْرِف"** لا تضحك على نفسك، لا تقل: "أنا قلبي متيقّن ولساني يغرف من مكان آخر ويقول كلام آخر" ولذلك من يحفظ القرآن حفظًا صحيحًا لا بدّ أن تجد ألفاظ القرآن تجري على لسانه في الموطن الصحيح، لا يمثّل بها أمثالًا، بل يقولها في الموطن الصّحيح وهذا الأمر بسهولة يتدرّب عليه الأطفال، بسهولة تجعله يستطيع أن يعبّر عن الحقائق بالألفاظ القرآنية، ومعرفة علم النّعم تسهّل ما بعدها ألا وهو علم شكر النّعم.

نأتي إلى علم شكر النّعم ماذا يقصد به؟ يقصد به أنّك لا تخلو أبدًا من وظيفة في ليلك ونهارك تقابل النّعم، والمعنى أنّ العبد يعلم أنّ **كلّ عبوديته إنّما هي أتت من باب الشّكر**، صلاتك وصيامك وزكاتك و حجّك وذكرك، كلّ هذه العبادات إنّما هي من باب الشّكر، كثير من النّاس يرون هذه العبادة كأنّها تكليف وفي الصّحيح هي شكر على النّعمة، تذكّروا أشهر مثال يسهل علينا بيانه في موقف داوود –عليه السّلام–يقول الله عزّ و جلّ: {**اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُور**}[2] الشّاهد أنّ عملكم شكر، فأنت لا تخلو أبدًا من وظيفة، في كلّ وقت أنت عندك وظيفة تقوم بها، قلبك عنده وظيفة يقوم بها، كلّ الوظائف دائرة حول الشّكر، ووظائف الشّكر تتّصل بعلم النّعم، مثلًا لو فهمت بدقّة اسم القيّوم –لكي آتي بعلم النّعم وآتي أمامه بعلم شكر المنعم– الّذي قد ورد في القرآن ثلاث مرّات لفظًا لكنّ القرآن كلّه يشرح معنى اسم القيّوم لعلمت أنّ من قيّوميّة الله –عزّ وجلّ– عليك أن أجرى لك السّحاب، من قيّوميته عليك أن أجرى دمك في بدنك، ونفسك يجري في صدرك من قيوميته، وقوّتك تعينك على العمل من قيّوميّته، لو فهمنا هذا لن نخلو من وظيفة الشّكر أبدًا لأنّك ترى آثار قيّوميّته.

المقصد **كلّما زاد علم معرفة النّعم كلّما زاد علم معرفة شكر المنعم**، المعنى **أنّنا نعبّر عن هذين الاثنين دائمًا بكلمة "توحيد الرّبوبية وتوحيد الألوهية"** نقول: هذا توحيد الربوبية هذا توحيد الألوهية، لكن للأسف توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية يكتبونه في

(1) سورة الفيل: 1.

(2) سورة سبأ: 13.

الكتب دون أن يعيشوه ولا يعرفوا يقولوا: إن هذا يدلّ على أنّ ربي واحد، الّذي ربّاني واحد، مَن فعل لي واحد، وعليّ شكره دائمًا لا يشعرون بذلك.

فهمنا أنّ **من يقرأ القرآن يريد الدّنيا** عنده هذه المشكلة: **لا يرغب في معرفة علم النّعم ولا في معرفة شكر المنعم**.

قال: (**تِلاوَتُهُ لِلْقُرْآنِ تَدُلُّ عَلَى كِبْرِهِ فِي نَفْسِهِ، وَتَزَيُّنٍ عِنْدَ السَّامِعِينَ مِنْهُ، لَيْسَ لَهُ خُشُوعٌ فَيَظْهَرُ عَلَى جَوَارِحِهِ، إِذَا دَرَسَ الْقُرْآنَ أَوْ دَرَسَهُ عَلَيْهِ غَيْرُهُ هِمَّتُهُ مَتَى يَقْطَعُ، لَيْسَ هِمَّتُهُ مَتَى يَفْهَمُ، لا يَتَفَكَّرُ عِنْدَ التِّلاوَةِ بِضُرُوبِ أَمْثَالِ الْقُرْآنِ، وَلا يَقِفُ عِنْدَ الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ، يَأْخُذُ نَفْسَهُ بِرِضَى الْمَخْلُوقِينَ، وَلا يُبَالِي بِسَخَطِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. يُحِبُّ أَنْ يُعْرَفَ بِكَثْرَةِ الدَّرْسِ، وَيُظْهِرُ خَتْمَهُ لِلْقُرْآنِ لِيَحْظَى عِنْدَهُمْ، قَدْ فَتَنَهُ حُسْنُ ثَنَاءِ الْجَهَلَةِ، مِنْ جَهْلِهِ يَفْرَحُ بِمَدْحِ الْبَاطِلِ، وَأَعْمَالُهُ أَعْمَالُ أَهْلِ الْجَهْلِ، يَتَّبِعُ هَوَاهُ فِيمَا تُحِبُّ نَفْسُهُ، غَيْرُ مُتَصَفِّحٍ لِمَا زَجَرَهُ الْقُرْآنُ عَنْهُ.**)

(**تِلاوَتُهُ لِلْقُرْآنِ تَدُلُّ عَلَى كِبْرِهِ فِي نَفْسِهِ**): حين يقرأ القرآن يظهر عليه التّكبّر، يكون معجبًا بنفسه، هذه ثالث مرّة يذكر الكلام الّذي يتّصل بالكبر فهي صفة خطيرة فيه.

(**وَتَزَيُّنٍ عِنْدَ السَّامِعِينَ مِنْهُ**): يزيّن قراءته، يجمّلها لكي يحظى عند السّامعين.

(**لَيْسَ لَهُ خُشُوعٌ فَيَظْهَرُ عَلَى جَوَارِحِهِ**): فتجد أنّ جوارحه عابثة.

(**إِذَا دَرَسَ الْقُرْآنَ أَوْ دَرَسَهُ عَلَيْهِ غَيْرُهُ هِمَّتُهُ مَتَى يَقْطَعُ**): مثلما نقول: متى يختم، متى ينتهي من الحصّة، متى ينتهي من السّورة! بهذه الصّورة.

(**لَيْسَ هِمَّتُهُ مَتَى يَفْهَمُ**): كلّ همّته متى ينتهي، هذا هوس الإنجاز، دخل علينا هوس الإنجاز، لدرجة أنّ كلّ شيء صار على السّطح لكن المهمّ اسمنا "انتهينا"، "أنجزنا"، وليس هناك شيء في الدّاخل، وقد ذُكر عن ابن تيمية –رحمه الله– أنّه جلس سنة يشرح سورة

نوح، و"سنة" ليست مثل سنتنا –نصفها يذهب إجازات وخميس وجمعة! – إنّما سنة بمعنى السّنة، يعني أنّه جلس لهم طوال السّنة، فهذه السّرعة والهمّة باسم "الإنجاز" إنّما هي من ثقافة غير ثقافتنا، وفكر غير فكرنا، سبّب لنا أنّنا نغشّ أنفسنا في الإنتاج.

(**لا يَتَفَكَّرُ عِنْدَ التِّلاوَةِ بِضُرُوبِ أَمْثَالِ الْقُرْآنِ**): لا يتفكّر كيف ينتقل القرآن، تجد الكثير ممّن يحفظ سورة المؤمنون لا يشعر أنّ السورة انتقلت من الكلام عن الكفّار للكلام عن المؤمنين ثمّ عاد للكلام عن الكفّار، وليس هناك سؤال عن معنى أنّهم يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون، ولم يذكر الله –عزّ وجلّ– صفتهم، ثمّ ينتقل فيذكر صفة الأوّلين، فهذا لا يفكّر في ضروب أمثال القرآن.

(**وَلا يَقِفُ عِنْدَ الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ** –إذًا بماذا يُشغل نفسه؟– **يَأْخُذُ نَفْسَهُ بِرِضَى الْمُخْلُوقِينَ**): صار أهمّ شيء رضا معلّمينه ورضا الّذين أكبر منه، ورضا الّذين أكبر منه مرتبط بالحرف فأصبح تركيزه على تقييمه.

(**وَلا يُبَالِي بِسَخَطِ رَبِّ الْعَالِمِينَ. يُحِبُّ أَنْ يُعْرَفَ بِكَثْرَةِ الدَّرْسِ، وَيُظْهِرُ خَتْمَهُ لِلْقُرْآنِ لِيَحْظَى عِنْدَهُمْ**): يكون حريصًا –وقتما يختم– أن ينادي النّاس من أجل أن يحضروا ختمته، وقد ذُكر أنّ زين العابدين حفظ وختم ولم يعرف أهل بيته أنّه حفظ وختم، فأكيد أنّ الواقع الّذي نحن فيه أفسد ما يكون.

(**قَدْ فَتَنَهُ حُسْنُ ثَنَاءِ الْجَهَلَةِ**): الجماعة حوله كلّهم جهلة وأثنوا عليه ففتن.

(**مِنْ جَهْلِهِ يَفْرَحُ بِمَدْحِ الْبَاطِلِ**): يعني هو على باطل وحين يمدحون الباطل من جهله يفرح به.

(**وَأَعْمَالُهُ أَعْمَالُ أَهْلِ الْجَهْلِ، يَتَّبِعُ هَوَاهُ فِيمَا تُحِبُّ نَفْسُهُ، غَيْرُ مُتَصَفِّحٍ لِمَا زَجَرَهُ الْقُرْآنُ عَنْهُ.**): الأمر واضح، نقرأ ما بعده.

(**إِنْ كَانَ مِمَّنْ يُقْرِئُ غَضِبَ عَلَى مَنْ قَرَأَ عَلَى غَيْرِهِ، إِنْ ذُكِرَ عِنْدَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْقُرْآنِ بِالصَّلاحِ كَرِهَ ذَلِكَ، وَإِنْ ذُكِرَ عِنْدَهُ بِمَكْرُوهٍ سَرَّهُ ذَلِكَ، يَسْخَرُ مِمَّنْ دُونَهُ، يَهْمِزُ مَنْ فَوْقَهُ، يَتَتَبَّعُ عُيُوبَ أَهْلِ الْقُرْآنِ لِيَضَعَ مِنْهُمْ، وَيَرْفَعَ مِنْ نَفْسِهِ، يَتَمَنَّى أَنْ يُخْطِئَ غَيْرُهُ، وَيَكُونَ هُوَ الْمُصِيبَ.**)

انظروا لهذه **الصّفات التّكميليّة**:

(**إِنْ كَانَ مِمَّنْ يُقْرِئُ** -يعني هو شيخ- **غَضِبَ عَلَى مَنْ قَرَأَ عَلَى غَيْرِهِ**): عندنا أدب هنا **أنّه إذا أراد الانتقال يستأذن شيخه، يخبره**، المفترض شيخه يقول له :(المهم أن تحافظ على العلم هنا أو في أيّ مكان، أهمّ شيء أن تتعلّم، ومثلك لا يترك العلم) إلى آخر هذه الكلمات، لا يغضب عليه -أنت ذهبت وتركتني!- هو يكوّن له جمهورًا، ولما ذهب وتركه، قلّ جمهوره!

(**إِنْ ذُكِرَ عِنْدَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْقُرْآنِ بِالصَّلاحِ**): إذا قالوا: (اللهم بارك في هذا العالم، فيه من الخير وفيه من حبّ السّنّة) ماذا يحصل في قلبه؟

(**كَرِهَ ذَلِكَ**): أحيانًا يأتي النّاس يذكرون لك أحد يظنّون أنّه على خير وأنت تعرفين أنّه على باطل أي: أنّ عنده عقائد فاسدة، من أهل الشّرك، من أهل البدع، إذا كرهت ذلك فهذا صواب، إنّما نقصد هنا إذا ذكر أحد من أهل القرآن الّذين على الطّريق الصّحيح، هو يكره ذلك لأنّه يرى أنّه كان الواجب أن يمدحوه هو ولا يثنون على أحد آخر! هكذا تفكيره.

(**وَإِنْ ذُكِرَ عِنْدَهُ بِمَكْرُوهٍ سَرَّهُ ذَلِكَ**): ليس شرطًا أن يصرّح، ممكن أن يمثّل أنّه حزن، لكن من الدّاخل هناك من السّعادة لأنّه قلّ شأن غيره.

(**يَسْخَرُ مِمَّنْ دُونَهُ**): يقلّل من قيمة النّاس الّذين من دونه في العلم والطلب، وفي المقابل: (**يَهْمِزُ مَنْ فَوْقَهُ**) يقلّل من قيمتهم، هناك من هم فوقه ومن هم دونه، من فوقه يهمزه ومن تحته يحقّره.

(**يَتَتَبَّعُ عُيُوبَ أَهْلِ الْقُرْآنِ لِيَضَعَ مِنْهُمْ**): يتتبّع عيوبهم، تعرفون أنّ كلّ النّاس فيهم عيب وليس هناك أحد كامل، فحين يستر الله على الخلق بستره ويأتي هذا المريض في قلبه يتتبّع العيوب فهذا دليل على أنّ هناك مرض في قلبه، الواجب على **مَن كان قلبه صحيحًا إن وجدَ عيبًا عبد الله بالسّتر**، لا أنّ يتتبّع من أجل أن يفضح؛ ولذلك ما نجده اليوم في وسائل التّواصل من فضح بعض النّاس أو من الكلام عنهم أو في أعراضهم أو إلى آخره هذا كلّه بلاء عظيم خصوصًا لو كانوا من أهل القرآن، لا يُتكلّم عن أحد بشرّ أو بسوء إلّا إذا كان هذا منحرف صاحب بدعة، ولا يُتكلّم إلّا عند من يُسأل أو يكون له صلة، أمّا علنًا بحيث أنّ النّاس يصبح بينهم وبين الدّين حاجز، فهذا وراءه ما وراءه ممّن يؤيّد مثل هذا، وراءه من وراءه من أمراض القلب، صحيحي القلب حتى لو انتقد يقول: "هذا لا يصلح، هذا من أهل الدّنيا، هذا ليس عنده علم" هاتان الكلمتان يقولهما لمن سأله لا أن يُشهّر به! إذا قيل له:

"ها أسمع لهذا؟ أدرس عند هذا؟ أفهم عند هذا؟" يقول: "هذا عنده شيء من البدع، هذا ليس متمسّكًا بالسّنّة جيدًا، ليس عنده قوّة اعتصام، هذا قوّته في المصطلح ليست مثل قوّته في التّوحيد، هذا لا يهتمّ بالتّوحيد في كتاباته" تقول كلمتين لمن سألك لا أن تشهّر والنّاس يسبّ بعضهم بعضًا! كلّ هذه من أفعال الشّيطان والسّتر أولى.

(**وَيَرْفَعُ مِنْ نَفْسِهِ، يَتَمَنَّى أَنْ يُخْطِئَ غَيْرُهُ، وَيَكُونَ هُوَ الْمُصِيبَ.**): هذا على خلاف مشاعر الأخوّة الصّحيحة، أنّك دائمًا حين تجد أحدًا على ثغرة تقول: "ياربّ وفّق وسدّد واشرح صدره ويسّر له" لأنّك تحبّ نصرة الدّين لا تحبّ نصرة نفسك، فمن لم يجد هذا في نفسه فليعالج نفسه، واعلم أنّ هذا نوع نقص في الأخوّة في الدّين الّتي يكرهها الشّيطان لأنّ الله يحبّها، وأخوّة الدّين لا تشترط العلاقة والصّحبة إنّما نحن نحبّ في الدّين علماءنا كلّهم، ونحبّ في الدّين أئمّة المساجد، ونحبّ في الدّين من سبقنا إلى النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- كلّ هؤلاء يجمعهم الحبّ في الله، فافترضي أنّ الإمام في الحرم يقول: (استووا)، فيأتي في قلبك: (ياربّ وفّقه وسدّده واجمع قلبه) هذه المشاعر الّتي في القلب تدلّ على حالة من الحبّ في الله، تسمعين المفتي مثلًا يفتي في القنوات ورأيته وهو من أهل السّنّة تدعين له الله -عزّ وجلّ- أن يسدّده ويجري على لسانه الحقّ، هذا كلّه من الحبّ في الله، لا أن يتمنّى أنّ يخطئ النّاس! هذه مصيبة كبيرة، معناها أنّه يفكّر في نفسه وليس في دين الله، يلبس لباس القرآن ويخدع نفسه ويخدع النّاس، فكلّما وجدنا مرضًا من هذه الأمراض الّتي ذكرت نعالج أنفسنا حتى نتّصف بالصّفات الصّحيحة الّتي آخرها أن نكون قد قرأنا القرآن من أجل الله.

(وَمَنْ كَانَتْ هَذِهِ صِفَتُهُ، فَقَدْ تَعَرَّضَ لِسَخَطِ مَوْلاهُ الْكَرِيمِ، وَأَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ أَنْ أَظْهَرَ عَلَى نَفْسِهِ شِعَارَ الصَّالِحِينَ بِتِلاوَةِ الْقُرْآنِ، وَقَدْ ضَيَّعَ فِي الْبَاطِنِ مَا يَجِبُ للهِ، وَرَكِبَ مَا نَهَاهُ عَنْهُ مَوْلاهُ الْكَرِيمِ، كُلُّ ذَلِكَ بِحُبِّ الرِّيَاسَةِ، وَالَمَيْلِ إِلَى الدّنيا.قَدْ فَتَنَهُ الْعُجْبُ بِحِفْظِ الْقُرْآنِ، وَالإِشَارَةِ إِلَيْهِ بِالأَصَابِعِ.

إِنْ مَرِضَ أَحَدُ أَبْنَاءِ الدّنيا أَوْ مُلُوكُهَا، فَسَأَلَهُ أَنْ يَخْتِمَ عَلَيْهِ سَارَعَ إِلَيْهِ، وَسُرَّ بِذَلِكَ، وَإِنْ مَرِضَ الْفَقِيرُ الْمَسْتُورُ، فَسَأَلَهُ أَنْ يَخْتِمَ عَلَيْهِ ثَقُلَ ذَلِكَ عَلَيْهِ. يَحْفَظُ الْقُرْآنَ وَيَتْلُوهُ بِلِسَانِهِ، وَقَدْ ضَيَّعَ الْكَثِيرَ مِنْ أَحْكَامِهِ.

أَخْلاقُهُ أَخْلاقُ الْجُهَّالِ: إِنْ أَكَلَ فَبِغَيْرِ عِلْمٍ، وَإِنْ شَرِبَ فَبِغَيْرِ عِلْمٍ، وَإِنْ نَامَ فَبِغَيْرِ عِلْمٍ، وَإِنْ لَبِسَ فَبِغَيْرِ عِلْمٍ، وَإِنْ جَامَعَ أَهْلَهُ فَبِغَيْرِ عِلْمٍ، وَإِنْ صَحِبَ أَقْوَامًا، أَوْ زَارَهُمْ، أَوْ سَلَّمَ عَلَيْهِمْ أَوْ اسْتَأْذَنَ عَلَيْهِمْ، فَجَمِيعُ ذَلِكَ يَجْرِي بِغَيْرِ عِلْمٍ مِنْ كِتَابٍ أَوْ سُنَّةٍ.

وَغَيْرُهُ مِمَّنْ يَحْفَظُ جُزْءًا مِنْ الْقُرْآنَ مُطَالِبٌ لِنَفْسِهِ بِمَا أَوْجَبَ اللهُ –عزّ وجلّ– عَلَيْهِ مِنْ عِلْمِ أَدَاءِ فَرَائِضِهِ، وَاجْتِنَابِ مَحَارِمِهِ، وإِنْ كَانَ لا يُؤْبَهُ لَهُ، وَلا يُشَارُ إِلَيْهِ بِالأَصَابِعِ.

فَمَنْ كَانَتْ هَذِهِ أَخْلاقُهُ صَارَ فِتْنَةً لِكُلِّ مَفْتُونٍ؛ لأَنَّهُ إِذَا عَمِلَ بِالأَخْلاقِ الّتِي لا تَحْسُنُ بِمِثْلِهِ اقْتَدَى بِهِ الْجُهَّالُ، فَإِذَا عِيبَ عَلَى الْجَاهِلِ، قَالَ: فُلانٌ الْحَامِلُ لِكِتَابِ اللهِ فَعَلَ هَذَا، وَنَحْنُ أَوْلَى أَنْ نَفْعَلَهُ، وَمَنْ كَانَتْ هَذِهِ حَالُهُ فَقَدْ تَعَرَّضَ لِعَظِيمٍ، وَثَبَتَتْ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ، وَلا عُذْرَ لَهُ إِلّا أَنْ يَتُوبَ.)

(**وَمَنْ كَانَتْ هَذِهِ صِفَتُهُ، فَقَدْ تَعَرَّضَ لِسَخَطِ مَوْلاهُ الْكَرِيمْ**): كان يكفيه أن أسخط مولاة بسبب ما في قلبه من كبر وعجب بنفسه، وأنّه لا يفهم كلام الله، هذه كلّها أمور تسبّب سخط الله عليه لكن سنرى الآن أمر أخطر يجرّ الأمة كلّها إلى المهالك: (**وَأَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ أَنْ أَظْهَرَ عَلَى نَفْسِهِ شِعَارَ الصَّالِحِينَ بِتِلاوَةِ الْقُرْآنِ، وَقَدْ ضَيَّعَ فِي الْبَاطِنِ مَا يَجِبُ للهِ، وَرَكِبَ مَا نَهَاهُ عَنْهُ مَوْلاهُ الْكَرِيمْ، كُلُّ ذَلِكَ بِحُبِّ الرِّيَاسَةِ**): يعني يُظهر الدّين لمصلحة، يدخل في شرك النّيّة والإرادة والقصد، يعبد لكي يُنظر إليه بعين الرّضا فيولّى مناصب، يعني عبادته للدّنيا، يعبد ومقصده الدّنيا، يعبد من أجل الدّنيا ولا يعبد من أجل الله، فزيادة على السّخط الّذي مرّ معنا هذه زيادة جديدة أنّه دخل في الّشرك :شرك النّيّة والإرادة والقصد، هذا الشّرك من أخطر الأنواع أن يعمل الإنسان عملًا يتقرّب به إلى الله هو يتقرّب به إلى أهل الدّنيا، وشرح هذا قال:

(**وَالمَيْلِ إِلَى الدّنيا. قَدْ فَتَنَهُ الْعُجْبُ بِحِفْظِ الْقُرْآنِ، وَالإِشَارَةِ إِلَيْهِ بِالأَصَابِعِ.** –ماذا يفعل؟– (**إِنْ مَرِضَ أَحَدُ أَبْنَاءِ الدّنيا أَوْ مُلُوكُهَا، فَسَأَلَهُ أَنْ يَخْتِمَ عَلَيْهِ سَارَعَ إِلَيْهِ وَسُرَّ بِذَلِكَ** –إذا طلب منه الرّقية– **وَإِنْ مَرِضَ الْفَقِيرُ الْمَسْتُورُ، فَسَأَلَهُ أَنْ يَخْتِمَ عَلَيْهِ ثَقُلَ ذَلِكَ عَلَيْهِ. يَحْفَظُ الْقُرْآنَ وَيَتْلُوهُ بِلِسَانِهِ، وَقَدْ ضَيَّعَ الْكَثِيرَ مِنْ أَحْكَامِهِ.**)

سيشرح لك تفصيل ثمّ سيأتي بمشكلة أكبر، أخلاقه أخلاق الجهّال، بالإضافة إلى أنّ الله يسخط عليه لأنّ في قلبه كلّ هذه المشاكل، بالإضافة إلى أنّه دخل في شرك النّيّة والإرادة والقصد فهو يظهر شعار الصّالحين ليتولّى مناصب، الآن سيكلّمك عن مشكلة أخرى: عندما يمارس الأخلاق أو يمارس الحياة يقول لك: (**إِنْ أَكَلَ فَبِغَيْرِ عِلْمٍ، وَإِنْ شَرِبَ فَبِغَيْرِ عِلْمٍ، وَإِنْ نَامَ فَبِغَيْرِ عِلْمٍ، وَإِنْ لَبِسَ فَبِغَيْرِ عِلْمٍ، وَإِنْ جَامَعَ أَهْلَهُ فَبِغَيْرِ عِلْمٍ، وَإِنْ صَحِبَ أَقْوَامًا، أَوْ زَارَهُمْ، أَوْ سَلَّمَ عَلَيْهِمْ أَوْ اسْتَأْذَنَ عَلَيْهِمْ، فَجَمِيعُ ذَلِكَ يَجْرِي بِغَيْرِ عِلْمٍ مِنْ كِتَابٍ أَوْ سُنَّةٍ.**)

ويقارن لك بغيره: (**وَغَيْرُهُ مِمَّنْ يَحْفَظُ جُزْءًا مِنْ الْقُرْآنَ** -الشّيء البسيط من القرآن- **مُطَالِبٌ لِنَفْسِهِ بِمَا أَوْجَبَ اللهُ -عزّ وجلّ- عَلَيْهِ مِنْ عِلْمِ أَدَاءِ فَرَائِضِهِ، وَاجْتِنَابِ مَحَارِمِهِ، وإِنْ كَانَ لا يُؤْبَهُ لَهُ، وَلا يُشَارُ إِلَيْهِ بِالأَصَابِعِ.**): الثّاني من يحفظ قليل ويجاهد لكنّ النّاس لا يشيرون إليه ولا يؤبه به، أصدق، والمشكلة الأكبر فيما سيأتينا بعد ذلك: (**فَمَنْ كَانَتْ هَذِهِ أَخْلاقُهُ صَارَ فِتْنَةً لِكُلِّ مَفْتُونٍ**) هنا المشكلة، هذا الشخص جمع ثلاث مصائب:

- أغضب الله عليه بسبب كون هذه صفاته النفسيّة، القلبيّة.
- أظهر العبادة من أجل الدّنيا فدخل في الشّرك.
- أصبح فتنة لغيره، أصبح فتنة لكلّ مفتون.

ولذلك نحن ندعو الله -عزّ وجلّ- "لا تجعلنا فتنة للّذين كفروا" مثل هذه الأحداث الّتي تسمعونها في فرنسا هذه تعتبر فتنة -إن كانوا مسلمين من فعلوا ذلك- فتنة للّذين كفروا، كيف يكون المؤمن فتنة للّذين كفروا أو فتنة لكلّ مفتون؟ يفعل أفعالًا لا تليق بالإنسانيّة ولا تليق بالأدب، مخالفة لدينه، فينظر إليه النّاظر فيقول: "إن كان هذا يفعل هذا الفعل فأنا لا أريد هذا الدّين!" فهو يقول هذا الكلام، قال:

(**فَمَنْ كَانَتْ هَذِهِ أَخْلاقُهُ صَارَ فِتْنَةً لِكُلِّ مَفْتُونٍ؛ لأَنَّهُ إِذَا عَمِلَ بِالأَخْلاقِ الّتِي لا تَحْسُنُ بِمِثْلِهِ اقْتَدَى بِهِ الْجُهَّالُ، فَإِذَا عِيبَ عَلَى الْجَاهِلِ، قَالَ: فُلانٌ الْحَامِلُ لِكِتَابِ اللهِ فَعَلَ هَذَا، وَنَحْنُ أَوْلَى أَنْ نَفْعَلَهُ، وَمَنْ كَانَتْ هَذِهِ حَالُهُ فَقَدْ تَعَرَّضَ لِعَظِيمٍ، وَثَبَتَتْ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ، وَلا عُذْرَ لَهُ إِلّا أَنْ يَتُوبَ.**) تبنا إلى الله، أسأل الله أن يغفر لنا جميعًا.

مرّة أخرى يتعذّر لماذا قال هذا الكلام؟ (**وَإِنَّمَا حَدَانِي عَلَى مَا بَيَّنْتُ مِنْ قَبِيحِ هَذِهِ الأَخْلاقِ: نَصِيحَةً مِنِي لأَهْلِ الْقُرْآنِ، لِيَتَعَلَّقُوا بِالأَخْلاقِ الشَّرِيفَةِ، وَيَتَجَافُوا عَنْ الأَخْلاقِ الدَّنِيَّةِ، وَاللهُ يُوَفِّقَنَا وَإِيَّاهُمْ لِلرَّشَادِ.**

هذه النّصيحة الّتي قالها لنا من أين أتى بها؟! (**وَاعْلَمُوا–رَحِمَنَا اللهُ وإيَّاكُمْ–أَنِّي قَدْ رَوَيْتُ فِيمَا ذَكَرْتُ أَخْبَارًا تَدُلُّ عَلَى مَا كَرِهْتُهُ لأَهْلِ الْقُرْآنِ، فَأَنَا أَذْكُرُ مِنْهَا مَا حَضَرَنِي، لِيَكُونَ النَّاظِرُ فِي كِتَابِنَا يَنْصَحُ نَفْسَهِ عِنْدِ تِلاوَتِهِ الْقُرْآنَ، فَيَلْزَمُ نَفْسَهُ الْوَاجِبَ، وَاللهُ تَعَالَى الْمُوَفِّقُ.**)

لما يقول "أخبارًا" يقصد النّصوص من الكتاب والسّنّة، ستأتي الأخبار:

روي عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ–رضي الله عنه–أنَّه قَالَ: (لَقَدْ أَتَى عَلَيْنَا حِينٌ، وَمَا نَرَى أَنَّ أَحَدًا يَتَعَلَّمُ الْقُرْآنَ يُرِيدَ بِهِ إِلّا اللهَ تَعَالَى، فَلَمَّا كَانَ هَهُنَا بِآخِرَةٍ، خَشِيتُ أَنَّ رِجَالًا يَتَعَلَّمُونَهُ يُرِيدُونَ بِهِ النّاس وَمَا عِنْدَهُمْ، فَأَرِيدُوا اللهَ تَعَالَى بِقِرَاءَتِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ، فَإِنَّا كُنَّا نَعْرِفُكُمْ إِذْ فِينَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، وَإِذْ يَنْزِلُ الْوَحْيُ، وَإِذْ يُنْبِئُنَا اللهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ، فَأَمَّا الْيَوْمَ، فَقَدْ مَضَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، وَانْقَطَعَ الْوَحْيُ، وَإِنَّمَا أَعْرِفُكُمْ بِمَا أَقُولُ: مَنْ أَعْلَنَ خَيْرًا أَحْبَبْنَاهُ عَلَيْهِ، وَظَنَنَّا بِهِ خَيْرًا، وَمَنْ أَظْهَرَ شَرًّا أَبْغَضْنَاهُ عَلَيْهِ، وَظَنَنَّا بِهِ شَرًّا، سَرَائِرُكُمْ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ رَبِّكِمْ –عزّ وجلّ–).

(فَإِذَا كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ–رضي الله عنه–قَدْ خَافَ عَلَى قَوْمٍ قَرَأُوا الْقُرْآنَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ بِمَيْلِهِمْ إِلَى الدّنيا، فَمَا ظَنُّكَ بِهِمُ الْيَوْمَ! وَقَدْ أَخْبَرَنَا النّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَنَّهُ يَكُونُ أَقْوَامٌ يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ يُقِيمُونَهُ كَمَا يُقِيمُونَ الْقِدْحُ، يَتَعَجَّلُونَهُ، وَلا يَتَأَجَّلُونَهُ)[1]، يَعْنِي: يَطْلُبُونَ بِهِ عَاجِلَةَ الدّنيا، وَلا يَطْلُبُونَ بِهِ الآخِرَةَ.)

نبدأ بكلام عمر –رضي الله عنه– ثم تعليقه وذكره لحديث عن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: (**روي عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ –رضي الله عنه– أنَّه قَالَ: (لَقَدْ أَتَى عَلَيْنَا حِينٌ)** –أتانا وقتًا، ويقصد وقتما كانوا مع النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم– **وَمَا نَرَى أَنَّ أَحَدًا يَتَعَلَّمُ الْقُرْآنَ يُرِيدُ بِهِ إِلاَّ اللهَ تَعَالَى** –ما كان يمرّ على الخاطر أنّه كان أحد ممكن يتعلّم القرآن بغير وجه الله– **فَلَمَّا كَانَ هَهُنَا بِآخِرَةٍ** –يعني في هذا الزّمان، يقصد عمر وقته–

(1) أخرجه أبي داوود (830)، صحّحه الألباني.

خَشِيتُ أَنَّ رِجَالًا يَتَعَلَّمُونَهُ يُرِيدُونَ بِهِ النّاس وَمَا عِنْدَهُمْ –كان يخاف فقط، كأنّه رأى معالمًا فقط، ويأمرهم: **فَأَرِيدُوا اللهَ تَعَالَى بِقِرَاءِتِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ،** –من كلامه سيظهر لكم ماذا كان اسم هؤلاء المشهور عنهم– **فَإِنَّا كُنَّا نَعْرِفُكُمْ إِذْ فِينَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، وَإِذْ يَنْزِلُ الْوَحْيُ، وَإِذْ يُنَبِّئُنَا اللهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ** –يقصد المنافقون، المقصود أنّ المنافقين هم من بدؤوا ورأوها مكسبًا، كانوا أوّلًا يحاربون لكن لما رأوا النّاس مقبلين صار باب من التّجارة، هذا يخوّف جدًّا، حين نجد النّاس مقبلين على القرآن بدلًا من أن يزيد نشره، يتحوّل مقصدنا إلى التّجارة به، نستغلّه! **فَأَمَّا الْيَوْمَ، فَقَدْ مَضَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، وَانْقَطَعَ الْوَحْيُ، وَإِنَّمَا أَعْرِفُكُمْ بِمَا أَقُولُ** –سيقول القاعدة الّتي يعرف بها:

مَنْ أَعْلَنَ خَيْرًا أَحْبَبْنَاهُ عَلَيْهِ، وَظَنَنَّا بِهِ خَيْرًا، وَمَنْ أَظْهَرَ شَرًّا أَبْغَضْنَاهُ عَلَيْهِ، وَظَنَنَّا بِهِ شَرًّا –يستحقّ أن يظنّ به شرّ لأنّه أظهر شرّ–

سَرَائِرُكُمْ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ رَبِّكُمْ –عزّ وجلّ–).

الآجري علّق على كلام عمر–رضي الله عنه–فيقول: (**فَإِذَا كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ–رضي الله عنه–قَدْ خَافَ عَلَى قَوْمٍ قَرَأُوا الْقُرْآنَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ بِمَيْلِهِمْ إِلَى الدّنيا، فَمَا ظَنُّكَ بِهِمُ الْيَوْمَ!**) هذا يقول وهو في قرنه، ونحن نقول أضعاف أضعاف هذا، وسيأتي بالخبر عن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: **وَقَدْ أَخْبَرَنَا النّبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** (**أَنَّهُ يَكُونُ أَقْوَامٌ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ يُقِيمُونَهُ كَمَا يُقِيمُونَ الْقِدْحُ**) "القدح" المقصود به عمود السّهم، الّذي يجب أن يقام على حدّ لأنّه لو كان مائلًا ميلًا بسيطًا لا يرمي، فعمود السّهم مستقيم غاية الاستقامة، مُثّل بعمود السّهم إقامتهم للحروف، يقيمونه إقامة القدح، يعني دقّة في القراءة لكن (**يَتَعَجَّلُونَهُ، وَلا يَتَأَجَّلُونَهُ**) **يَعْنِي: يَطْلُبُونَ بِهِ عَاجِلَةَ الدّنيا، وَلا يَطْلُبُونَ بِهِ الآخِرَةَ.**

قال: **روي عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ–صلّى الله عليه وسلّم– وَنَحْنُ نَقْرَأُ الْقُرْآنَ، وَفِينَا الأَعْجَمِيُّ وَالأَعْرَابِيُّ، قَالَ : فَاسْتَمَعَ، فَقَالَ: (اقْرَءُوا، فَكُلٌّ حَسَنٌ، وَسَيَأْتِي قَوْمٌ يُقِيمُونَهُ كَمَا يُقِيمُونَ الْقِدْحَ، يَتَعَجَّلُونَهُ، وَلا يَتَأَجَّلُونَهُ)**[1]

(1) أخرجه أبو داود (830)، وصحّحه الألبانيّ.

هنا أورد الحديث بكامله، النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم-خرج والشّاهد "**وفينا الأعجميّ والأعرابيّ**" ستكون قراءتهم مختلفة، الأعجميّ سيكون عنده صعوبة ومشقّة هذا المقصود، يعني سيختلفون وهناك صعوبة ومشقّة واختلاف في القدرة ومع ذلك النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- قال لهم:

(**اقْرَءُوا، فَكُلٌّ حَسَنٌ، وَسَيَأْتِي قَوْمٌ يُقِيمُونَهُ كَمَا يُقِيمُونَ الْقِدْحُ، يَتَعَجَّلُونَهُ، وَلا يَتَأَجَّلُونَهُ**) فهذه الحال الّتي نحن فيها تركوا المقصد الصّحيح واشتغلوا بغيره.

قال: **وروي عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ أنه قَالَ: بَيْنَا نَحْنُ نَقْتَرِئُ، إِذْ خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ:** (**الْحَمْدُ للهِ، كِتَابُ اللهِ وَاحِدٌ، وَفِيكُمْ الأَحْيَارُ، وَفِيكُمْ الأَحْمَرُ وَالأَسْوَدُ** -على اختلاف الألوان ومن ثمّ اختلاف اللغات- **اقْرَأُوا الْقُرْآنَ، اقْرَأُوا قَبْلَ أَنْ يَأْتِي أَقْوَامٌ يَقْرَؤونَهُ، يُقِيمُونَ حُرُوفَهُ، كَمَا يُقَامُ السَّهْمُ، لا يُجَاوِزُ تَرَاقِيهِمْ، يَتَعَجَّلُونَ أَجْرَهُ، وَلا يَتَأَجَّلُونَهُ**)[1].

عَنْ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلَّبِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صلّى الله عليه وسلّم: (**يَظْهَرُ هَذَا الدِّينُ حَتَّى يُجَاوِزَ الْبِحَارَ** -من إتّساعه- **وَحَتَّى يُخَاضَ بِالْخَيْلِ فِي سَبِيلِ اللهِ، ثمّ يَأْتِي قَوْمٌ يَقْرَؤونَ الْقُرْآنَ، فَإِذَا قَرَؤوهُ قَالُوا: قَدْ قَرَأْنَا الْقُرْآنَ، فَمَنْ أَقْرَأُ مِنَّا! فَمَنْ أَعْلَمُ مِنَّا!**) -أصيبوا بالعُجب، الفخر، الكِبر- **ثمّ الْتَفَتَ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ:** (**هَلْ تَرَوْنَ فِي أُولَئِكَ مِنْ خَيْرٍ؟**) **قَالُوا: لا** - مادام دخل هذا المرض إذن ليس فيهم خير- **قَالَ:** (**فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ، وَأُولَئِكَ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ، وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النّار**)[2] .

روي عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّه قَالَ: (**كُنَّا صَدْرُ هَذِهِ الأُمَّةِ، وَكَانَ الرَّجُلُ مِنْ خِيَارِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صلّى الله عليه وسلّم** -من خيارهم أي: لا نلحق أظفارهم، مهما اجتمعنا ومع ذلك الشّاهد فيما بعده: **مَا مَعَهُ إِلّا السُّورَةَ مِنْ الْقُرْآنِ، أَوْ شِبْهَ ذَلِكَ، وَكَانَ الْقُرْآنُ ثَقِيلًا عَلَيْهِمْ** -مرّ معنا: {**إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا**} عظيمة معانيه جليلة أوصافه، عندهم في قلبهم تعظيم له، معاني القرآن

(1) أخرجه أبو داود (831)، وحسّنه الألبانيّ.

(2) صحيح الترغيب والترهيب الألباني: حسن لغيره.

موجودة في قلوبهم حتّى لو ما كانت حروفه جارية على ألسنتهم- **وَرُزِقُوا الْعَمَلَ بِهِ** -فهموه، عرفوا حقّ الله فيه، عرفوا من هو ربّهم فرزقوا العمل به- **وَإِنَّ آخِرَ هَذِهِ الأُمَّةِ يُخَفَّفُ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ، حَتَّى يَقْرَأَهُ الصَّبِيُّ وَالأَعْجَمِيُّ، فَلا يَعْمَلُونَ بِهِ)**[1].

قال: **روي عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ أنَّه قَالَ: كَانَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ يُقْرِئُنَا، فَقَالَ يَوْمًا: قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَيَرِثَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ قَوْمٌ** -من سهولة حفظه عليهم- **يَشْرَبُونَهُ كَمَا يُشْرَبُ الْمَاءُ، لا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ)**[2].

لا يفهمونه ولا يجاوز تراقيهم، ولا يصل إلى قلوبهم ولا يرتفع عند ربّهم.

قال: **وروي عَنْ الْحَسَنِ البصري أنَّه قَالَ: (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ قَدْ قَرَأَهُ عَبِيدٌ وَصِبْيَانٌ، لا عِلْمَ لَهُمْ بِتَأْوِيلِهِ، وَلَمْ يَتَأَوَّلُوا الأَمْرَ مِنْ أَوَّلِهِ، قَالَ اللهُ عزّ وجلّ: {كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ}**[3] **وَمَا تَدَبُّرُ آيَاتِهِ إِلّا اتِّبَاعَهُ وَاللهُ يَعْلَمُ، أَمَا وَاللهِ مَا هُوَ بِحِفْظِ حُرُوفِهِ وَإِضَاعَةِ حُدُودِهِ، حَتَّى إِنَّ أَحَدَهُمْ لَيَقُولُ: قَدْ قَرَأْتُ الْقُرْآنَ كُلَّهُ، فَمَا أَسْقَطْتُ مِنْهُ حَرْفًا، وَقَدْ وَاللهِ أَسْقَطَهُ كُلَّهُ، مَا يُرَى لَهُ الْقُرْآنُ فِي خُلُقٍ وَلا عَمَلٍ، حَتَّى إِنَّ أَحَدَهُمْ لَيَقُولُ: إِنِّي لأَقْرَأُ السُّورَةَ فِي نَفَسٍ، وَاللهِ مَا هَؤلاءِ بِالْقُرَّاءِ، وَلا الْعُلَمَاءِ، وَلا الْحُكَمَاءِ، وَلا الْوَرَعَةِ، مَتَى كَانَتْ الْقُرَّاءُ تَقُولُ مِثْلَ هَذَا؟! لا كَثَّرَ اللهُ فِي النّاس مِثْلَ هَؤلاءِ)**[4].

نبدأ بكلام الحسن البصريّ نقسّمه إلى أقسام:

القسم الأول يخبر عن الواقع: (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ قَدْ قَرَأَهُ عَبِيدٌ وَصِبْيَانٌ، لا عِلْمَ لَهُمْ بِتَأْوِيلِهِ، وَلَمْ يَتَأَوَّلُوا الأَمْرَ مِنْ أَوَّلِهِ) يعني ما عرفوا حقيقة الأمر من أصله، **ما حقيقة الأمر من أصله؟ (قَالَ اللهُ عزّ وجلّ: {كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ} وَمَا تَدَبُّرُ آيَاتِهِ إِلّا اتِّبَاعَهُ وَاللهُ يَعْلَمُ)**

- الأمر الأوّل الواقع أنّ هناك عبيد وصبيان حفظوه وما أوّلوه، ولم يأخذوه عن مكانه الصّحيح، ما مكانه الصحيح؟

(1) أخرجه الحاكم (108) وصحّحه على شرط الشّيخين.

(2) في نسخة محققة (ليقرأن هذا القرآن ...) الحديث أخرجه ابن ماجه (171)، وصحّحه الألبانيّ.

(3) سورة ص: 29.

(4) محمد بن نصر في قيام الليل، حسن.

- مكانه الصّحيح أنّ القرآن نزل من أجل أن تتدبّر والتّدبّر هو العمل به بعد فهمه.

يأتي الأمر الثّالث وهو حالهم والموقف منهم: (**أَمَا وَاللهِ مَا هُوَ بِحِفْظِ حُرُوفِهِ وَإِضَاعَةِ حُدُودِهِ**) يعني التّدبّر (**حَتَّى إِنَّ أَحَدَهُمْ لَيَقُولُ: قَدْ قَرَأْتُ الْقُرْآنَ كُلَّهُ، فَمَا أَسْقَطْتُ مِنْهُ حَرْفًا** -يمدح نفسه- **وَقَدْ وَاللهِ أَسْقَطَهُ كُلَّهُ** -هذه الحقيقة أنّه أسقطه كلّه في العمل- **مَا يُرَى لَهُ الْقُرْآنُ فِي خُلُقٍ وَلا عَمَلٍ**) تكلّمينه على أيّ جانب تحدينه ليس له في القرآن لا خلق ولا عمل- **حَتَّى إِنَّ أَحَدَهُمْ لَيَقُولُ: إِنِّي لأَقْرَأُ السُّورَةَ فِي نَفَسٍ** -يقرأ السورة بنفس واحد ليتفاخر، وسيدعو عليهم الآن: (**وَاللهِ مَا هَؤلاءِ بِالْقُرَّاءِ، وَلا الْعُلَمَاءِ، وَلا الْحُكَمَاءِ، وَلا الْوَرَعَةِ، مَتَى كَانَتْ الْقُرَّاءُ تَقُولُ مِثْلَ هَذَا؟! لا كَثَّرَ اللهُ فِي النّاس مِثْلَ هَؤلاء**): يدعو الله -عزّ وجلّ- أن يخلّص المسلمين من شرّهم، هذه حال، أكيد أنّنا نرى أمثالها وصورها، أهمّ شيء أن لا نكون نحن ونتوب عن ما مضى ونحسّن ما هو آتٍ والأمر المهمّ أن نعلّم الأجيال القادمة ممّن يحفظون القرآن.

ثمّ أورد أخبارًا أخرى:

قال مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِ اللهِ عزّ وجلّ:{يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ}[1]: (**يَعْمَلُونَ بِهِ حَقَّ عَمَلِهِ**)[2].

قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ: (يَنْبَغِي لِحَامِلِ الْقُرْآنِ أَنْ يُعْرَفَ بِلَيلِهِ إِذَا النّاس نَائِمُونَ -يعرف هو نفسه بذلك، ليس يعرفه النّاس- **وَبِنَهَارِهِ إِذَا النّاس مُفْطِرُونَ، وَبِوَرَعِهِ إِذَا النّاس يَخْلِطُونَ، وَبِتَوَاضُعِهِ إِذَا النّاس يَخْتَالُونَ، وَبِحُزْنِهِ إِذَا النّاس يَفْرَحُونَ، وَبِبُكَائِهِ إِذَا النّاس يَضْحَكُونَ، وَبِصَمْتِهِ إِذَا النّاس يَخُوضُونَ**). ويقصد أنّ النّاس مختلطة عليهم الأمور وهو يميّزها فيعرف الوقت الّذي يفعل فيه الفعل الصّحيح.

قال: (**هَذِهِ الأَخْبَارُ كُلُّهَا تَدُلُّ عَلَى مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُنَا لَهُ مِنْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرْآنِ يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ أَخْلاقُهُمْ مُبَايِنَةً لأَخْلاقِ مَنْ سِوَاهُمْ مِمَّنْ لَمْ يَعْلَمْ كَعِلْمِهِمْ. إِذَا نَزَلَتْ بِهِمْ الشَّدَائِدُ لَجَؤُوا إِلَى اللهِ الْكَرِيمِ فِيهَا، وَلَمْ يَلْجَؤُوا فيها إِلَى مَخْلُوقٍ، وَكَانَ اللهُ –عزّ وجلّ– أَسْبَقَ**

(1) سورة البقرة:121.

(2) أخرجه الطّبري.

إِلَى قُلُوبِهِمْ. قَدْ تَأَدَّبُوا بِأَدَبِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، فَهُمْ أَعْلامٌ يُقْتَدَى بِفِعَالِهِمْ؛ لأَنَّهُمْ خَاصَّةُ اللهِ وَأَهْلُهُ، و {أُولَئِكَ حِزْبُ اللهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُون}[1].

ما أحسن هذا الإغلاق، نقلنا مرّة أخرى لحملة القرآن، قال:

(هَذِهِ الأَخْبَارُ كُلُّهَا تَدُلُّ عَلَى مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُنَا لَهُ مِنْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرْآنِ يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ أَخْلاقُهُمْ مُبَايِنَةً لأَخْلاقِ مَنْ سِوَاهُمْ مِمَّنْ لَمْ يَعْلَمْ كَعِلْمِهِمْ.)

وانظري كيف تميّز يعقوب –عليه السّلام– في موقفه عن غيره حين قال: {إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُون}[2] فالعلم عن الله يجعل العبد يفعل أفعالًا صحيحة في مكانها و يتصرّف تصرّفات لا يدركها من حوله، ثمّ الآن سيأتيك بعقيدة حامل القرآن وهو إيمانه باسم الله الصّمد ويقينه به وما يحتوي هذا الاسم لأنّ اسم الصّمد من الأسماء الجامعة الّتي يجتمع فيها أسماءً لله عزّ وجلّ:

(إِذَا نَزَلَتْ بِهِمُ الشَّدَائِدُ لَجَؤُوا إِلَى اللهِ الْكَرِيمِ فِيهَا، وَلَمْ يَلْجَؤُوا فيها إِلَى مَخْلُوقٍ): هؤلاء حملة القرآن لمّا نزلت بهم الشّدائد لجؤوا إلى الله الكريم، كيف تقرأ القرآن وتعرف الرّحمن ثمّ قلبك يفزع إلى غيره؟! وانظروا يقول: **(وَكَانَ اللهُ –عزّ وجلّ– أَسْبَقَ إِلَى قُلُوبِهِمْ.)**: وهذا بالضّبط معنى اسم الصّمد، اقرؤوا معناه في الطّبري تجدون أنّه يصف وصفًا دقيقًا **أنّ الصّمد أوّل من يُفزع إليه، أوّل فزعة في القلب تكون لله**، يعني من حمل القرآن لا بدّ أن يتميّز عن غيره وتميّزه الحقيقيّ ليس في المظهر فقط إنّما هناك شيء سابق وأهمّ من المظهر، قلبه له ركن شديد لا يزيغ عن هذا الرّكن الشّديد، أوّل الحاجة تعني عنده أوّل الفزع، أوّل ما يحتاج مباشرة يفزع إلى ربّه؛ ولذا كلّما وجدنا أنفسنا قد قصّرنا في الفزعة الأولى إلى الله، نكون قد قصّرنا في معنى الصّمد، وإذا قصّرنا في معنى الصّمد نكون قصّرنا في معاني القرآن؛ لأنّ سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن، وثلث القرآن الّذي تعدله سورة الإخلاص هو ثلث القرآن المعتمَد عليه بقيّة الثّلثين؛ لأنّ **القرآن ثلاثة أثلاث:**

---

(1) سورة المجادلة: 22.

(2) سورة يوسف: 86.

- خبر عن الله وأفعاله، تعرف الله.
- خبر عن مراضي الله، تعرف ما يرضيه.
- خبر عن جزاء الله، تعرف بماذا سيجازيك.

قال: (**قَدْ تَأَدَّبُوا بِأَدَبِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، فَهُمْ أَعْلامٌ يُقْتَدَى بِفِعَالِهِمْ**): عكس ذاك من اقتدى بأفعاله وأفعال الجاهلين واقتُدِي به.

(**لأَنَّهُمْ خَاصَّةُ اللهِ وَأَهْلُهُ**، {**أُولَئِكَ حِزْبُ اللهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُون**}): تكلّمنا في البداية عن خطر الحزبيّة وأنّ أخلاق الجهّال إنّما أتت بسبب الحزبيّة، هذا لما تخلّق بالقرآن صار من حزب الله، ينصر الله ولا ينصر نفسه ولا ينصر حزبه ولا شيء من هذا، إنّما الله ودينه.

روي عن عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ يَزِيدَ أنه قَالَ: سَمِعْتُ الْفُضَيْلَ بْنَ عِيَاضٍ يَقُولُ: (يَنْبَغِي لِحَامِلِ الْقُرْآنِ أَنْ لا يَكُونَ لَهُ حَاجَةً إِلَى أَحَدٍ مِنْ الْخَلْقِ، إِلَى الْخَلِيفَةِ فَمَنْ دُونَهَ، وَيَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ حَوَائِجُ الْخَلْقِ إِلَيْهِ). وقَالَ: سَمِعْتُ الْفُضَيْلَ يَقُولُ: (حَامِلُ الْقُرْآنِ حَامِلُ رَايَةِ الإِسْلامِ، لا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَلْغُو مَعَ مَنْ يَلْغُو، وَلا يَسْهُو مَعَ مَنْ يَسْهُو، وَلا يَلْهُو مَعَ مَنْ يَلْهُو).

قَالَ: وَسَمِعْتُ الْفُضَيْلَ يَقُولُ: (إِنَّمَا نَزَلَ الْقُرْآنُ لِيُعْمَلَ بِهِ، فَاتَّخَذَ النّاس قِرَاءَتَهُ عَمَلًا، أَي لِيُحِلُّوا حَلالَهُ، وَيُحَرِّمُوا حَرَامَهُ، وَيَقِفُوا عِنْدَ مُتْشَابِهِهِ)[1].

لازال يأتي بنصوص تدلّ على حال حامل القرآن، هذا كلام الفضيل ابن عياض: (**يَنْبَغِي لِحَامِلِ الْقُرْآنِ أَنْ لا يَكُونَ لَهُ حَاجَةً إِلَى أَحَدٍ مِنْ الْخَلْقِ**): بمعنى لا يذلّ نفسه، ولا يتعلّق بهم، ولا يسأل النّاس قضاء حوائجه.

(1) أخرجه أبو نعيم (92/8).

(**إِلَى الْخَلِيفَةِ فَمَنْ دُونَهَ، وَيَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ حَوَائِجُ الْخَلْقِ إِلَيْهِ**): بمعنى هم يحتاجونه في التّعليم، ويحتاجونه في الإرشاد، لا بأس لكن هو لا يحتاج.

وقَالَ: سَمِعْتُ الْفُضَيْلَ يَقُولُ: (**حَامِلُ الْقُرْآنِ حَامِلُ رَايَةِ الإِسْلامِ**) فتصوّري حامل الرّاية هل يمكن أن يلتهي عن رايته؟!

(**لا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَلْغُو مَعَ مَنْ يَلْغُو، وَلا يَسْهُو مَعَ مَنْ يَسْهُو، وَلا يَلْهُو مَعَ مَنْ يَلْهُو**): إذا لهى ماذا يحصل؟ تخيّلي حامل الرّاية يعني المرشد للباقي هل هو الّذي يَضيع فقط؟! إنّما كلّ من ورائه معه، فلا بدّ أن نعرف أن مسؤوليّتنا حمل راية الإسلام، إذا هو لغا أو سها ضاع الإسلام.

قَالَ: **وَسَمِعْتُ الْفُضَيْلَ يَقُولُ:** (**إِنَّمَا نَزَلَ الْقُرْآنُ لِيُعْمَلَ بِهِ، فَاتَّخَذَ النّاس قِرَاءَتَهُ عَمَلًا**): لمجرّد القراءة رأوا أنفسهم فعلوا كلّ ما يجب.

(**أَي لِيُحِلُّوا حَلالَهُ، وَيُحَرِّمُوا حَرَامَهُ، وَيَقِفُوا عِنْدَ مُتْشَابِهِهِ**). ليعمل به هذا معناها.

قال: (**كَتَبَ حُذَيْفَةُ الْمَرْعَشِيُّ إِلَي يُوسُفَ بْنِ أَسْبَاطٍ: بَلغَنِي أَنَّكَ بِعْتَ دِينَكَ بِحَبَّتَيْنِ، وَقَفْتَ عَلَى صَاحِبِ لَبَنٍ، فَقُلْتَ: بِكَمْ هَذَا؟ فَقَالَ: هُوَ لَكَ بِسُدْسٍ، فَقُلْتَ: لا، بِثُمُنٍ، فَقَالَ: هُوَ لَكَ، وَكَانَ يَعْرِفُكَ، اكْشِفْ عَنْ رَأْسِكَ قِنَاعَ الْغَافِلِينَ، وَانْتَبِهْ مِنْ رَقْدَةَ الْمُوتَى، وَاعْلَمْ أَنَّهُ مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ ثُمّ آثَرَ الدّنيا لَمْ آمَنْ أَنْ يَكُونَ بِآيَاتِ اللهِ مِنَ الْمُسْتَهْزِئِينَ.**)

هذا كلام حذيفة المرعشي إلى يوسف بن أسباط أمس تناقشنا فيه، نأخذ ما بعده لننهي الفصل:

قال: (**وَكَانَ مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ يَقُولُ: لَوْ صَلَحَ أَهْلُ الْقُرْآنِ صَلَحَ النَّاسُ**[1]).

(1) أخرجه أبو نعيم في الحلية (83/4).

رُوِيَ عن بَشِيرُ بْنُ أَبِي عَمْرٍو الْخَوْلانِيُّ أَنَّ الْوَلِيدَ بْنَ قَيْسٍ حَدَّثَهُ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ يَقُولُ: (يَكُونُ خَلْفٌ بَعْدَ سِتِّينَ سَنَةً أَضَاعُوا الصَّلاةَ، وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا، ثمّ يَكُونُ خَلْفٌ يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ لا يَعْدُو تَرَاقِيَهُمْ، وَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ ثَلاثَةٌ: مُؤْمِنٌ وَمُنَافِقٌ وَفَاجِرٌ) فَقَالَ بَشِيرٌ: فَقُلْتُ لِلْوَلِيدِ: مَا هَؤُلاءِ الثَّلاثَةُ؟ فَقَالَ: (الْمُنَافِقُ كَافِرٌ بِهِ، وَالْفَاجِرُ يَتَأَكَّلُ بِهِ، وَالْمُؤْمِنُ مُؤْمِنٌ بِهِ)[1].

وروي عَنْ الْحَسَنِ أَنَّه قَالَ: مَرَرْتُ أَنَا وَعِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ عَلَى رَجُلٍ يَقْرَأُ سُورَةَ يُوسُفَ، فَقَامَ عِمْرَانُ يَسْتَمِعُ لِقِرَاءَتِهِ، فَلَمَّا فَرَغَ سَأَلَ، فَاسْتَرْجَعَ وَقَالَ: انْطَلِقْ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ–صلّى الله عليه وسلّم–يَقُولُ: (مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ، فَلْيَسْأَلْ اللهَ –عزّ وجلّ– بِهِ، فَإِنَّه سَيَأْتِي قَوْمٌ يَقْرأونَ الْقُرْآنَ، يَسْأَلُونَ النّاس بِهِ)[2].

هذا حديث الوليد ابن قيس لما حدّث عن سعيد الخدري –رضي الله عنه– جاء شاهدنا الّذي كنّا نبحث عنه أنّه يقرأ القرآن ثلاثة: مؤمن ومنافق وفاجر، فالوليد يسأل البشير من هؤلاء الثلاثة؟! قال: (**الْمُنَافِقُ كَافِرٌ بِهِ، وَالْفَاجِرُ يَتَأَكَّلُ بِهِ، وَالْمُؤْمِنُ مُؤْمِنٌ بِهِ**)

هذا كافر به لماذا يقرأ؟! يقرأ من أجل أن يرتفع، يقرأ من أجل أن تكون له منزلة، يقرأ ليُجادل، لتصبح له منزلة فكريّة خاصّة، ترون في الإعلام الآن خلق كثير أخذوا القرآن سلّمًا للرّفعة عند النّاس وتجده يفتن النّاس بكلامه، ويتكلّم من القرآن لكنّه في حقيقته استعمل القرآن من أجل العلوّ والمجادلة، هذا واضح وتناقشنا فيه، نأتي للنصّ الّذي بعده: (**وروي عَنْ الْحَسَنِ أَنَّه قَالَ: مَرَرْتُ أَنَا وَعِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ** –الحسن البصري وعمران ابن حصين مرّوا– **عَلَى رَجُلٍ يَقْرَأُ سُورَةَ يُوسُفَ، فَقَامَ عِمْرَانُ يَسْتَمِعُ لِقِرَاءَتِهِ، فَلَمَّا فَرَغَ سَأَلَ، فَاسْتَرْجَعَ** –قال: "إنا لله وإنّا إليه راجعون"– **وَقَالَ: انْطَلِقْ** –اتركه وانطلق– **فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ–صلّى الله عليه وسلّم–يَقُولُ: (مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ، فَلْيَسْأَلْ اللهَ –عزّ وجلّ– بِهِ، فَإِنَّه سَيَأْتِي قَوْمٌ يَقْرأونَ الْقُرْآنَ، يَسْأَلُونَ النّاس بِهِ** –وهذا هو الفاجر السّابق الّذي تكلّمنا عنه– **فِي هَذَا بَلاغٌ لِمَنْ تَدَبَّرَهُ، فَاتَّقَى اللهَ –عزّ وجلّ– وَأَجَلَّ الْقُرْآنَ وَصَانَهُ، وَبَاعَ مَا يَفْنَى بِمَا يَبْقَى** –لأنّ هؤلاء اشتروا الدّنيا وباعوا الآخرة– **وَاللهُ –عزّ وجلّ– الْمُوَفِّقُ لِذَلِكَ**.

(1) أخرجه الحاكم (3468)، وصحّحه.

(2)أخرجه أحمد (439/4)، والترمذيّ (2917)، وحسّنه الألبانيّ.

بَابُ: أَخْلاقِ الْمُقْرِئِ إِذَا جَلَسَ يُقْرِئُ لِوَجْهِ اللهِ –عَزَّ وَجَلَّ– مَاذَا يَنْبَغِي لَه أَنْ يتخلّق بِه

(يَنْبَغِي لِمَنْ عَلَّمَهُ اللهُ تَعَالَى كِتَابَهُ، فَأَحَبَّ أَنْ يَجْلِسَ فِي الْمَسْجِدِ يُقْرِئَ الْقُرْآنَ للهِ تَعَالَى، يَغْتَنِمَ قَوْلَ النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– (خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ)[1] فَيَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَسْتَعْمِلَ مِنْ الأَخْلاقِ الشَّرِيفَةِ مَا يَدُلُّ عَلَى فَضْلِهِ وَصِدْقِهِ، وَهُوَ أَنْ يَتَوَاضَعَ فِي نَفْسِهِ إِذَا جَلَسَ فِي مَجْلِسِهِ، وَلا يَتَعَاظَمُ فِي نَفْسِهِ، وَأُحِبُّ لَهُ أَنْ يَسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ فِي مَجْلِسِهِ، وَيَتَوَاضَعَ لِمَنْ يُلَقِّنُهُ الْقُرْآنَ، وَيُقْبِلَ عَلَيْهِ إِقْبَالًا جَمِيلًا، وَيَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَسْتَعْمِلَ مَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ يُلَقِّنُهُ مَا يَصْلُحُ لِمِثْلِهِ. إِذَا كَانَ يَتَلَقَّنُ عَلَيْهِ الصَّغِيرُ، وَالْكَبِيرُ، وَالْحَدَثُ، وَالْغَنِيُّ، وَالْفَقِيرُ. فَيَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُوفِي كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، وَيَعْتَقِدَ الإِنْصَافَ إِنْ كَانَ يُرِيدُ اللهَ –عزّ وجلّ– بِتَلْقِينِهِ الْقُرْآنَ.

فَلا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَرْفِقَ بِالْغَنِي، وَيَخْرِقَ عَلَى الْفَقِيرِ، فَإِنْ فَعَلَ هَذَا، فَقَدْ جَارَ فِي فِعْلِهِ، فَحُكْمُهُ أَنْ يَعْدِلَ بَيْنَهُمَا.

ثُمَّ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَحْذَرَ عَلَى نَفْسِهِ التّواضع لِلْغَنِي، وَالتَّكَبُّرَ عَلَى الْفَقِيرِ، بَلْ يَكُونُ مُتَوَاضِعًا لِلْفَقِيرِ، مُقَرِّبًا لِمَجْلِسِهِ، مُتَعَطِّفًا عَلَيْهِ، يَتَحَبَّبُ إِلَى اللهِ بِذَلِكَ.

قال الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ فِي قَوْلِ اللهِ –عزّ وجلّ– {وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ}[2]: "يَكُونُ الْغَنِيُ وَالْفَقِيرُ عِنْدَكَ فِي الْعِلْمِ سَوَاء".

ويتأوَّلُ فِيهِ مَا أَدَّبَ اللهُ –عزّ وجلّ– بِهِ نَبِيَّهُ –صلّى الله عليه وسلّم– حَيْثُ أَمَرَهُ أَنْ يُقَرِّبَ الْفُقَرَاءَ، وَلا تَعْدُ عَيْنَاهُ عَنْهُمْ، إِذْ كَانَ قَوْمٌ أَرَادِوا الدّنيا، فَأَحَبُّوا مِنْ النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– أَنْ يُدْنِي مِنْهُمْ مَجْلِسَهُمْ، وَأَنْ يَرْفَعَهُمْ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ مِنْ الْفُقَرَاءِ، فَأَجَابَهُمْ النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– إِلَى مَا سَأَلُوا، لا لأَنَّهُ أَرَادَ الدّنيا، وَلَكِنَّهُ يَتَأَلَّفُهُمْ عَلَى الإِسْلامِ، فَأَرْشَدَ اللهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ –صلّى الله عليه وسلّم– عَلَى أَشْرَفِ الأَخْلاقِ عِنْدَهُ، فَأَمَرَهُ أَنْ يُقَرِّبَ الْفُقَرَاءَ، وَيَنْبَسِطَ إِلَيْهِمْ، وَيَصْبِرَ عَلَيْهِمْ، وَأَنْ يُبَاعِدَ الأَغْنِيَاءَ الّذينَ يَمِيلُونَ إِلَى الدّنيا، فَفَعَلَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

---

(1) أَخْرَجَهُ البخاريّ (5027).

(2) سورة لقمان: ١٨.

وَهَذَا أَصْلٌ يَحْتَاجُ إِلَيْهِ جَمِيعُ مَنْ جَلَسَ يُعَلِّمُ الْقُرْآنَ وَالْعِلْمَ، يتأدبُ بهِ، وَيُلْزِمُ نَفْسَهُ ذَلِكَ، إِنْ كَانَ يُرِيدُ اللهَ تَعَالَى بِذَلِكَ.)

نبدأ أوّلًا بالمقدمة: (**يَنْبَغِي لِمَنْ عَلَّمَهُ اللهُ تَعَالَى كِتَابَهُ**): مرّة أخرى انظروا أسلوبه، أنت لم تتعلّم إنّما الله علّمنا كتابه، الله الّذي يعلّمنا.

(**فَأَحَبَّ أَنْ يَجْلِسَ فِي الْمَسْجِدِ يُقْرِئَ الْقُرْآنَ للهِ تَعَالَى**): وقع في قلبه حبّ القيام بهذا العمل، ما مقصده؟ أو ما الّذي أثاره؟

(**يَغْتَنِمَ قَوْلَ النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– (خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ)**): كأنّه يصف حالته الآن، واحد علّمه الله القرآن ووقع في قلبه حبّ أن يمشي في هذا الطّريق ويُعلِّم وأمامه (**خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**) مَن انفعل بهذا الحديث، ذكرناه في "باب فضل من تعلّم القرآن وعلّمه"؟ عبدالرحمن السُلَميّ، كان نموذجًا لشخص علّمه الله القرآن فأحبّ أن يعمل بحديث النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– الّذي رواه عن عثمان –رضي الله عنه– (**خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**)؛ فقال عبد الرحمن: (**فذلك أقعدني مقعدي هذا**) ثمّ عرفنا أنه قعد هذا المقعد أربعين سنة يعلّم، فكأنّه يقول: إذا ربّنا علّمك ووضعت أمام عينيك هذا الحديث فاسمع ماذا يجب عليك أن تفعل إذا كنت تفكّر في الخيريّة:

(**فَيَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَسْتَعْمِلَ مِنْ الأَخْلاقِ الشَّرِيفَةِ مَا يَدُلُّ عَلَى فَضْلِهِ وَصِدْقِهِ**): الدّعاوى الّتي ندّعيها ونقول: "نريد وجه الله"، هذه الدّعاوى لا بدّ أن نبرهن على صدقنا فيها بصفات، لا يكفي أن نقول: "أنا في قلبي أريد وجه الله" أنت لا بدّ أن تكون عندك مرآة، مرآة لما في قلبك وهي تصرّفك الّذي تتصرّفه ولذلك يقول: (**فَيَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَسْتَعْمِلَ مِنْ الأَخْلاقِ الشَّرِيفَةِ مَا يَدُلُّ عَلَى فَضْلِهِ وَصِدْقِهِ**): إذًا هناك أفعال في الخارج تدل على ما في الدّاخل، لا نقنع أنفسنا أن قلبي طيّب يريد الحق وتصرّفاتي سيّئة! لا بدّ أن يصلح الخارج إذا صلح الباطن.

ولذلك النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم–شبّه المؤمن كالإناء إن طاب أسفله طاب أعلاه، فأنت عندما يكون قلبك طيّبًا يطيب أعلاك، لا بأس طباعنا الّتي طبعنا عليها، ابتلينا بها كما قال النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– لأشج بن عبد قيس: (**فِيكَ خَصْلَتَانِ**

يُحِبُّهُمَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ) قَالَ: وَمَا هُمَا يَا نَبِيَّ اللَّهِ؟ قَالَ: (الأَنَاةُ وَالتُّؤَدَةُ) قَالَ: أَجَبْلا جُبِلْتُ عَلَيْهِ أَوْ تَخَلُّقًا مِنِّي؟ قَالَ: (بَلْ جَبْلٌ)[1] فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذي جَبَلَنِي عَلَى مَا يُحِبُّ اللَّهُ وَرَسُولُهُ. فبعضنا فيه جبلّات ليست ملائمة للتّعليم، مثلًا غضب شديد وهكذا، من يشعر نفسه أنّ عنده جبلّة صعبة ولا تساعده على التّعليم فليتمرّس على مجموعات صغيرة ليؤدّب نفسه، لا يتمرّس على مجموعات صغيرة فيخرج غضبه! وحين يجد نفسه نضج أو يجد نفسه تأدّبت يفتح مجموعات كبيرة، وهذا أمر مهم جدًا، من أجل أن لا يكون موقفنا في التّعليم موقف إفساد، لا بدّ أن نقيس أنفسنا ونعرفها ونعرف صفاتنا وطباعنا الّتي ابتلينا بها ثمّ نرى هل نحن نصلح أو لا نصلح، إذا وجدت طباعي مثلًا فيها ما فيها ماذا أفعل؟ لن نسكت لأنفسنا، إنّما أكون مجموعات صغيرة من المتعلّمين، لا تنسوا أنّه يتخلّق بأخلاق شريفة تدلّ على فضله وصدقه، ثمّ جعل مجمل الأخلاق الشّريفة الّتي ابتدأ بها التّواضع، لا بدّ أن نفكر لماذا هو في كلّ ما مضى سواء كان في أخلاق حملة القرآن أو مَن لا يريد به وجه الله يشعرنا بخطورة الكبر، لماذا يعتبر الكبر الصّفة الّتي لا تلائم أبدًا حامل القرآن؟! هو في مكان يستثار فيه الكبر نتيجة أنّه عنده وهم ليس عندهم، فهو يذكّرهم بأنّه "ينبغي لمن علّمه الله" أنت لم تتعلّم بنفسك ولا بقوّتك إنّما الله علّمك، فيحذّرنا من الكبر؛ لأنّ العلم إن كان ليس خالصًا لوجه الله فهو أحد أهم مثيرات الكبر، يتفضّل على النّاس، ولاحظي أنّه يستطيع أن يتفضّل بالعلم على الغني والفقير، والشّريف والوضيع، بالذّات العلم فيه مشكلة، أنّه أكثر شيء ممكن أن يحصل فيه التّكبر، أن هؤلاء أغنياء وهناك أغنى منهم وهناك أغنى منهم، وهم يتنافسون مع بعضهم، هؤلاء شرفاء -لهم نسب- هناك أعلى وأعلى، لكن هو يأتي يقول لهم: "أنا عندي مادة للكبر عليكم لا تشاركوني فيها!" فيتكبّر عليهم، وخصوصًا أنّ هناك أغنياء يحبّون العلم وعيونهم معلّقة به أو مثلًا مرّوا بحالة نفسيّة ويريدون القرآن، مرضوا ويريدون القرآن، فيحتاجوا له، فكأنّنا نقول بجملة مختصرة: "العلم إن لم يقع على قلب صادق كان سببًا سريعًا للكبر لأنّ كلّ النّاس يحتاجونه".

بقي أن نتحسّس أنفسنا في هذه الصّفة؛ لأنّنا لا نستطيع أن نقول: "أنا ليس عندي كبر" إلّا بعدما أتحسّسه تحسّسًا، كونوا مركّزين لنعرف سويًا كيف نميّز الكبر وكيف يكون الكبر؟ نتذكر حديث النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- في تعريفه للكبر، ما الكبر؟ قال: (بَطَرُ الحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ)[2] "بطر" و"غمط" أخطرها (بَطَرُ الحَقِّ) ثمّ (وَغَمْطُ النَّاسِ) هذه نتيجة أخرى، نرى ما هو (بطر الحقّ)، بطر الحقّ أن نأتي في مواقف والحقّ أمامنا واضح، لكن لست أنا الّذي قلته، فيصبح في الدّاخل صراع للدّوران حوله، تصوري مثلًا أنّ عندك أحدًا من أهل بيتك يعزّ عليك وتحبّينه، وتحبّين له الهداية، أخت، بنت، إلى آخره، تدعينها وتدعينها وتكلمينها ولا تسمعك،

(1) أخرجه أبو داود (5225)، وصحّحه الألبانيّ.

(2) أخرجه أحمد (4058)، وصحّحه أحمد شاكر.

وقدّر الله أن تعمل أو تدرس في مكان، ووجدت زميلة في هذا الطّريق الّذي تريدينه فدلّتها، دُلّت من زميلتها ولم تُدل منك، ليس أنت الّتي دللتها إنّما زميلتها الّتي دلّتها! عندما تأتي بالخير من عند زميلتها تنتقدينها وتنتقدينها، تقولين: لا ليس هذا المهم؛ لأنّه لم يأتِ من طريقك! كأنّك تقولين لها: تستجيبين لصاحبتك ولا تستجيبين لي؟! فيأتي الحقّ فتبطري عليه، ترديه! فكروا وستجدون مواقفًا كثيرة، كأنّ بطر الحقّ أن الإنسان إذا رأى الحقّ وكان يخالف هواه أو ليس في مصدره يردّه مع العلم؛ لذلك من الرّموز للكبر فرعون، الله قال في حقّ فرعون في سياق الكلام بين موسى –عليه السّلام– وبينه: {**وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا**}[1] ما السّبب في ردّهم الحقّ والعلو عليه؟ بمعنى هل هم لا يعرفون أنّه حقّ؟! لا، هم يعرفون أنّه حقّ.

من أجل ذلك نحذر أن نأتي في مواقف ونأخذ قرارات على هوانا، لا بدّ أن نراجع هل هذا هو الحقّ أم لا.

ثمّ سيشرح غمط النّاس، كيف يحصل غمط للنّاس؟ (**وَهُوَ أَنْ يَتَوَاضَعَ فِي نَفْسِهِ إِذَا جَلَسَ فِي مَجْلِسِهِ، وَلا يَتَعَاظَمُ فِي نَفْسِهِ**).

نبدأ بأوّل خطوة: هو بنفسه وهو جالس للتّعليم يكسر قلبه بذكر الله والاستغفار والتّوبة ويقول لنفسه: "أنا لست أفضل الموجودين إن لم أكن أسوأهم، والّذي جعلني أجلس في مجلسي هذا وأدرّس هو ستر الله" ، "لو انكشفت سترى السّوء كلّه" لا بدّ أن يقول لنفسه هذا الكلام، لا يمثّل إنما يقول لنفسه صادقًا، وحديثك مع نفسك في التّزكية من أحسن أعمال التّزكية، الإنسان حين يزكّي نفسه كأنّه يفرش قلبه في التّراب ويخرج منه أمراضه، ويكلّم نفسه أنّه ما كان ينبغي أن تفعل ذلك، ليس هذا من الشّكر، لا يكون هذا ردّك على عطيّة الله، ليست هذه الطّريقة الّتي تعامل بها المؤمنين الأولياء، لا تعرف هذا ما منزلته عند الله ومن يكون، وهكذا، تكلّم نفسك حتى تزكّيها، اغسل قلبك كما تغسل ملابسك غسيل اليد بحيث تخرجين منه الأوساخ لا بدّ، وهذا كلّه يكون بالكلام الشّديد على النّفس بحيث أنّه يصل في النّهاية أن تكون هناك حقائق يخرجها ولا يضحك على نفسه، لكن نضع حدًا على الجهة الأخرى ونقول: "بدون وسواس ولا جلد للذّات" لا نريد وساوسًا إنّما نريد حقائق، يحصل موقف فتؤدّب نفسك وتعرف أنّ باب الله واسع وتتوب وتعود.

(1) سورة النّمل: 14.

الآن سيبدأ بنفسه ثمّ سيبدأ في الأعمال: (**وَأُحِبُّ لَهُ أَنْ يَسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ فِي مَجْلِسِهِ**): هذا عند الآجري محبوب، من الآداب، يعني أحب له أن يستقبل القبلة وهو يعلّم تعظيمًا لدين الله –عزّ وجلّ– وسنرى الآن كيف يكون غمط النّاس؛ لأنّه يريدك أن تبتعد عن غمط النّاس: (**وَيَتَوَاضَعَ لِمَنْ يُلَقِّنُهُ الْقُرْآنَ، وَيُقْبِلَ عَلَيْهِ إِقْبَالًا جَمِيلًا**): دائمًا يشتكي الطّلاب من عبوس معلّمينهم، ليس عندهم ابتسامة، تنقصهم الابتسامة، في العادة يفكر أنّه لا بدّ أن يعبس في وجه الطّالب؛ من أجل أن يتجاوب معه، هذا تفكيرنا مع طلّابنا! لا بدّ أن أكون شديد وأشعره بهيبة مجلس العلم! وطبعًا هذا كلام مخالف للصّحيح أنت تبسّمك في وجه أخيك صدقة، وأيضًا هذا الأخ القريب الّذي يجلس هنا من أجل أن أعلّمه يجب أن أكون أكثر ودًا معه –ما أستطعنا إلى ذلك سبيلًا– ولا ننسى أنّها أيضًا عطايا من الله، فهناك ناس ربّنا ما رزقهم أن يكونوا مبتسمين فعليهم أن يدرّبوا أنفسهم على ذلك.

(**وَيَتَوَاضَعَ لِمَنْ يُلَقِّنُهُ الْقُرْآنَ، وَيُقْبِلَ عَلَيْهِ إِقْبَالًا جَمِيلًا**): بمعنى أنّه يعطيه كلّيته بحيث أنّه يُشعر الطّالب بأنّه به مهتمّ، ولا يكون فاقد لتركيزه، والآن ابتلينا بالأجهزة، ممكن أن تدخل المعلّمة الحلقة ومعها جهازها فتنشغل عن الطّالب وهو يسمّع!

(**وَيَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَسْتَعْمِلَ مَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ يُلَقِّنُهُ مَا يَصْلُحُ لِمِثْلِهِ.**): يقصد ملاحظة ما نسمّيه اليوم "بالفوارق الفرديّة في الحفظ وفي القدرة" يجب أن نعرف أنّ النّاس عندهم فوارق في صعوبات التّعلم، فممكن إجراء دورة بسيطة في التّعريف العام بصعوبات التّعلم تكون لمعّلمات مدارس التّحفيظ لا بدّ أن يأخذوا بالإجمال ما هي صعوبات التّعلّم لكي تستطيع المعلّمة أن تميّز الطّالبة الّتي تعاني من صعوبات لا أن تشعر أنّها دائمًا كسلانة، غير مهتمّة، كلمة "كسلانة" لا بدّ أن تخرجوها من رأسكم تمامًا، النّاس قدرات، هناك ناس لا يجتهدون لكن بسبب أنّ عندهم ذكاء لغويّ أوّل ما تعطيهم يعطونك، انظروا كيف حين تجلسون في الحرم مثلًا وترون النّاس لهم لهجات مختلفة، ثمّ تأتي مثلًا واحدة من السّعودية تجلس معكم ثمّ تكلّمكم في البداية بلهجتها ثمّ تبدأ تكلّمكم بكلامكم، هذا نوع من الذّكاء بحيث أنّها تستطيع أن تأخذ وتعطي، أو بالعكس أنتم تجلسون قليلًا في البلد تجدون أنفسكم تأخذون من الكلمات، وجماعة أبدًا لا يأخذون، ويدخلون ويخرجون من البلد وأحيانًا يكونون حتّى مقيمين فترة طويلة ولا يأخذون، هذا الفارق في الذّكاء عطيّة من الله.

فلا تشقّي على البنت الّتي تدرس عندك وتعقّدينها وهي لم يعطها الله العطيّة، ولا بدّ أن نفهم هذا الشّيء جيدًا، حين تكون صعوبات التّعلم متوسطة هناك حلول سهلة جدًا، قولي لها: قبل الدّرس اسمعي قبل أن تدخلي الفصل مائة مرّة المسموع، والمائة مرّة

بالكاد ليتعدّل لسانها! لتربط بين المسموع والمنطوق، هذا حين تكون متوسّطة، أما حين تكون متقدّمة اجعليها في الفصل خير وبركة تسمع منك وتحاول تعديل لسانها، وغالبًا تحتاج جلسات خاصّة للتّعليم، لكن لا تطردوها من أماكن العلم، لا تخرجوها، لا بدّ أن تعرفوا أنّ هؤلاء لهم بركات من جهة صدقهم في المجالس، وأنتم قدّروا المسائل، وممكن هذه الّتي ترينها لا تفهم تكون فهيمة جدًا وحين تسمع شرح الآيات مباشرة تستطيع أن تكون معك وتفهم المعاني وترد، هي ليست غبيّة، أريد منكم أن تفهموا أنّ الصّعوبات ليست لها علاقة بالغباء ولا التّخلف العقليّ، التّخلف العقليّ هذا أمر أخر، الصّعوبات تكون في شيء معيّن، هو قال: (**وَيَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَسْتَعْمِلَ مَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ يُلَقِّنُهُ مَا يَصْلُحُ لِمِثْلِهِ.**): راعي قدراته، لا تضع سقفًا لفصلك أنّه واصل لهذا المستوى ومن لا يستطيع أن يصل فأحطّمه! غير صحيح، هذا نوع من التّنفير عن دين الله عزّ وجلّ.

(**وَيَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَسْتَعْمِلَ مَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ يُلَقِّنُهُ مَا يَصْلُحُ لِمِثْلِهِ. إِذَا كَانَ يَتَلَقَّنُ عَلَيْهِ الصَّغِيرُ، وَالْكَبِيرُ، وَالْحَدَثُ، وَالْغَنِيُّ، وَالْفَقِيرُ. فَيَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُوفِيَ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، وَيَعْتَقِدَ الإِنْصَافَ إِنْ كَانَ يُرِيدُ اللهَ –عزّ وجلّ– بِتَلْقِينِهِ الْقُرْآنَ.**)

لا بدّ في داخله أن يطلب الإنصاف ما استطاع إلى ذلك سبيلًا، كيف ينصف؟

(**فَلا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَرْفِقَ بِالْغَنِي، وَيَخْرِقَ عَلَى الْفَقِيرِ، فَإِنْ فَعَلَ هَذَا، فَقَدْ جَارَ فِي فِعْلِهِ، فَحُكْمُهُ أَنْ يَعْدِلَ بَيْنَهُمَا.**): كيف يخرق على الفقير؟ يشدّ عليه، يكون رفيقًا بالغني وحين يأتي عند الفقير يحاسبه حسابًا عسيرًا، يضع قانون ويقول: "أنا لا أخالف القانون" ويقول: "من لم يأتني حافظًا سأفعل به كذا وكذا" وحين يطبّق القانون يرفق بالغني ويخرق القانون مع الفقير، والّذي ينزعه لذلك أنّ هذا فقير لا يطمع في شيء منه!

(**ثُمَّ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَحْذَرَ عَلَى نَفْسِهِ التّواضع لِلْغَنِي، وَالتَّكَبُّرَ عَلَى الْفَقِيرِ، بَلْ يَكُونُ مُتَوَاضِعًا لِلْفَقِيرِ، مُقَرِّبًا لِمَجْلِسِهِ، مُتَعَطِّفًا عَلَيْهِ، يَتَحَبَّبُ إِلَى اللهِ بِذَلِكَ.**): يطلب حبّ الله بحبّه للفقراء، يتحبّب إلى الله بذلك، والآن سيشرح هذه المسألة، من بداية:

(**فَلا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَرْفِقَ بِالْغَنِي**): هذه بداية مسألة، ما هي هذه المسألة؟ علاقته بالفقير والغني في مجلسه، وسيذكر تفاصيل:

قال الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ فِي قَوْلِ اللهِ –عزّ وجلّ– {**وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ**}: (**يَكُونُ الْغَنِيُ وَالْفَقِيرُ عِنْدَكَ فِي الْعِلْمِ سَوَاء**).

كيف تشرحون وصيّة لقمان لابنه: {وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ}؟ على وجه العموم عدم التّكبر، لكن الرّبيع بن أنس فسّرها على الخصوص قال: (يَكُونُ الْغَنِيُ وَالْفَقِيرُ عِنْدَكَ فِي الْعِلْمِ سَوَاء) يعني تساوي بينهما ولا تميل إلى أحد.

(ويتأوَّلُ فِيهِ مَا أَدَّبَ اللهُ –عزّ وجلّ– بِهِ نَبِيَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.): "يتأوّل" ما معناها في هذا المكان؟ كأنّه تفسير عملي، يتأول بمعنى يفسّر فيعمل. يفسّر أيّ شيء؟! يفسّر ما أدّب الله به نبيّه –صلّى الله عليه وسلّم– الآن يكلمني عن معلّم له علاقة بالأغنياء والفقراء، فيقول له: كأنك تفهم ما خاطب الله –عزّ وجلّ– به رسوله –صلّى الله عليه وسلّم– وتفعل به، أيّ مخاطبة؟! قال: (حَيْثُ أَمَرَهُ أَنْ يُقَرِّبَ الْفُقَرَاءَ، وَلا تَعْدُ عَيْنَاهُ عَنْهُمْ، إِذْ كَانَ قَوْمٌ أَرَادِوا الدّنيا فَأَحَبُّوا مِنْ النّبِيّ –صلّى الله عليه وسلّم–أَنْ يُدْنِي مِنْهُمْ مَجْلِسَهُمْ –يحكي قصة آية الكهف: {وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدّنيا} هذا سبب نزولها– إِذْ كَانَ قَوْمٌ أَرَادِوا الدّنيا، فَأَحَبُّوا مِنْ النّبِيّ –صلّى الله عليه وسلّم– أَنْ يُدْنِي مِنْهُمْ مَجْلِسَهُمْ، وَأَنْ يَرْفَعَهُمْ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ مِنْ الْفُقَرَاءِ، فَأَجَابَهُمْ النّبِيّ –صلّى الله عليه وسلّم– إِلَى مَا سَأَلُوا، لا لأَنَّهُ أَرَادَ الدّنيا، وَلَكِنَّهُ يَتَأَلَّفُهُمْ عَلَى الإِسْلامِ، فَأَرْشَدَ اللهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ – صلّى الله عليه وسلّم– عَلَى أَشْرَفِ الأَخْلاقِ عِنْدَهُ، فَأَمَرَهُ أَنْ يُقَرِّبَ الْفُقَرَاءَ –يقول له: {وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ}– وَيَنْبَسِطَ إِلَيْهِمْ، وَيَصْبِرَ عَلَيْهِمْ، وَأَنْ يُبَاعِدَ الأَغْنِيَاءَ الّذين يَمِيلُونَ إِلَى الدّنيا –كلّ الأغنياء يبعدهم؟! لا، الّذين يميلون إلى الدّنيا– فَفَعَلَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

هذه الآية أين مكانها؟ في سورة الكهف.

ما سبب نزولها؟ أن جماعة من أهل الدّنيا من قريش أرادوا أن يخلو لهم المجلس، نذكر أوّل الآية لتتصوروا المعنى: {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الّذين يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدّنياۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُه فُرُطًا}[1] من هم الّذين اتّبعوا هواهم وكان أمرهم فرطًا؟ هؤلاء الجماعة من أرادوا من النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– أن يطرد الفقراء من مجلسهم.

(وَهَذَا أَصْلٌ يَحْتَاجُ إِلَيْهِ جَمِيعُ مَنْ جَلَسَ يُعَلِّمُ الْقُرْآنَ وَالْعِلْمَ، يتأدبُ بِهِ، وَيُلْزِمُ نَفْسَهُ ذَلِكَ، إِنْ كَانَ يُرِيدُ اللهَ تَعَالَى بِذَلِكَ.):

(1) سورة الكهف: 28.

لماذا إلى هذه الدّرجة هذا الأصل مهم؟ لأنّ غالبًا الجالسين في مجالس الطّلب هم الفقراء، ثمّ تأتي شريحة الأغنياء، فشريحة الأغنياء تصارع الفقراء في قلب المعلّم، ممكن ألّا يكون بينهم مصارعة إنّما في قلب المعلم قد تكون هناك مصارعة.

(**فَأَنَا أَذْكُرُ مَا فِيهِ، لِيَكُونَ النَّاظِرُ فِي كِتَابِنَا فَقِيهًا بِمَا يَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللهِ عزّ وجلّ، يُقْرِئُ للهِ عزّ وجلّ، وَيَقْتَضِي ثَوَابَهُ مِنَ اللهِ جَلَّتْ عَظَمَتُهُ، لا مِنْ الْمَخْلُوقِينَ.**) سيأتيك الآن السّياق واضحًا:

روي عَنْ خَبَّابِ بْنِ الأَرَتِ فِي قَوْلِ اللهِ: {وَلَا تَطْرُدِ الّذينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ} إِلَى قَوْلِهِ: {فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ} -سيحكي لنا سبب نزول هذه الآيات من سورة الأنعام- **أَنَّه قَالَ: جَاءَ الأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ التَّمِيمِيُّ وَعُيَيْنَةَ بْنُ حِصْنٍ الْفَزَارِيُّ** -هؤلاء قوم من أشراف العرب- **فَوَجَدُوا رَسُولَ اللهِ مَعَ صُهَيْبٍ وَبِلالٍ وَعَمَّارٍ وَخَبَّابٍ فِي أُنَاسٍ مِنَ الضُّعَفَاءِ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ** -الرّسول مع الفقراء والضعفاء-

فَقَالا: -الأقرع بن حابس وعيينة- **إِنَا نُرِيدُ أَنْ تَجْعَلَ لَنَا مِنْكَ مَجْلِسًا** -يريدون مجلسا خاصّا بهم- **تَعْرِفُ لَنَا بِهِ الْعَرَبُ** -من الأشراف- **نَأْتِيكَ فَنَسْتَحِيَى أَنْ تَرَانَا الْعَرَبُ مَعْ هَذِهِ الأَعْبُدِ** -يستحون أن يجلسوا فيراهم العرب مع هؤلاء الفقراء- **فَإِذَا نَحْنُ جِئْنَاكَ فَنَحِّهِمْ عَنَّا -أَوْ كَمَا قَالا-،**

-يريدون أن يبعدوهم- **فَإِذَا نَحْنُ فَرَغْنَا فَاقْعُدْ مَعَهُمْ إِنْ شِئْتَ، فَقَالَ: نَعَمْ** -لماذا قال: "نعم" ؟! هناك ذكر لنا-: (**لا لأَنَّهُ أَرَادَ الدّنيا، وَلَكِنَّهُ يَتَأَلَفُهُمْ عَلَى الإِسْلامِ فَقَالا: فَاكْتُبْ لَنَا عَلَيْكَ كِتَابًا** -يريدون كتابًا يحكم لهم أنّهم حين يأتون ينصرف الباقي- **قَالَ: فَدَعَا بِالصَّحِيفَةِ، وَدَعَا عَلِيًّا** -رضي الله عنه- **لِيَكْتُبَ، وَنَحْنُ قُعُودٌ فِي نَاحِيَةٍ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ، فَقَالَ: {وَلَا تَطْرُدِ الّذينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ} ثمّ ذَكَرَ الأَقْرَعَ وَعُيَيْنَةَ، فقَالَ: {وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ}** [1].

(1) سورة الأنعام: ٥٣.

هاتان الآيتان المتتابعتان في سورة الأنعام أوّلًا وصفت الفقراء الّذين جلسوا في مجلس النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– بعدما نهي النّبيّ صلى الله عليه وسلم: {وَلَا تَطْرُدِ الّذينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم} الآن وصفهم: {يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ} هذه صفات كمال لهم، ثمّ قال في حق الأقرع وعيينه: {وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ}؛ يعني كانت فتنة لهم من جهة الإيمان، النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– يتألفهم للإيمان لكن من يفتنه الله –عزّ وجلّ– ما لك عليه من سبيل، لا تستطيع أن تحلّ له المشكلة، كيف فُتنوا؟ أن يأتوا المجلس ويجدوا الفقراء وهم في قلوبهم كبر ولم يقبلوا، فهذه فتنة لهم، كأنّهم يقولون: هذا الدّين لا يتّبعه إلّا الفقراء ففتنوا بذلك، الله يرد عليهم يقول: {أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ} هم ماذا يقولون؟ {أَهَٰؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا} مثل من لا يستطيع أن يحصّل شيئًا فيذمّه! فكأنّهم يقولون: "مادام هؤلاء الّذين اتّبعوا إذًا ليس هذا الدّين بالّذي يحرص عليه، ولو كان هذا الدّين حقّ كيف يهديهم هم ولا يهدينا نحن!" فالله يردّ عليهم: {أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ} بلى، الله أعلم بالشّاكرين ولذا يهديهم.

ثمّ قَالَ: {وَإِذَا جَاءَكَ الّذينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ}[1] –بمعنى الّذين يؤمنون بآياتنا سواء أغنياء أو فقراء– {فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ} **قَالَ: فَدَنَوْنَا مِنْهُ حَتَّى وَضَعْنَا رُكْبَتَنَا عَلَى رُكْبَتِهِ** –من الّذي دنا؟ خبّاب وبلال وهذه الجماعة– **وَكَانَ رَسُولُ اللهِ–صلّى الله عليه وسلّم–يَجْلِسُ مَعَنَا، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ قَامَ، وَتَرَكَنَا، فَأَنْزَلَ اللهُ –عزّ وجلّ–** {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الّذينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدّنيا}[2].

هذه آية الكهف إكمالًا للموقف، الموقف الأساسي ورد في الأنعام في كونهم أرادوا أن يطردوهم ونزلت الآيات في منع ذلك، ثمّ أن النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم–كان يجلس وهم يجلسون معه، وأحيانًا كان يتركهم ويذهب للكبار، فالله أمره أن اصبر في الجلوس معهم ولا تستعجل في الخروج عنهم.

(1) سورة الأنعام: ٥٤.

(2) سورة الكهف: ٢٨.

يَقُولُ: لا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ وَتُجَالِسُ الأَشْرَافَ {**ولا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا**} **يَعْنِي عُيَيْنَةَ وَالأَقْرَعَ،** {**وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا**}[1] -عيينة والأقرع هم من وصفوا هنا أنّ الله -عزّ وجلّ- أغفل قلوبهم- **ثُمَّ ضَرَبَ لَهُمْ مَثَلَ الرَّجُلَيْنِ وَمَثَلَ الْحَيَاةِ الدّنيا، قَالَ: فَكُنَّا نَقْعُدُ مَعَ النّبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِذَا بَلَغْنَا السَّاعَةَ الّتي يَقُومُ فِيهَا قُمْنَا، وَتَرَكْنَاهُ حَتَّى يَقُومَ.**[2].

أي كان النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم-لا يتعدّاهم بالقيام، وفي السّاعة المعروفة لانتهاء المجلس، هم يقومون أوّلًا ثمّ النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- يقوم، انظري لهذا الأدب العظيم، إذًا نحن مطلوب منّا أن نفعل هذا الفعل، مطلوب منّا أن نتأوّل، فهذا معنى "نتأوّل" كلّ هذه القصّة الّتي فهمناها نحن نتأوّلها بفعلنا فنصبّر أنفسنا على تدريس الفقراء، ونصبّر أنفسنا على المساواة في المعاملة بين الفقراء والأغنياء في مجالس الطّلب.

قال: (**أَحَقُّ النّاس بِاسْتِعْمَالِ هَذَا بَعْدَ رَسُولِ اللهِ-صلّى الله عليه وسلّم-أَهْلُ الْقُرْآن** -نستعمل هذه المسألة في التّأويل- **إِذَا جَلَسُوا لِتَعْلِيمِ الْقُرْآنِ، يُرِيدُونَ بِهِ اللهَ عزّ وجلّ.**

وروي عن زَاذَان أَبِي عُمَرَ أنَّه قال: (دَخَلْتُ عَلَى ابْنِ مَسْعُودٍ فَوَجَدْتُ أَصْحَابَ الْخَزِّ وَالْيَمَنِيَّةِ قَدْ سَبَقُونِي إِلَى الْمَجْلِسِ، فَنَادَيْتُهُ: يَا عَبْدَ اللهِ؛ مِنْ أَجْلِ أَنِّي رَجُلٌ أَعْمَى أَدْنَيْتَ هَؤلاءِ وَأَقْصَيْتَنِي، فَقَالَ: ادْنُهُ، فَدَنَوْتُ، حَتَّى مَا كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ جَلِيسٌ).

(**دَخَلْتُ عَلَى ابْنِ مَسْعُودٍ**): هذا الرّجل أعمى، وضعيف فقير.

(**فَوَجَدْتُ أَصْحَابَ الْخَزِّ وَالْيَمَنِيَّةِ**): يلبسون الفاخر من الثّياب.

(**قَدْ سَبَقُونِي إِلَى الْمَجْلِسِ، فَنَادَيْتُهُ: يَا عَبْدَ اللهِ؛ مِنْ أَجْلِ أَنِّي رَجُلٌ أَعْمَى أَدْنَيْتَ هَؤلاءِ وَأَقْصَيْتَنِي، فَقَالَ: ادْنُهُ، فَدَنَوْتُ، حَتَّى مَا كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ جَلِيسٌ** -كلّ هذا "يتأوّلون"- **وَأُحِبُّ لَهُ إِذَا جَاءهُ مَنْ يُرِيدُ أَنْ يَقْرَأَ عَلَيْهِ، مِنْ صَغِيرٍ أَوْ حَدَثٍ أَوْ كَبِيرٍ؛ أَنْ يَعْتَبِرَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ، قَبْلَ أَنْ يُلَقِّنَهُ مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، يَعْتَبِرُهُ بِأَنْ يَعْرِفَ مَا مَعَهُ مِنَ الْحَمْدِ، إِلَى مِقْدَارِ رُبُعٍ، سُبُعٍ، أَوْ أَكْثَرَ**

(1) سورة الكهف: ٢٨.

(2) أخرجه ابن ماجه (3346)، وصحّحه الألبانيّ.

مِمَّا يُؤَدِّي بِهِ صَلاتَهُ، وَيَصْلُحُ أَنْ يَؤُمَّ بِهِ فِي الصَّلَوَاتِ إِذَا احْتِيجَ إِلَيْهِ، فَإِنْ كَانَ يُحْسِنُهُ، وَكَانَ تَعَلَّمَهُ فِي الْكُتَّابِ؛ أَصْلَحَ مِنْ لِسَانِهِ، وَقَوَّمَهُ، حَتَّى يَصْلُحَ أَنْ يُؤَدِّي فَرَائِضَهُ، ثمّ يَبْتَدِئُ فَيُلَقِّنُهُ مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ.

نرى الخطة الّتي وضعها: (**وَأُحِبُّ لَهُ إِذَا جَاءهُ مَنْ يُرِيدُ أَنْ يَقْرَأَ عَلَيْهِ، مِنْ صَغِيرٍ أَوْ حَدَثٍ أَوْ كَبِيرٍ؛ أَنْ يَعْتَبِرَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ** – يعمل له اختبارًا– **قَبْلَ أَنْ يُلَقِّنَهُ مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، يَعْتَبِرُهُ بِأَنْ يَعْرِفَ مَا مَعَهُ مِنَ الْحَمْدِ** –يعني الفاتحة– **إِلَى مِقْدَارِ رُبُعٍ، سُبُعٍ، أَوْ أَكْثَرَ مِمَّا يُؤَدِّي بِهِ صَلاتَهُ** –يبدأ يقرؤه من الفاتحة إلى السّبع– **وَيَصْلُحُ أَنْ يَؤُمَّ بِهِ فِي الصَّلَوَاتِ إِذَا احْتِيجَ إِلَيْهِ**) يريد أن يجهّزه للإمامة في الصّلاة فلا يدخله مباشرة على الحفظ، يبدأ يقرؤه الفاتحة ومقدار ربع أو سبع –أقل من ربع الحزب من البقرة، كأنّه يقول الجزء تقسّمه على سبعة، معناها أنّه لن يصل ولا حتى صفحة من سورة البقرة؛ لأنّه سيأخذ سبع الجزء، فسبع أو ربع على حسب حالته.

(**وَيَصْلُحُ أَنْ يَؤُمَّ بِهِ فِي الصَّلَوَاتِ إِذَا احْتِيجَ إِلَيْهِ**): ما يستطيع أن يقف به في صلاته وأيضًا لو احتيج إليه يقف يصلّي بهم.

الآن سيبدأ نتيجة الاختبار: (**فَإِنْ كَانَ يُحْسِنُهُ، وَكَانَ تَعَلَّمَهُ فِي الْكُتَّابِ** ماذا يفعل؟ **أَصْلَحَ مِنْ لِسَانِهِ، وَقَوَّمَهُ، حَتَّى يَصْلُحَ أَنْ يُؤَدِّي فَرَائِضَهُ، ثمّ يَبْتَدِئُ فَيُلَقِّنُهُ مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ.**): يعني إذا أحسن كان بها، ما أحسن، يدربه ويدرّبه إلى أن يحسن، لا يدخله هجومًا على الحفظ مباشرة.

(**وَأُحِبُّ لِمَنْ يُلَقِّنُ إِذَا قُرِئَ عَلَيْهِ أَنْ يُحْسِنَ الاستماع إِلَى مَنْ يَقْرَأُ عَلَيْهِ، وَلا يَشْتَغِلَ عَنْهُ بِحَدِيثٍ وَلا غَيْرِهِ، فَبِالْحَرِيِّ أَنْ يَنْتَفِعَ بِهِ مَنْ يَقْرَأُ عَلَيْهِ، وَكَذَا يَنْتَفِعُ هُوَ أَيْضًا** –يعني لا تتشاغل بأيّ شيء إذا كان يقرأ عليك الطّالب– **وَيَتَدَبَّرَ مَا يَسْمَعُ مِنْ غَيْرِهِ** – أنت ستستفيد وهو سيستفيد، هو ينتفع ومن يقرأ عليه ينتفع أيضًا بتدبّر ما يسمع من غيره، واتّفقنا سابقًا أنّ السّماع له منزلة في القلب ويؤثّر عليه– **وَرُبَّمَا كَانَ سَمَاعُهُ لِلْقُرْآنِ مِنْ غَيْرِهِ لَهُ فِيهِ زِيَادَةُ مَنْفَعَةٍ، وَأَجْرٌ عَظِيمٌ** –لا نركّز ونحن نسمّع لهم على الدّرجة الّتي سنعطيهم إيّاها، إنّما أركّز أنّه ممكن يحصل لي من سماع هذا الطّالب فهم عظيم، وأيضًا أجر في كوني أستمع، ثمّ آخر شيء سأضع الدّرجة سائلة الله التّسديد؛ لأنّ غالبًا الّذي يجلس يسمّع لا يقوم بالعبوديّات الواجبة عليه، هناك عبوديات واجبة، كوني أستمع هذه عبادة، كوني أبذل جهدي أن أفهم هذه عبادة، ثمّ في نهاية المسألة تأتي مسألة تقويم الطّالب.

وَيَتَأَوَّلَ قَوْلَ اللهِ –عزّ وجلّ– {وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}[1]: يعني في استماعه وصبره على الاستماع يتأوّل قول الله تعالى، يفهمه ويفعله أن استمعوا له وأنصتوا.

(**فَإِذَا لَمْ يَتَحَدَّثْ مَعَ غَيْرِهِ، وَأَنْصَتَ إِلَيْهِ أَدْرَكَتْهُ الرَّحْمَةُ مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ**): لعلّكم ترحمون، عندما تسمّع للطّالب اجعله مجلسًا من مجالس السّماع الّذي ورائه نزول الرّحمة.

(**وَكَانَ أَنْفَعَ لِلْقَارِئِ عَلَيْهِ.**): لماذا أنفع للقارئ عليه؟ لأنّك حين تسمع ستنزل الرّحمة عليك وعليه فستكون نافعًا لنفسك وللقارئ.

روي عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّه قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**اقْرَأْ عَلِيَّ**) **فَقُلْتُ: أَقْرَأُ عَلَيْكَ، وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ! قَالَ:** (**إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي**)، **قَالَ: فَافْتَتَحْتُ سُورَةَ النِّسَاءِ، فَلَمَّا بَلَغْتُ** {فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا}[2] **قَالَ: فَرَأَيْتُ عَيْنَيْهِ تَذْرِفَانِ، فَقَالَ لِي:** (**حَسْبُكَ**)[3].

هذا موقف النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– أنّه يستمع، فنحن في موقف التّسميع للطّالب نُعتبر في هذا الموقف، والمفترض من أجل أن أنفعه وأنفع نفسي أن أستمع بصورة جيّدة وأفهم وستنزل الرّحمة عليّ وعلى الطّالب، فهو موطن من مواطن نزول الرّحمة، لكنّكم تعرفون كيف يحصل التّسميع؟ يحصل بحالة من التّقصير الشّديد في الطّاعة والعبادة.

(**وَأُحِبُّ لِمَنْ كَانَ يُقْرِئُ أَنْ لا يَدْرُسَ عَلَيْهِ وَقْتَ الدَّرْسِ إِلّا وَاحِدٌ، وَلا يَكُونَ ثَانٍ مَعَهُ، فَهُوَ أَنْفَعُ لِلْجَمِيعِ، وَأَمَّا التَّلْقِينُ فَلا بَأْسَ أَنْ يُلَقِّنَ الْجَمَاعَةَ.**) نجلس جماعة ندرّس لهم كلّهم، لكن وقت التّسميع لا بدّ أن يكون كلّ واحد وحده.

---

(1) سورة الأعراف: ٢٠٤.

(2) سورة النّساء: ٤١.

(3) أخرجه البخاريّ (5050).

(**وَيَنْبَغِي لِمَنْ قُرِئَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ، فَأَخْطَأَ فِيهِ الْقَارِئُ، أَوْ غَلِطَ؛ أَنْ لا يُعَنِّفَهُ، وَأَنْ يَرْفِقَ بِهِ، وَلا يَجْفُو عَلَيْهِ، وَيَصْبِرَ عَلَيْهِ، فَإِنِّي لا آمَنُ أَنْ يَجْفُو عَلَيْهِ فَيَنْفِرَ عَنْهُ** -يجفو وينفّر الطّالب- **وَبِالْحُرِيِّ أَنْ لا يَعُودَ إِلَى الْمَسْجِدِ.**): ونصل إلى درجة خطيرة؛ أنّي أجعله لا يرجع مرّة أخرى إلى المسجد.

وروي عن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ عَنْ النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم–أنَّه قَالَ: (يَسِّرُوا وَلا تُعَسِّرُوا، وَسَكِّنُوا وَلا تُنَفِّرُوا)[1].

معناه امتثالًا لقول النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: (**يَسِّرُوا وَلا تُعَسِّرُوا، وَسَكِّنُوا وَلا تُنَفِّرُوا**) نمتثل هذا حتّى في التّدريس.

قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ، وَتَعَلَّمُوا لِلْعِلْمِ السَّكِينَةَ وَالْحِلْمَ، وَتَوَاضَعُوا لِمَنْ تُعَلِّمُونَ، وَلْيَتَوَاضَعْ لَكُمْ مَنْ تُعَلِّمُونَ، وَلا تَكُونُوا جَبَابِرَةَ الْعُلَمَاءِ، فَلا يَقُومُ عِلْمُكُمْ بِجَهْلِكِمْ). هذا كلام يحتاج إلى تفصيل، يرشد المعلّمين منذ أن بدؤوا طّلب العلم: (**تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ، وَتَعَلَّمُوا لِلْعِلْمِ السَّكِينَةَ وَالْحِلْمَ**): العلم لا يتحمّل عجول، لا بدّ أن يكون صبورا، وأيضًا العلم لا يتحمّل شخصًا فيه طيش، إنّما لا بدّ أن يحتاج إلى سكينة، والحلم معناها أنّك تصبر على ما يحصل لك أثناء العلم، العلم يحصل فيه ما يحصل من المكدّرات، أثناء الطّلب والعلم هناك مكدرات فلا بدّ أن تكون حليمًا، لا تثور ولا تكون ردود فعلك سريعة فلا نصبر على أيّ أحد ولا نكون حليمين في المواقف الّتي تدور معنا.

في المقابل عندما تصبح معلّما يقال لك: (**وَتَوَاضَعُوا لِمَنْ تُعَلِّمُونَ، وَلْيَتَوَاضَعْ لَكُمْ مَنْ تُعَلِّمُونَ**) أنت تواضع لهم وفي بداية الأمر غالبًا الطّلبة النّاضجين يأتون بخبراتهم فيكونوا في حالة من عدم التّواضع، يتمانع، يشعرك أنّه يفهم كلّ شيء، أنت تواضعي له واصبري عليه، لا تتعجّلي، هو يمارس كبره ثمّ سيستحي إن كان صالحًا للعلم، وإن كان ليس صالحًا للعلم فالله سيطرده، لا تحمل همّه، لا تقول: "هذا لا بدّ أن يخرج من فصلي" بل اصبر والله سيخرجه حين ينتهي اختبارك؛ لأنّك عندما تخرج واحدا بهذه الصّفة سيسجّل عندك اثنين آخرين بنفس الصّفة! فكن راضيًا بما قسم الله ثمّ ربّنا يخرجه إذا كان لا ينفع. وهذه نصيحة بعد 25 سنة في التّدريس: أنت حين ترفض الطّالب لصفة فيه كونك لا تصبر عليه يأتيك من هو أسوأ منه وبعدد مضاعف أيضًا، يعني تخرج واحدا يأتيك اثنين، تخرج اثنين يأتيك أربعة، أنا لا أمازحكم أنا أتكلّم عن واقع حقيقيّ في سنّة الله في التّعامل مع العبيد، لا بدّ أن تعرفوا أن

(1) أخرجه مسلم (1734).

ربّنا حين يبتليني بأحد من الطّلبة تكون هذه حالته، اصبر وتواضع له وأغمض عينيك ولا تشعر نفسك أنّك لن تستطيع أن تنجز إلّا إذا خرج هذا الطّالب، إنّما اصبر إما يؤدّبه الله، وإمّا يطرده الله، الله يعامله وأنت عليك بالصّبر والحلم.

(**وَلا تَكُونُوا جَبَابِرَةَ الْعُلَمَاءِ**) جبابرة العلماء هم القاسين، المتجبّرين، المشكلة أنّنا على طباع مختلفة، فإن كنت ترى أن طبعك غير ملائم للتّعليم لا تدخل نفسك في آثام، درّب نفسك أدّب نفسك إلى أن تستطيع أن تُعلّم، إذا كنت تجد طبعك فيه قسوة، لا تمارس هذا على الطّلاب، أحيانًا تكون عوائلنا وتربيتنا فيها شيء من القسوة، وأرى نفسي أنّي طيب! والطّلاب يروني قاسيًا، لا تصدّق نفسك؛ لأنّ أحيانًا نصدّق أنفسنا أننا طيّبون وأعدّ في السّنة كلّها أني مرّتان رضيت عن الكلام الّذي قالوه! فالطباع المختلفة والتّربية المختلفة تؤثّر جدًا، أنتم تعرفون ما الّذي يتعرّض له الشّباب، وما الأحوال الّتي حولهم فبقدر المستطاع نحن نداريهم في المعاملة، لكن في العلم والحقّ نعطيهم الحقّ كما هو، والمداراة تكون في المعاملة، أسأل الله أن يشرح صدورنا، ولا نترك أبدًا ونحن معلّمين ونحن متعلّمين: (اللهم اهدني وسدّدني).

(**فَلا يَقُومُ عِلْمُكُمْ بِجَهْلِكِمْ** –"علمكم": المعلومات الّتي تعرفونها، "جهلكم": أخلاقكم الجاهلة؛ الشّدة– **فَمَنْ كَانَتْ هَذِهِ أَخْلاقُهُ انْتَفَعَ بِهِ مَنْ يَقْرَأُ عَلَيْهِ.**) بهذا تدارسنا عنصرين:

- العنصر الأوّل: أن نتواضع لهم ونساوي بينهم.

- العنصر الثّاني: علمنا عن الطّريقة الّتي نقرأ بها إذا جاء من يريد أن يقرأ من صغير أو كبير أن نختبر كلّ واحد منهم من سورة البقرة، وقال لك وأنت جالس تسمّع لهم ماذا تفعل، فهذه الصّفة العمليّة.

- العنصر الثالث: (**ثُمَّ أَقُولَ إِنَّهُ يَنْبَغِي لِمَنْ كَانَ يُقْرِئُ الْقُرْآنَ للهِ–جَلَّتْ عَظَمَتُهُ–أَنْ يَصُونَ نَفْسَهُ عَنْ اسْتِقْضَاءِ الْحَوَائِجِ مِمَّنْ يَقْرَأُ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ، وَأَنْ لا يَسْتَخْدِمَهُ، وَلا يُكَلِّفَهُ حَاجَةً يَقُومُ فِيهَا.**

وَأَخْتَارُ لَهُ إِذَا عَرَضَتْ لَهُ حَاجَةٌ أَنْ يُكَلِّفَهَا لِمَنْ لا يَقْرَأُ عَلَيْهِ، وَأُحِبُّ لَهُ أَنْ يَصُونَ الْقُرْآنَ عَنْ أَنْ تُقْضَى لَهُ بِهِ الْحَوَائِجُ، فَإِنْ عَرَضَتْ لَهُ حَاجَةٌ سَأَلَ مَوْلاهُ الْكَرِيمَ قَضَاءَهَا، فَإِذَا ابْتَدَأَهُ أَحَدٌ مِنْ إِخْوَانِهِ مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ مِنْهُ، فَقَضَاهَا لَهُ؛ شَكَرَ اللهَ –عزّ

وجلّ– إِذْ صَانَهُ عَنْ الْمَسْأَلَةِ، وَالتَّذَلُّلِ لأَهْلِ الدّنيا، وَإِذْ سَهَّلَ لَهُ قَضَاءَهَا، ثمّ يَشْكُرُ لِمَنْ أَجْرَى ذَلِكَ عَلَى يَدَيْهِ، فَإِنَّ هَذَا وَاجِبٌ عَلَيْهِ.)

سيتكلّم الآن عن مسألة الطّلب، الطّلب عندنا فيه مشكلة كبيرة لا نعرف أنّ الطّلب يظهر فيه قوّة الإيمان وضعف الإيمان، وأذكّركم بالسّبعين ألفا الّذين يدخلون الجنّة بغير حساب، فيهم صفتهم مشتركة بعد الإيمان وقوّته: أنّهم لا يطلبون أبدًا إلّا من الله، حتّى الرّقية لا يطلبونها من أحد، هذه الصّفة المهمة، فهو أتى إلى هذا ويقول: أنت قارئ للقرآن فأنت أشدّ النّاس حاجة أن لا تطلب حاجاتك، وهذا الكلام تخرج منه الحقوق، فالمرأة لها أن تطلب من زوجها مصروف البيت لأنّه حقّ، مثلًا مدير يطلب من عمّاله عملهم الواجب عليهم هذا ليس طلبًا، إذًا كلّ ما فيه حقوق لا يدخل تحت الطّلب، نحن سنتكلّم عن غير ذلك، انظري نحن في الفصل مثلًا وأريد أن أفتح مكيّف الفصل، أنت المعلّمة قومي بنفسك لا تقولي له: "قم افتح المكيّف" لا تستخدميه حتّى في هذه المسائل الصّغيرة، لا تخرجيه من الفصل وتقولي: "اذهب هات لي من غرفة المعلّمات دفتري" يعني من صغير إلى كبير، شيء في داخل التّعليم شيء في خارج التّعليم أبدًا، لا بدّ أن يكون من أوّائل المسائل الّتي نفكر فيها، هو يقول هذا الكلام: (**وأَخْتَارُ لَهُ إِذَا عَرَضَتْ لَهُ حَاجَةٌ أَنْ يُكَلِّفَهَا لِمَنْ لا يَقْرَأُ عَلَيْهِ وَأُحِبُّ لَهُ أَنْ يَصُونَ الْقُرْآنَ عَنْ أَنْ تُقْضَي لَهُ بِهِ الْحَوَائِجُ**)

سيُعلِّمنا إذا عرضت له حاجة ماذا يفعل: (**فَإِنْ عَرَضَتْ لَهُ حَاجَةٌ سَأَلَ مَوْلاهُ الْكَرِيْمَ قَضَاءَهَا**): يسأل ربّنا؛ ولذا قد ورد عن الصّحابة أنّهم يسألون حتى الملح، والنّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– عاهد أصحابه في بيعة العقبة على ألّا يسألوا النّاس شيئًا، وجعلت هذه المعاهدة الصّحابة يكون الرّجل منهم على ناقته فيقع خطام ناقته –الحبل– في الأرض فلا يطلب أحدًا أن يعطيه إيّاه، إنّما ينزل بنفسه من النّاقة وأنتم متصورون كيف أنّ النّزول والطّلوع إلى النّاقة ليس بالشّيء اليسير، فينزل من الناقة ليأخذ خطام ناقته مع أنّ السّائر ممكن أن يعطيه خطام ناقته لكنّهم لا يسألون النّاس شيئًا أبدًا، فكان هؤلاء أصحاب بيعة العقبة نموذجًا لعدم الطّلب من النّاس، ونحن كلّ من يمرّ أمامنا مرورا نعطيه كمًّا من الطّلبات لينفّذها!

نعد ماذا قال:

الأولى: (**فَإِنْ عَرَضَتْ لَهُ حَاجَةٌ سَأَلَ مَوْلاهُ الْكَرِيْمَ قَضَاءَهَا**).

الثانية: (**فَإِذَا ابْتَدَأَهُ أَحَدٌ مِنْ إِخْوَانِهِ مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ مِنْهُ، فَقَضَاهَا لَهُ**).

الحمد لله لا يمنعه، لكن لا أجلس أمامه وألمّح له إلى أن يطلب منّي! لا، أنا أطلب الله وإذا سخّر لي أحد فالحمد لله، ماذا يفعل لو حصل؟

(**شَكَرَ اللهَ –عزّ وجلّ– إِذْ صَانَهُ عَنْ الْمَسْأَلَةِ، وَالتَّذَلُّلِ لأَهْلِ الدّنيا، وَإِذْ سَهَّلَ لَهُ قَضَاءَهَا، ثمّ يَشْكُرُ لِمَنْ أَجْرَى ذَلِكَ عَلَى يَدَيْهِ، فَإِنَّ هَذَا وَاجِبٌ عَلَيْهِ.**)

يعني في الأصل لا تسأل النّاس، إذا ربّنا يسر وعرض عليك أحد فلا بأس، لا تمتنعي لأنّ هذا من تسهيل الله عزّ وجلّ.

وهذا كلّه يصون المعلّم، ونحن لا بدّ أن نصون أعراضنا من أن تتعرّض للنّاس، سينقل لي ما رُويه في هذا الباب:

(**وَقَدْ رُوِيَتْ فِيمَا ذَكَرْتُ أَخْبَارٌ تَدُلُّ عَلَى مَا قُلْتُ، وَأَنَا أَذْكُرُهَا لِيَزْدَادَ النَّاظِرُ فِي كِتَابِنَا بَصِيرَةً إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى.**

روي عن الْحَسَنُ بْنُ الرَّبِيعِ الْبُورَانِيُّ أَنَّه قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ عَبْدِ اللهِ بْنِ إِدْرِيسَ، فَلَمَّا قُمْتُ، قَالَ لِي: سَلْ عَنْ سِعْرِ الأُشْنَانِ [1]**، فَلَمَّا مَشِيْتُ رَدَّنِي، فَقَالَ: لا تَسِلْ، فَإِنَّكَ تَكْتُبُ مِنِّي الْحَدِيثَ، وَأَنَا أَكْرَهُ أَنْ أَسْأَلَ مَنْ يَسْمَعُ مِنِّي الْحَدِيثَ حَاجَةً**)[2].

هذا الحسن بن الرّبيع قال: (**كُنْتُ عِنْدَ عَبْدِ اللهِ بْنِ إِدْرِيسَ، فَلَمَّا قُمْتُ**) قام من عنده خارجًا للسّوق (**قَالَ لِي: سَلْ عَنْ سِعْرِ الأُشْنَانِ**) فقط يسأل عن سعر الأُشنان –نبات يستخدم في الغسيل– (**فَلَمَّا مَشِيْتُ**) لما مشى ذاهبًا للسّوق (**رَدَّنِي، فَقَالَ: لا تَسِلْ، لم لا يسأل؟ فَإِنَّكَ تَكْتُبُ مِنِّي الْحَدِيثَ، وَأَنَا أَكْرَهُ أَنْ أَسْأَلَ مَنْ يَسْمَعُ مِنِّي الْحَدِيثَ حَاجَةً**) يعني أنت تكتب منّي الحديث، وأريد أن تكتب منّي الحديث لله خالصًا، لا أريد أن أسألك حاجة تأتيني بها، وهو فقط سيسأل عن السّعر، لن يبيع ولا يشتري ولا أيّ شيء.

---

(1) الأُشْنَانُ: فَارِسِيٌّ مُعَرَّبٌ، وَهُوَ فِي الْعَرَبِيَّةِ الْحُرْضُ أَوْ الْغَسُولُ الّذي تُغْسَلُ بِهِ الثِّيَابُ.

قَالَ الأَزْهَرِيُّ: شَجَرُ الأُشْنَانِ يُقَالُ لَهُ: الْحُرْضُ، وَهُوَ مِنْ الْحَمْضِ، وَمِنْهُ يُسَوَّى الْقِلْيُ الّذي تُغْسَلُ بِهِ الثِّيَابُ، وَيُحْرَقُ الْحَمْضُ رَطْبًا، ثمّ يُرَشُّ الْمَاءُ عَلَى رَمَادِهِ، فَيَنْعَقِدُ وَيَصِيرُ قِلْيًا.

(2) إسناده حسن.

قَالَ خَلَفُ بْنُ تَمِيمٍ: مَاتَ أَبِي وَعَلَيْهِ دَيْنٌ، فَأَتَيْتُ حَمْزَةَ الزَّيَّاتَ، فَسَأَلْتُهُ أَنْ يُكَلِّمَ صَاحِبَ الدَّيْنِ أَنْ يَضَعَ عَنْ أَبِي مِنْ دَيْنِهِ شَيْئًا، فَقَالَ لِي حَمْزَةُ رَحِمَهُ اللهُ: (وَيْحَكَ؛ إِنَّهُ يَقْرَأُ عَلِيَّ الْقُرْآنَ، وَأَنَا أَكْرَهُ أَنْ أَشْرَبَ مِنْ بَيْتِ مَنْ يَقْرَأُ عَلِيَّ الْقُرْآنَ الْمَاءَ)[1].

المعلّم يكره أن يشرب عند طالبه شربة ماء –هذا الوضع يختلف إذا ربطت المعلّم والطّالب علاقة شخصيّة– من أجل أن لا يكون له منّة عليه، المنّة لأهل القرآن، يحفظون أعراضهم من الطّلب من النّاس.

(وَرُوِيَ عن الْفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ أنَّه قال: يَنْبَغِي لِحَامِلِ الْقُرْآنِ أَنْ لا تَكُونَ لَهُ حَاجَةٌإلَى أَحَدٍ مِنْ النَّاسِ، إِلَى الْخَلِيفَةِ فَمَنْ دُونَهَ، وَيَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ حَوَائِجُ الْخَلْقِ إِلَيْهِ[2].

روي عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللهِ تَعَالَى، لا يَتَعَلَّمُهُ إِلّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنْ الدّنيا، لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الجنّة يَوْمَ الْقِيَامَةِ)[3].

كلّ هذا لأنّنا نخاف من هذا الحديث: **(مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللهِ تَعَالَى)** طبعًا ليس هناك أعظم من القرآن **(لا يَتَعَلَّمُهُ إِلّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنْ الدّنيا)** يعني من أجل أن يتاجر به في الدّنيا **(لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الجنّة يَوْمَ الْقِيَامَةِ)** لا يشمّ ريحها يعني لا يدخلها، وهو نوع من أنواع الشّرك، يسمّى شرك النّيّة والإرادة والقصد، يكون مُنطَلَق تعلّمه من أجل الدّنيا.

(قَالَ عَبْدُ اللهِ بنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ صَانُوا الْعِلْمَ، وَوَضَعُوهُ عِنْدَ أَهْلِهِ، سَادُوا بِهِ أَهْلَ زَمَانِهِمْ، وَلَكِنَّهُمْ بَذَلُوهُ لأَهْلِ الدّنيا لِيَنَالُوا بِهِ مِنْ دُنْيَاهُمْ، فَهَانُوا عَلَى أَهْلِهَا).

(لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ صَانُوا الْعِلْمَ) يعني وما عرضوه للنّاس **(وَوَضَعُوهُ عِنْدَ أَهْلِهِ)** يعني مَن يريدون العلم **(سَادُوا بِهِ أَهْلَ زَمَانِهِمْ، وَلَكِنَّهُمْ بَذَلُوهُ لأَهْلِ الدّنيا لِيَنَالُوا بِهِ مِنْ دُنْيَاهُمْ، فَهَانُوا عَلَى أَهْلِهَا)**.

---

(1) إسناده حسن.

(2) سبق تخريجه.

(3) أخرجه ابن ماجه (252)، وصحّحه الألبانيّ.

سَمِعْتُ نَبِيَّكُمْ –صلّى الله عليه وسلّم– يَقُولُ: (مَنْ جَعَلَ الْهَمَّ هَمًّا وَاحِدًا؛ هَمَّ آخِرَتِهِ، كَفَاهُ اللهُ –عزّ وجلّ– هَمَّ دُنْيَاهُ، وَمَنْ تَشَعَّبَتْ بِهِ الْهُمُومُ فِي أَحْوَالِ الدّنيا، لَمْ يُبَالِ اللهُ تعالَى فِي أَيِّ أَوْدِيَتِهَا هَلَكَ)[1].

إذا كان همّك الآخرة، إذا كنت تعلّمهم من أجل رضا الله عزّ وجلّ، فالله سيكفيك الدّنيا، أمّا إذا تشعّبت بك الهموم من أحوال الدّنيا فلن يبالي الله تعالى في أيّ أوديتها هلكت.

روي عن عِيسَى بْنُ عُمَرَ النَّحْوِيُّ أنَّه قَالَ: (أَقْبَلْتُ حَتَّى أَقَمْتُ عِنْدَ الْحَسَنِ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: قُرَّاءُ هَذَا الْقُرْآنِ ثَلاثَةُ رِجَالٍ: فَرَجُلٌ قَرَأَهُ فَاتَّخَذَهُ بِضَاعَةً، وَنَقَلَهُ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ، وَرَجُلٌ قَرَأَهُ، فَأَقَامَ عَلَى حُرُوفِهِ، وَضَيَّعَ حُدُودَهُ، يَقُولُ: إِنِّي وَاللهِ لا أُسْقِطُ مِنْ الْقُرْآنِ حَرْفًا، كَثَّرَ اللهُ بِهِمْ الْقُبُورَ، وَأَخْلَى مِنْهُمْ الدُّورَ، فَوَاللهِ لَهُمْ أَشَدُّ كِبْرًا مِنْ صَاحِبِ السَّرِيرِ عَلَى سَرِيرِهِ، وَمِنْ صَاحِبِ الْمِنْبَرِ عَلَى مِنْبَرِهِ، وَرَجُلٌ قَرَأَهُ، فَأَسْهَرَ لَيْلَهُ، وَأَظْمَأَ نَهَارَهُ، وَمَنَعَ بِهِ شَهْوَتَهُ، فَجَثَوْا فِي بَرَانِسِهِمْ، وَرَكَدُوا فِي مَحَارِيبِهِمْ، بِهِمْ يَنْفِي اللهُ –عزّ وجلّ– عَنَّا الْعَدَوَّ، وَبِهِمْ يَسْقِينَا اللهُ تعالَى الْغَيْثَ، وَهَذَا الضَّرْبُ مِنْ أَهْلِ الْقُرْآنِ أَعَزُّ مِنَ الْكِبْرِيتِ الأَحْمَرِ).

(قُرَّاءُ هَذَا الْقُرْآنِ ثَلاثَةُ رِجَالٍ:

- **(فَرَجُلٌ قَرَأَهُ فَاتَّخَذَهُ بِضَاعَةً، وَنَقَلَهُ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ)** هذا يتأكّل به.

- **(وَرَجُلٌ قَرَأَهُ، فَأَقَامَ عَلَى حُرُوفِهِ، وَضَيَّعَ حُدُودَهُ، يَقُولُ: إِنِّي وَاللهِ لا أُسْقِطُ مِنْ الْقُرْآنِ حَرْفًا)** هذا المنافق.

ثم يدعو عليهم يقول:(**كَثَّرَ اللهُ بِهِمْ الْقُبُورَ، وَأَخْلَى مِنْهُمْ الدُّورَ)** أيّ يخلّص البلد منهم **(فَوَاللهِ لَهُمْ أَشَدُّ كِبْرًا مِنْ صَاحِبِ السَّرِيرِ عَلَى سَرِيرِهِ)** يقصد الملوك **(وَمِنْ صَاحِبِ الْمِنْبَرِ عَلَى مِنْبَرِهِ)** الخطباء والفصحاء والشّعراء، يقصد أنّ هؤلاء يتكبّرون لأنّهم أهل الدّنيا –والمفترض أن يكونوا متواضعين– لكن هذان النّوعين فيهم كبر أكثر من ذلك، أخسّ من هؤلاء.

(1) أخرجه ابن ماجه (257،4106)، حسّنه الألبانيّ.

- (**وَرَجُلٌ قَرَأَهُ، فَأَسْهَرَ لَيْلَهُ، وَأَظْمَأَ نَهَارَهُ، وَمَنَعَ بِهِ شَهْوَتَهُ**) معناه أنّه انفعل به، صام النّهار، سهر اللّيل قيام (**فَجَثَوْا فِي بَرَانِسِهِمْ، وَرَكَدُوا فِي مَحَارِيبِهِمْ**) هؤلاء خرجوا منكسرين.

انظري لبركتهم على البلاد والعباد (**بِهِمْ يَنْفِي اللهُ –عزّ وجلّ– عَنَّا الْعَدَوَّ**) بكونهم طائعين (**وَبِهِمْ يَسْقِينَا اللهُ تعالَى الْغَيْثَ، وَهَذَا الضَّرْبُ مِنْ أَهْلِ الْقُرْآنِ أَعَزُّ مِنَ الْكِبْرِيتِ الأَحْمَرِ**).

من أجل ذلك، الأحوال الّتي نعيش فيها في العالم الإسلاميّ تحتاج إلى مراجعة من هذا الجزء، وحين يعتصر قلب أحدنا على المسلمين في كلّ مكان فليعلم أنّه من مكانه يستطيع أن يدفع عنّا العدو، أخاطب بالذّات معلمي القرآن، معكم سلاح عظيم لو كنتم تفقهون، الله –عزّ وجلّ– بهؤلاء المعلّمين الصادقين المخلصين الّذين يريدون وجهه ولا يريدون الدّنيا ويسهرون ليلهم ويظمئون نهارهم بهؤلاء يدفع الله –عزّ وجلّ– العدو، فهم أشدّ من السّلاح بل هم حقًا سلاح الأمة، والأمة لا تعاني إلّا من وجود الصّنفين، والصّنف الثالث كالكبريت الأحمر لا نجده.

نسأل الله –عزّ وجلّ– أن يرزقنا الإخلاص والتوبة والعودة، وليكن مشروعنا أن ننقّي أنفسنا ونطهّرها ونتعلّم التّوحيد، وتبقى قلوبنا مشتغلة بأن نكون في الأرض عبادًا لا يطلبون إلّا وجه الله، لا يذهبون لا يمينًا ولا يسارًا، لا تطلب إلّا وجه الله.

قال: (**الأَخْبَارُ فِي هَذَا الْمَعْنَى كَثِيرَةٌ، وَمُرَادِي مِنْ هَذَا نَصِيحَةٌ لأَهْلِ الْقُرْآنِ، لِئَلا يَبْطُلَ سَعِيُهُمْ، إِنْ هُمْ طَلَبُوا بِهِ شَرَفَ الدّنيا حُرِمُوا شَرَفَ الآخِرَةِ**)

جزاه الله خيرًا، كتب هذا كلّه وقيّده لئلا يبطل سعي معلمي القرآن إن هم طلبوا به شرف الدّنيا، حرموا شرف الآخرة، لكنّي أسألكم سؤالًا: لماذا مثل هذا الكتاب لا يكون مقرّرا على الطّلاب والمعلّمين قبل أن يَدرسوا هؤلاء وقبل أن يُدرّسوا لهؤلاء؟! المفترض أن يكون هذا الكتاب من أول المناهج؛ ليعرفوا أخلاقهم وأخلاق من ضدّهم، والاسم واضح: (أخلاق حملة القرآن)، فهذا ممّا ننصح به.

قال: (**إِذْ بَذَلُوهُ لأَهْلِ الدّنيا طَمَعًا فِي دُنْيَاهُمْ، أَعَاذَ اللهُ حَمَلَةَ الْقُرْآنِ مِنْ ذَلِكَ.**

فَيَنْبَغِي لِمَنْ جَلَسَ يُقْرِئُ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَتَأَدَّبَ بِأَدَبِ الْقُرْآنِ، يَقْتَضِي ثَوَابَهُ مِنْ اللهِ تعالَى، يَسْتَغْنِي بِالْقُرْآنِ عَنْ كُلِّ أَحَدٍ مِنْ الْخَلْقِ، مُتَوَاضِعٌ فِي نَفْسِهِ لِيَكُونَ رَفِيعًا عِنْدَ اللهِ جَلَّتْ عَظَمَتُهُ.

ما أحسن نصيحته جزاه الله خيرا!

ننتقل إلى الباب الّذي بعده:

بَابُ: ذِكْرِ أَخْلاقِ مَنْ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ عَلَى الْمُقْرِئِ

الكلام الآن عن الطالب:

(مَنْ كَانَ يَقْرَأُ عَلَى غَيْرِهِ، وَيَتَلَقَّنُ، فَيَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُحْسِنَ الأَدَبَ فِي جُلُوسِهِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَيَتَوَاضَعُ فِي جُلُوسِهِ، وَيَكُونُ مُقْبِلًا عَلَيْهِ، فَإِنْ ضَجِرَ عَلَيْهِ احْتَمَلَهُ -إن ضجر المعلّم- **وَإِنْ زَجَرَهُ احْتَمَلَهُ، وَرَفِقَ بِهِ، وَاعْتَقَدَ لَهُ الْهَيْبَةَ، وَالاسْتِحِيَاءَ مِنْهُ.**

وَأُحِبُّ أَنْ يَتَلَقَّنَ مَا يَعْلَمُ أَنَّهُ يَضْبِطُهُ، هُوَ أَعْلَمُ بِنَفْسِهِ، إِنْ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لا يَحْتَمِلُ فِي التَّلْقِينِ أَكْثَرَ مِنْ خَمْسٍ خَمْسٍ، فَلا يَنْبَغِي أَنْ يَسْأَلَ الزِّيَادَةَ، وَإِنْ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لا يَحْتَمِلُ أَنْ يَتَلَقَّنَ إِلّا ثَلاثَ آيَاتٍ، لَمْ يَسْأَلْ أَنْ يُلَقِّنَهُ خَمْسًا، فَإِنْ لَقَّنَهُ الأُسْتَاذُ ثَلاثًا لَمْ يَزِدْهُ عَلَيْهَا، وَإِنْ عَلِمَ هُوَ مِنْ نَفْسِهِ أَنْ يَحْتَمِلَ خَمْسًا سَأَلَهُ أَنْ يَزِيدَهُ عَلَى أَرْفَقَ مَا يَكُونُ، فَإِنْ أَبَى لَمْ يُؤْذِهِ بِالطَّلَبِ، وَصَبَرَ عَلَى مُرَادِ الأُسْتَاذِ مِنْهُ.)

المقصود هنا خطّة الدّراسة، المفترض أن يقول الطّالب: "أنا أحتمل كذا" فيقرؤه المعلّم على حسب قدرته، ثلاثة فثلاثة أو خمسة فخمسة، لكن إن حصل اختلاف في وجهات النظر؛ أنا الطّالب أحتمل خمسة والمعلّم لا يرضى إلّا أن يدرّسني ثلاثة آيات ماذا أفعل؟ أطيعه ولا أؤذيه بالطّلب وأصبر على مراد الأستاذ منّي.

(فَإِنَّهُ إِذَا فَعَلَ ذَلِكَ كَانَ هَذَا الْفِعْلُ مِنْهُ دَاعِيَةً لِلزِّيَادَةِ مِمَّنْ يُلَقِّنُهُ إِنْ شَاءَ اللهُ.): إذا التزم بما يقول شيخه هذا سيدعو إلى الزّيادة بإذن الله، بركة الطّاعة، بركة الطّاعة مختفية في تعاملنا، أظنّ أن رأيي لا بدّ أن يكون ولا أفهم أنّ هناك شيء اسمه "بركة الطّاعة" أنّك

تطيع حتّى لو كان الأمر مخالف لرأيك ستأتيك البركة، وبركة الطّاعة مفقودة حتّى في بيوتنا، فترى المرأة أن رأيها أصحّ من رأي الزّوج ولا تعرف أنّ الطّاعة لها بركة؛ بمعنى ليس المقصود في الحياة الزّوجية فقط صحّة الرّأي إنّما المقصود أنّ طاعة الزّوجة للزوج تحصل من ورائها بركة، قد يكون رأيها صحيح لكن لأنّها عصت وخالفت تنزع البركة من رأيها.

(**وَلا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُضْجِرَ مَنْ يُلَقِّنُهُ فَيَزْهَدَ فِيهِ**): يضجره بكثرة الأسئلة، يضجره بكثرة التّعليق، يتصرّف تصرّفًا لا يليق.

(**وَإِذَا لَقَّنَهُ شَكَرَ لَهُ ذَلِكَ، وَدَعَا لَهُ، وَعَظَّمَ قَدْرَهُ. وَلا يَجْفُو عَلَيْهِ إِنْ جَفَا عَلَيْهِ، وَيُكْرِمُ مَنْ يُلَقِّنُهُ إِذَا كَانَ هُوَ يُكْرِمُهُ، وَتَسْتَحِي مِنْهُ إِنْ كَانَ هُوَ لَمْ يَسْتَحِ مِنْكَ. تُلْزِمُ أَنْتَ نَفْسَكَ وَاجِبَ حَقِّهِ عَلَيْكَ، فَبِالْحَرِيِّ أَنْ يَعْرِفَ حَقَّكَ؛ لأن أَهْلَ الْقُرْآنِ أَهْلُ خَيْرٍ وَتَيَقُّظٍ وَأَدَبٍ، يَعْرِفُونَ الْحَقَّ عَلَى أَنْفُسِهِمْ.**): قد نجلس لأحد هو أصغر منّا أو في سنّنا نتعلّم منه، فنكرمه إن كان يكرمنا، وإذا لم يكن يكرمنا هل نسيء الأدب؟! لا، وإن تطاول عليك فعليك أن تغضّ الطّرف، تستحي منه، كن مؤدّبًا.

(**تُلْزِمُ أَنْتَ نَفْسَكَ وَاجِبَ حَقِّهِ عَلَيْكَ، فَبِالْحَرِيِّ أَنْ يَعْرِفَ حَقَّكَ.**): إن أساء أنت تتأدّب؛ فيعرف حقّك ونصل إلى المقصود.

(**فَإِنْ غَفَلَ عَنْ وَاجِبِ حَقِّكَ، فَلا تَغْفَلْ أَنْتَ عَنْ وَاجِبِ حَقِّهِ**): هو ممكن أن يغفل، لا يقصد، فأنت لا تغفل عن حقّه.

(**فَإِنَّ اللهَ –عزّ وجلّ– قَدْ أَمَرَكَ أَنْ تَعْرِفَ حَقَّ الْعَالِمِ، وَأَمَرَكَ بِطَاعَةِ الْعُلَمَاءِ، وَكَذَا أَمَرَ الرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.**): هذا كلّه من الأدب لأنّك تعرف أنّ هؤلاء العلماء لهم حقّهم.

رُوِي عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ أنه قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليهِ وَسَلَّمَ: (**لَيْسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ لَمْ يُجِلَّ كَبِيرَنَا، وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيَعْرِفْ لِعَالِمِنَا**)[1] **قَالَ أَحْمَدُ يَعْنِي: يَعْرِفُ حَقَّهُ.**

(**ويعرف لعالمنا**): يعني يعرف حقّه، فلا يصل إلى أن يضجره معلّمه، وعلى الطّالب أن يقبل طبع المعلّم، المشكلة أنّ الطّلاب لا يراعون أنّ المعلّمين لهم طباع، كما أنّ لهم هم طباع فأنت لا تضجره في طبعه وتتصرّف بما لا يليق، إنّما تحسّس طبعه وتأدّب معه.

(1) صحيح الترغيب.

روي عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ أنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليهِ وَسَلَّمَ: (اللَّهُمَّ لا يُدْرِكْنِي زَمَانٌ، وَلا أُدْرِكُهُ لا يُتْبَعُ فِيهِ الْعَالِمُ، وَلا يُسْتَحَى فِيهِ مِنْ الْحَلِيمِ، قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الأَعَاجِمِ، وَأَلْسِنَتُهُمْ أَلْسِنَةُ الْعَرَبِ)[1].

الرّسول –صلّى الله عليه وسلّم– يتعوّذ من هذا الزّمان الّذي لا يُتْبع فيه العالم ولا يُستحى فيه من الحليم، "لا يُتبع فيه العالم" بمعنى أنّهم يضعون العالم ويتطاولون عليه، يشعرون بمتعة وهم يتطاولون، هذا زماننا!

(عَنْ أَبِي سَلَمَةَ قَالَ: لَوْ رَفَقْتُ بِابْنِ عَبَّاسٍ لأَصَبْتُ مِنْهُ عِلْمًا) [2]: أبو سلمة طالب علم، لكنّه ما صبر على معلّمه هل ابن عباس يحتاج أن يُصبر عليه؟! نعم يحتاج لأنّ كلّ إنسان له طباعه، هو ليست طباعه سيّئة لكن طبعك مخالف لطبعه.

سأضرب مثالًا في الواقع، يكون المعلّم أُفقه واسع وتفكيره عميق، لكن لا يحب الإغلاق، يمضي في الدّرس، وحين يأتي في النّهاية، تكون هناك نقاط كثيرة معلّقة، لا يغلق النّقاط وتبقى معلّقة، وأنت عقلك يحتاج إلى إغلاق النّقاط –وهذا نوع من النّاس– لابد أن تغلقي النّقاط أو تبقين ضائعة، ولا تسمحين إلى أي نقطة أن تبقى مفتوحة، اصبروا وسنزيد ونفهم، لا تقبلي، فتشعري أنّ هذا أمر لا يشبع حاجتك، وأنّه معلّم لا يشبع حاجتك، فتتركيه؛ لأنّ طبعك يخالف طبعه حتّى في العمليّة التّعليميّة، هو ليس سيّء الأخلاق، لا، لكن حتّى في العمليّة التّعليميّة نفسها هناك طباع عند النّاس مختلفة.

ولذلك هذا يسبّب في كثير من الأحيان حين يأتي أحد من الطّلبة يشتكي الإدارة، الإدارة دائمًا تصدّق الطّالب الّذي يشتكي، ولا تتصوّر أنّ المعلّم له طبيعته الخاصّة حتّى في عملية التّعليم.

فأبو سلمة يقول: لو رفقت بابن عبّاس، وجلست مجلسه وصبرت عليه كما ينبغي، وقبلت طريقته في التّعليم لكنت أصبت منه علمًا، فمن أجل ذلك هذه مسألة يجب أن تراعى في التّفكير أنّه لن يأتي معلّمًا يوافق هواك، إنّما هو له طريقته وعليك أن تقبلها، ولا تأت تقول: "حضرت عند أحد غيره وسمعته ولم يكن هكذا" هذا ليس موضوعك، هذا عنده علم تريد أن تأخذ منه خذ، لا تريد الله يسهّل لك، كثيرًا ما يندم الطّلبة لأنّ هؤلاء العلماء قد يكونون غير متوافرين بعد ذلك.

---

(1) أخرجه أحمد (340/5).

(2) أخرجه الدارميّ (412،568).

قال مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ (أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ) [1]: (الْفُقَهَاءُ وَالْعُلَمَاءُ).

(ثُمَّ يَنْبَغِي لِمَنْ لَقَّنَهُ الأُسْتَاذُ أَنْ لا يُجَاوِزَ مَا لَقَّنَهُ، إِذَا كَانَ مِمَّنْ قَدْ أَحَبَّ أَنْ يَتَلَقَّنَ عَلَيْهِ. وَإِذَا جَلَسَ بَيْنَ يَدَيْ غَيْرِهِ لَمْ يَتَلَقَّنْ مِنْهُ إِلّا مَا لَقَّنَهُ الأُسْتَاذُ؛ أَعْنِي بِحَرْفٍ غَيْرِ الْحَرْفِ الّذي تَلَقَّنَهُ مِنْ الأُسْتَاذِ، فَإِنَّهُ أَعْوَدُ عَلَيْهُ وَأَصَحُّ لِقِرَاءَتِهِ): يتكلّم الآن عن القراءات، أنت قرأت على حرف ابقَ متمسّكًا بالحرف، ولا تقرأ على قراءة أخرى، بعدما تنتهي هذا كلام آخر، لكن نحن في أثناء القراءة كأنّه يقول: لا تجمع بين حرفين في القراءة.

وَقَدْ قَالَ النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– (اقْرَأُوا كَمَا عَلِمْتُمْ)[2].

روي عَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود أنه قَالَ: أَقْرَأَنِي رَسُولُ اللهِ –صلّى الله عليه وسلّم– سُورَةً، فَدَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَقُلْتُ: أَفِيكُمْ مَنْ يَقْرَأُ؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الْقَوْمِ: أَنَا، فَقَرَأَ السُّورَةَ الّتي أَقْرَأَنِيهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، فَإِذَا هُوَ يَقْرَأُهَا خِلافَ مَا أَقْرَأَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، فَانْطَلَقْنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ؛ اخْتَلَفْنَا فِي قِرَاءَتِهَا، فَتَغَيَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، فَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ –صلّى الله عليه وسلّم– يَقُولُ: (إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِالاخْتِلافِ فَلْيَقْرَأْ كُلُّ امْرِئٍ مِنْكُمْ مَا أُقْرِئَ).

كره الرّسول الاختلاف، أنت قرأت على هذا الحرف انتهينا، هو قرأ على هذا الحرف انتهينا، خصوصًا أنّ في الشّرق وفي الغرب هناك اختلاف في القراءة.

(مَنْ قَنِعَ بِتَلْقِينِ الأُسْتَاذِ وَلَمْ يُجَاوِزْهُ، فَبِالْحَرِيّ أَنْ يُوَاظِبَ عَلَيْهِ، وَأَحَبَّ ذَلِكَ مِنْهُ، وَإِذَا رَآهُ قَدْ تَلَقَّنَ مَا لَمْ يُلَقِّنْهُ زَهِدَ فِي تَلْقِينِهِ، وَثَقُلَ عَلَيْهِ، وَلَمْ تُحْمَدْ عَوَاقِبُهُ.): يأتي عند الأستاذ يجده يقرأ شيئًا لم يلقّنه إيّاه فسيأخذ منه موقفًا، ويزهد فيه، إذًا عندك من يعلّمك الله يسهّل لك.

---

(1) سورة النّساء: ٥٩.

(2) أخرجه أحمد (146/2)، وصحّحه الألبانيّ.

(**وَأُحِبُّ لَهُ إِذَا قَرَأَ عَلَيْهِ أَنْ لا يَقْطَعَ حَتَّى يَكُونَ الأُسْتَاذُ هُوَ الّذي يَقْطَعُ عَلَيْهِ، فَإِنْ بَدَتْ لَهُ حَاجَةٌ، وَقَدْ كَانَ الأُسْتَاذُ مُرَادُهُ أَنْ يَأْخُذَ عَلَيْهِ مِئَةَ آيَةٍ، فَاخْتَارَ هُوَ أَنْ يَقْطَعَ الْقِرَاءَةَ فِي خَمْسِينَ آيَةٍ، فَلْيُخْبِرْهُ قَبْلَ ذَلِكَ بِعُذْرِهِ، حَتَّى يَكُونَ الأُسْتَاذُ هُوَ الّذي يَقْطَعُ عَلَيْهِ.**): من سوء الأدب أن يكون المعلّم مقبلًا على الطّالب، وبدأ يُقرؤه أو يعلّمه وفي وسط اللّقاء يقول الطّالب للمعلّم: "معذرة مشغول عندي ما أعمله" هذا سوء أدب، هذا من الأسباب الّتي تزهّد المعلّم في الطّالب، لو كان عندك عذر قل له من قبل من أجل أن يستوعب فيبدأ هو بالقطع.

(**وَيَنْبَغِي أَنْ يُقْبِلَ عَلَى مَنْ يُلَقِّنُهُ أَوْ يَأْخُذُ عَلَيْهِ، وَلا يُقْبِلُ عَلَى غَيْرِهِ، فَإِنْ شُغِلَ الأُسْتَاذُ عَنْهُ بِكَلامٍ لا بدّ لَهُ–فِي الْوَقْتِ مِنْ كَلامِهِ–قَطَعَ الْقِرَاءَةَ حَتَّى يَعُودَ إِلَى الاستماع إِلَيْهِ.**

وَأُحِبُّ لَهُ إِذَا انْقَضَتْ قِرَاءَتُهُ عَلَى الأُسْتَاذِ، وَكَانَ فِي الْمَسْجِدِ، فَإِنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْصَرِفَ انْصَرَفَ وَعَلَيْهِ الْوَقَارُ، وَدَرَسَ فِي طَرِيقِهِ مَا قَدْ الْتَقَنَ، وَإِنْ أَحَبَّ أَنْ يَجْلِسَ لِيَأْخُذَ عَلَى غَيْرِهِ فَعَلَ. وَإِنْ جَلَسَ فِي الْمَسْجِدِ، وَلَيْسَ بِالْحَضْرَةِ مَنْ يَأْخُذُ عَلَيْهِ، فَإِمَّا أَنْ يَرْكَعَ، فَيَكْتَسِبَ خَيْرًا، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ ذَاكِرًا للهِ تعالَى، شَاكِرًا لَهُ عَلَى مَا عَلَّمَهُ مِنْ كِتَابِهِ، وَإِمَّا جَالِسٌ يَحْبِسُ نَفْسَهُ فِي الْمَسْجِدِ، يَكْرَهُ الْخُرُوجَ مِنْهُ خَشْيَةَ أَنْ يَقَعَ بَصَرُهُ عَلَى مَا لا يَحِلُّ، أَوْ مُعَاشَرَةِ مَنْ لَمْ تَحْسُنْ مُعَاشَرَتُهُ، فَجَلَسَ فِي الْمَسْجِدِ، فَحُكْمُهُ أَنْ يَأْخُذَ عَلَى نَفْسِهِ فِي جُلُوسِهِ فِي الْمَسْجِدِ: أَنْ لا يَخُوضَ فِيمَا لا يَعْنِيهِ، وَيَحْذَرَ الْوَقِيعَةَ فِي أَعْرَاضِ النَّاسِ، وَيَحْذَرَ أَنْ يَخُوضَ فِي حَدِيثِ الدّنيا، وَفُضُولِ الْكَلامِ، فَإِنَّهُ رُبَّمَا اسْتَرَاحَتْ النُّفُوسُ إِلَى مَا ذَكَرْتُ، مِمَّا لا يَعُودُ نَفْعُهُ، وَلَهُ عَاقِبَةٌ لا تُحْمَدُ.

وَيَسْتَعْمِلُ مِنْ الأَخْلاقِ الشَّرِيفَةِ فِي حُضُورِهِ، وَفِي انْصِرَافِهِ مَا يُشْبِهُ أَهْلَ الْقُرْآنِ.

وَاللهُ –عزّ وجلّ– الْمُوَفِّقُ لِذَلِكَ.): يقول الآن جلس لشيخه وسمع منه ودرس وانتهى الدّرس، إما أنّه سيخرج فعليه في طريقه أن يراجع ما درسه، أو يريد أن يحبس نفسه في المسجد فعليه أن يراجع أيضًا، كأنّ الآجري يقول: لا بدّ أن تخاف على ما تعلّمته، لا أن تتعلّم في الصّباح، ثمّ تجد نفسك في الظّهيرة قد اغتبت ونمت ووقعت عينك على ما لا ينفع وذهب أثر ما تعلّمته من قلبك! فحافظ على نفسك، بقيت في المسجد ابق ذاكرًا تاليًا، انتهيت من قراءة القرآن ممكن أن تجلس في مجلس آخر تسمع الحديث، المهم تَنَقَّل في الخيرات وحافظ على الخير الّذي معك، أو قم صلِّ، اشكر، اعبد، فكأنّه يقول: الخير يجرّ الخير، أمّا أن تذهب من الخير إلى الشّرّ! فهذا يذهب أثر الخير.

بَابُ: آدَابِ الْقُرَّاءِ عِنْدَ تِلاوَتِهِمْ الْقُرْآنَ مِمَّا لا يَنْبَغِي لَهُمْ جَهْلُهُ

(وَأَحِبُّ لِمَنْ أَرَادَ قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ أَنْ يَتَطَهَّرَ، وَأَنْ يَسْتَاكَ، وَذَلِكَ لِتَعْظِيمِ الْقُرْآنِ؛ لأنهُ يَتْلُو كَلامَ الرَّبِّ عزّ وجلّ، وَذَلِكَ أَنَّ الْمَلائِكَةَ تَدْنُو مِنْهُ عِنْدَ تِلاوَتِهِ لِلْقُرْآنِ، وَيَدْنُو مِنْهُ الْمَلَكُ، فَإِنْ كَانَ مُتَسَوِّكًا وَضَعَ فَاهُ عَلَى فِيهِ، فَكُلَّمَا قَرَأَ آيَةً أَخَذَهَا الْمَلَكُ بِفِيهِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ تَسَوَّكَ تَبَاعَدَ عَنْهُ.

فَلا يَنْبَغِي لَكُمْ يَا أَهْلَ الْقُرْآنِ أَنْ تُبَاعِدُوا مِنْكُمْ الْمَلَكَ: فَاسْتَعْمِلُوا الأَدَبَ، فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلّا وَهُوَ يَكْرَهُ؛ إِذَا لَمْ يَتَسَوَّكْ أَنْ يُجَالِسَ إِخْوَانَهُ.

وَأَحِبُّ أَنْ يُكْثِرَ الْقِرَاءَةَ مِنْ الْمُصْحَفِ، لِفَضْلِ مَنْ قَرَأَ فِي الْمُصْحَفِ –حتى لو كان حافظًا ينظر للمصحف–

وَلا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَحْمِلَ الْمُصْحَفَ إِلّا وَهُوَ طَاهِرٌ. فَإِنْ أَحَبَّ أَنْ يَقْرَأَ مِنْ الْمُصْحَفِ عَلَى غَيْرِ طَهَارَةٍ، فَلا بَأْسَ بِهِ، وَلَكِنْ لا يَمَسَّهُ، وَلَكِنْ يَصَّفَحُ الْمُصْحَفَ بِشَيْءٍ، وَلا يَمَسَّهُ إِلّا طَاهِرًا.): هذا الرّأي الرّاجح أنّه لا يمسّ المصحف إلّا طاهرًا، على اختلاف في أقوال العلماء، لكن الاختلاف ما أتى إلّا متأخرًا، قبل القرن الثّامن لم يكن هناك خلاف أنّه لا يمسّ المصحف إلّا طاهرًا، الخلاف كلّه دائر في كونهم ينظرون إلى دلالة المطابقة ولا ينظرون إلى دلالة التّضمن والالتزام، يعني يقول: {لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ}[1] هذا الكلام عن الملائكة في السّياق ولا يقيسون ولا يلزم من ذلك –ليس عندهم ما يلزم من ذلك– ، لكن والله أعلم أنّ الآية تدلّ دلالة التزام على أنّ الواجب ألّا نمسّه إلّا طاهرين.

(وَيَنْبَغِي لِلْقَارِئِ إِذَا كَانَ يَقْرَأُ، فَخَرَجَتْ مِنْهُ رِيحٌ؛ أَمْسَكَ عَنْ الْقِرَاءَةِ حَتَّى يَنْقَضِيَ الرِّيحُ، ثمّ إِنْ أَحَبَّ أَنْ يَتَوَضَّأَ ثمّ يَقْرَأَ طَاهِرًا، فَهُوَ أَفْضَلُ، وَإِنْ قَرَأَ غَيْرَ طَاهِرٍ فَلا بَأْسَ بِهِ –هذا كلّه بدون مس، ليس له علاقة بالمسّ، هذه القراءة نفسها–

وَإِذَا تَثَاءَبَ وَهُوَ يَقْرَأُ، أَمْسَكَ عَنْ الْقِرَاءَةِ حَتَّى يَنْقَضِيَ عَنْهُ التَّثَاؤُبُ.

(1) سورة الواقعة: 79.

وَلا يَقْرَأُ الْجُنُبُ وَلا الْحَائِضُ الْقُرْآنَ، وَلا آيَةً، وَلا حَرْفًا وَاحِدًا، وَإِنْ سَبَّحَ، أَوْ حَمِدَ، أَوْ كَبَّرَ، أو أذَّنَ، فَلا بَأْسَ بِذَلِكَ -هذا رأيه وهو رأي قوي-

وَأُحِبُّ لِلْقَارِئِ أَنْ يَأْخَذَ نَفْسَهُ بِسُجُودِ الْقُرْآنِ، كُلَمَّا مَرَّ بِسَجْدَةٍ سَجَدَ فِيهَا. وَفِي الْقُرْآنِ خَمْسَ عَشْرَةَ سَجْدَةً، وَقِيلَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ، وَقِيلَ إِحْدَى عَشْرَةَ.

وَالّذي أَخْتَارُ أَنْ يَسْجُدَ كُلَّمَا مَرَّتْ بِهِ سَجْدَةٌ، فَإِنَّهُ يُرْضِي رَبَّهُ عزّ وجلّ، وَيُغِيظُ عَدُوَّهُ الشَّيْطَانَ.

وَرُوِيَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النّبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِذَا قَرَأَ ابْنُ آدَمَ السَّجْدَةَ، فَسَجَدَ، اعْتَزَلَ الشَّيْطَانُ يَبْكِي، يَقُولُ: يَا وَيْلَهُ؛ أُمِرَ ابْنُ آدَمَ بِالسُّجُودِ فَسَجَدَ، فَلَهُ الْجَنَّةُ، وَأُمِرْتُ بِالسُّجُودِ فَأَبَيْتُ، فَلِي النَّارُ)[1] -انتهى الكلام حول بعض الآداب ومنها السّجود عند مرور آية السجود-

وَأُحِبُّ لِمَنْ يَدْرُسُ وَهُوَ مَاشٍ فِي طَرِيقٍ، فَمَرَّتْ بِهِ سَجْدَةٌ أَنْ يَسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ، وَيُومِئَ بِرَأْسِهِ بِالسُّجُودِ، وَهَكَذَا إِنْ كَانَ رَاكِبًا فَدَرَسَ، فَمَرَّتْ بِهِ سَجْدَةٌ سَجَدَ، يُومِئُ نَحْوَ الْقِبْلَةَ، إِذَا أَمْكَنَهُ.): هذا رأيه الّذي يختاره أن تسجد في أيّ حال، حتى لو كنت ماشيًا على قدميك وتقرأ الآيات وجاءت آية السّجود، تستقبل القبلة وتومئ برأسك، والبنات على الطّاولة يخفضن رؤوسهنّ، لكن إن شاء الله يتبيَّن لنا في آخر الكلام أنّ هناك رأي آخر أنّ السّجود لا يلزم لكن هذا اختياره.

وَأُحِبُّ لِمَنْ كَانَ جَالِسًا يَقْرَأُ، أَنْ يَسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ بِوَجْهِهِ، إِذَا أَمْكَنَهُ. ذَلِكَ لِقَوْلِ النّبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (خَيْرُ الْمَجَالِسِ مَا اسْتُقْبِلَ بِهِ الْقِبْلَةُ)[2].

وَأُحِبُّ لِمَنْ تَلا الْقُرْآنَ أَنْ يَقْرَأَهُ بِحُزْنٍ وَيَبْكِي؛ إِنْ قَدَرَ، فَإِنْ لَمْ يَقْدِرْ تَبَاكَى. -يبكي إذا كان يقرأ وحده ليس عند النّاس يبكي-

(1) أخرجه مسلم (81).

(2) يصح مرفوعًا عن ابن عمر.

وَأُحِبُّ لَهُ أَنْ يَتَفَكَّرَ فِي قِرَاءَتِهِ، وَيَتَدَبَّرَ مَا يَتْلُوهُ، وَيَسْتَعْمِلَ غَضَّ الطَّرْفِ عَمَّا يُلْهِي الْقُلُوبَ. -يحتاج أن يتدبّر وقت التّلاوة، لكن أيضًا يستعمل الأداوت، من أهمّها: يترك الشّواغل، يبعد عن اللّغو-

وَأَنْ يَتْرُكَ كُلَّ شُغْلٍ حَتَّى يَنْقَضِيَ دَرْسُهُ كَانَ أَحَبَّ إِلَيَّ، لِيَحْضُرَ فَهْمُهُ، وَلا يَشْتَغِلَ بِغَيْرِ كَلامِ مَوْلاهُ.

وَأُحِبُّ إِذَا دَرَسَ، فَمَرَّتْ بِهِ آيَةُ رَحْمَةٍ، سَأَلَ مَوْلاهُ الْكَرِيمَ، وَإِذَا مَرَّتْ بِهِ آيَةُ عَذَابٍ اسْتَعَاذَ بِاللهِ -عزّ وجلّ- مِنْ النَّارِ، وَإِذَا مَرَّ بِآيَةِ تَنْزِيهٍ للهِ تَعَالَى عَمَّا قَالَهُ أَهْلُ الْكُفْرِ، سبَّحَ اللهَ تَعَالَى-جَلَّتْ عَظَمَتُهُ-وَعَظَّمَهُ. -إذا مرّت آية رحمة يسأل الله، وإذا مرّت آية عذاب يستعيذ، وإذا مرّت آية فيها تنزيه، ووصف الله بالكمال يسبّح الله عزّ وجلّ-

فَإِذَا كَانَ يَقْرَأُ، فَأَدْرَكَهُ النُّعَاسُ، فَحُكْمُهُ أَنْ يَقْطَعَ الْقِرَاءَةَ وَيَرْقُدَ، حَتَّى يَقْرَأَ وَهُوَ يَعْقِلُ مَا يَتْلُوهُ.

جَمِيعُ مَا أَمَرْتُ بِهِ التَّالِي لِلْقُرْآنِ مُوَافِقٌ لِلسُّنَّةِ وَأَقَاوِيلِ الْعُلَمَاءِ، وَأَنَا أَذْكُرُ مِنْهُ مَا حَضَرَنِي إِنْ شَاءَ اللهُ.

سيأتي الآن بالأدلة:

روي عَنْ الزُّهْرِيِّ أنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِذَا تَسَوَّكَ أَحَدُكُمْ، ثُمّ قَامَ يَقْرَأُ، طَافَ بِهِ الْمَلَكُ يَسْتَمِعُ الْقُرْآنَ حَتَّى يَجْعَلَ فَاهُ عَلَى فِيهِ، فَلا تَخْرُجُ آيَةٌ مِنْ فِيهِ إِلّا فِي فِيّ الْمَلَكِ، وَإِذَا قَامَ يَقْرَأُ، وَلَمْ يَتَسَوَّكْ، طَافَ بِهِ الْمَلَكُ، وَلَمْ يَجْعَلْ فَاهُ عَلَى فِيهِ)[1].

روي عن إِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ الْكَوْسَجُ أنه قَالَ: قُلْتُ لأَحْمَدَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: الْقِرَاءةُ عَلَى غَيْرِ وُضُوءٍ؟ قَالَ: لا بَأْسَ بِهَا، وَلَكِنْ لا تَقْرَأْ فِي الْمُصْحَفِ إِلّا مُتَوَضِّئٌ.قَالَ إِسْحَاقُ يَعْنِي ابْنَ رَاهَوَيْهِ: هُوَ كَمَا قَالَ سُنَّةٌ مَسْنُونَةٌ[2].

(1) (الصحيحة) (1213).

(2) صحيح.

ما هي السّنّة المسنونة؟ القراءة على وضوء، لا تقرأ من المصحف إلّا متوضّئًا، على طهارة، لكن يمكن أن تقرأ من غير المصحف، من حفظك بالقراءة الغيبيّة، أو بحائل مثل الجوّال.

روي عن أبي بكر الْمَرْوزِيُّ رَحِمَهُ اللهُ أنه قَالَ: كَانَ أَبُو عَبْدِ اللهِ رُبَّمَا قَرَأَ فِي الْمُصْحَفِ، وَهُوَ عَلَى غَيْرِ طَهَارَةٍ، فَلا يَمَسُّهُ، وَلَكِنْ يَأْخُذُ بِيَدِهِ عُودًا، أَوْ شَيْئًا يَصَّفَحُ بِهِ الْوَرَقَ.

ما دليلنا على استعمل الحائل إذا لم يكن على طهارة؟ أنّه كان يأخذ عودًا أو شيئًا، هذا أبو عبد الله يقصد الإمام أحمد.

وروي عَنْ زُرْزُرٍ[1] أنه قَالَ: قُلْتُ لِعَطَاءٍ: أَقْرَأُ الْقُرْآنَ فَيَخْرُجُ مِنِّي الرِّيحُ؟، قَالَ: تُمْسِكُ عَنْ الْقِرَاءَةِ حَتَّى يَنْقَضِي الرِّيحُ.

وروي عَنْ مُجَاهِدٍ أنه قَالَ: (إِذَا تَثَاءبْتَ وَأَنْتَ تَقْرَأُ، فَأَمْسِكْ حَتَّى يَذْهَبَ عَنْكَ)[2].

وروي عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ–صلّى الله عليه وسلّم–قَالَ: (إِذَا نَعَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيَرْقُدْ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَسْتَغْفِرَ، فَيَسُبَّ نَفْسَهُ)[3].

حين يأتي التثاؤب يمسك وحين يأتي النّعاس يرقد، لكن هناك كثير منّا يعاني من إثارة النّعاس وقت قراءة القرآن، نقول: هذه الإثارة مختلفة عن هذا الّذي يقصد، هنا في قيام اللّيل، إذا كان يقوم اللّيل وشعر بالنّعاس وثقل النّوم عليه، يجاهد نفسه وإذا ما استطاع ينام، لكن عندما تأتي القراءة الّتي في الورد ويجد نفسه في ليل أو نهار ينعس، أوّلًا: لا يُدخل عليه الشّيطان أنّ هذه حالة تخصّه وأنّه عين أو مسّ أو سحر كلّ هذا الكلام غير صحيح.

---

(1) أخرجه عبد الرّزاق (1326).

(2) أثر صحيح.

(3) أخرجه البخاريّ (209).

ثانيًا: الشّيطان له حيل، وأعظم حيلة على بني آدم إنعاسهم، وأنا أشهد أنّه كلّما أدرّس التّوحيد خاصة لجماعة جديدة أنّهم يصل حالهم أن يضعون رأسهم على مقاعدهم وهم طلبة مجتهدون لا أراهم أبدًا بهذه الحال إلّا حين أدرسهم التّوحيد!! وأنا أشهد على ذلك.

الحلّ أن تجاهد لا تسكت لنفسك أبدًا، الشّيطان يجرّبنا فقط، فاضغطي على نفسك بالاستعاذة، وأكملي، واعلمي أنّ الشّيطان قعد لابن آدم بأطرقه كلّها.

روي عن عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ–رضي الله عنه–أنه قال: (كَانَ رَسُولُ اللهِ–صلّى الله عليه وسلّم–لا يَحْجُبُهُ–أَوْ قَالَ لا يَحْجِزُهُ– شَيْءٌ عَنْ قِرَاءةِ الْقُرْآن، إِلّا الْجَنَابَةَ)[1].

وَرُوِيَ عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ–صلّى الله عليه وسلّم–قَالَ: (لا يَقْرَأُ الْجُنُبُ، وَلا الْحَائِضُ شَيْئًا مِنْ الْقُرْآنِ)[2].

جَمِيعُ مَا ذَكَرْتُهُ يَنْبَغِي لأَهْلِ الْقُرْآنِ أَنْ يَتَأَدَّبُوا بِهِ، وَلا يَغْفَلُوا عَنْهُ، فَإِذَا انْصَرَفُوا عَنْ تِلاوَةِ الْقُرْآنِ اعْتَبَرُوا أَنْفَسَهُمْ بِالْمُحَاسَبَةِ لَهَا،

–هم قرؤوا وبقي عليهم أن يحاسبوا أنفسهم–

فَإِنْ تَبَيَّنُوا مِنْهَا قَبُولَ مَا نَدَبَهُمْ إِلَيْهِ، يقبلون ما ندبهم إليه مَوْلاهُمْ الْكَرِيمُ؛ مِمَّا هُوَ وَاجِبٌ عَلَيْهِمْ مِنْ أَدَاءِ فَرَائِضِهِ، وَاجْتِنَابِ مَحَارِمِهِ، حَمِدُوهُ فِي ذَلِكَ، وَشَكَرُوا اللهَ –عزّ وجلّ– عَلَى مَا وَفَّقَهُمْ لَهُ.

وَإِنْ عَلِمُوا أَنَّ النُّفُوسَ مُعْرِضَةٌ عَمَّا نَدَبَهُمْ إِلَيْهِ مَوْلاهُمْ الْكَرِيمُ، قَلِيلَةُ الاكْتِرَاثِ بِهِ؛ اسْتَغْفَرُوا اللهَ –عزّ وجلّ– مِنْ تَقْصِيرِهِمْ، وَسَأَلُوهُ النُّقْلَةَ مِنْ هَذِهِ الْحَالِ): قارنوا بين القبول والإعراض؛ يكلّمك عن الخطوة الأولى قبل الانقياد والعمل، ما الخطوة الأولى؟

(1) أخرجه ابن ماجه (594) صحيح.

(2) أخرجه التّرمذيّ (595).

تقرؤون في كتاب الله –عزّ وجلّ– مثلًا: {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ}[1] لا يقال لك الآن خذ العفو وأْمُر بالعرف إنّما يقال لك: هل قبلت بعدما فهمت أن تأخذ العفو وتأمر بالعرف وتعرض عن الجاهلين أم لم تقبل؟! هذا أمر آخر قبل العمل، كلّ مرة نقرأ في القرآن في الجزء الّذي قرأناه أو الجزء الّذي ندرسه على الشيخ نعرضه على أنفسنا ونسأل أنفسنا: هل أنت قابل أم معرض؟ إذا قبلت، احمد الله وإذا أعرضت استغفر، نضرب مثالًا آخر:

{إِنَّ الّذينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الّذينَ آمَنُوا}[2] انظري هذه الآية تكلّمك عن واحد يحبّ إشاعة الفاحشة، ماذا رتّب الله علي فعله من جزاء؟ {لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدّنيا وَالْآخِرَةِ} تصوري هذا شخص لم يشيع الفاحشة إنّما يحب فقط إشاعة الفاحشة، لم يفعلها لكن هذا شخص يحبّ أن يسمع الفضائح، أو مثلًا يمشي في الشّارع، ويرى شاب وشابة واضح عليهما أن علاقتهما غير شرعيّة وطبعًا تظهر الشّرعيّة من غير الشّرعيّة، فيقع في قلبه "ما أهنأهم!" على أنّهم يعيشون قصّة حب! فهذا من حبّ إشاعة الفاحشة، يشاهد مسلسلًا وتأتي في القصّة أن الشّاب والشّابة يحبّون بعضهما فيشعر أنّه مقبول! فهذا محرّم حتّى لو داخل نفسك ليس شرطًا أن تقوليه.

قال: (**وَمَنْ كَانَتْ هَذِهِ حَالُهُ، وَجَدَ مَنْفَعَةَ تِلاوَةِ الْقُرْآنِ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ، وَعَادَ عَلَيْهِ مِنْ بَرَكَةِ الْقُرْآنِ كُلُّ مَا يُحِبُّ فِي الدّنيا وَالآخِرَةِ إِنْ شَاءَ اللهُ.**

روي عَنْ قَتَادَةَ أنه قَالَ: (لَمْ يُجَالِسْ هَذَا الْقُرْآنَ أَحَدٌ إِلا قَامَ عَنْهُ بِزِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ، قَضَاءَ اللهِ الّذي قَضَى {شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا}[3])[4].

قال قتادة: (**لَمْ يُجَالِسْ هَذَا الْقُرْآنَ أَحَدٌ إِلا قَامَ عَنْهُ بِزِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ**) لا بدّ أن يقوم عنه بزيادة أو نقصان، أي لن تجلس مع القرآن وتحفظ وتدرس وتجد نفسك كما كنت، لا، أنت إمّا تزيد أو تنقص، وهذا خطر، من أين أتى قتادة بهذا الكلام؟ من الآية:

---

(1) سورة الأعراف: 199.

(2) سورة النّور: 19.

(3) سورة الإسراء: ٨٢.

(4) ابن مبارك في الزهد وإسناده صحيح.

{شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا} ليس هناك حلّ ثالث. والنّقصان يكون على حسب علاقتك بالقرآن من حيث عدم القبول، لا تمرّ عليك الآيات وأنت غير مكترث، ولا تعرف لا عقيدتك ولا عملك ولا سلوكك. ليس المقصد أن تقوم من المجلس وتذهب تعمل بالآيات، هناك أشياء كثيرة قد لا تعمل بها ولا تتعرض لها أصلًا إنّما القبول في داخل قلبك أنّ هذا حقّ ويجب أن ألتزمه، أو عدم الاكتراث بمعنى أنّك لا تهتمّ مهما قرأت لا يهمّك، مثلًا تأتيك آيات الطّلاق وتأتيك آيات الحدود، ليس عندك تجاهها أي مشاعر، لا نستعيذ ولا نشير إلى حكمة الله، ليس هناك أي مشاعر، نضع مشاعرنا في مكان آخر غير القرآن وقربك لله يكون بما تملك من مشاعر، ربّنا وهبك المشاعر ليس من أجل أن تلعب بها، إنّما وهبنا المشاعر من أجل أن نصل بها إليه، أنت تتعبّد بمشاعرك، فإذا كانت مشاعرنا تائهة طوال الوقت فلن نصل إلى الله.

قال قَتَادَةَ فِي قَوْلِ اللهِ –عزّ وجلّ– {وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ}[1] **الْبَلَدُ الطَيبُ: الْمُؤْمِنُ سَمِعَ كِتابَ اللهِ، فَوعاهُ وَأَخَذَ بِهِ وَانتَفَعَ بِهِ؛ كَمَثَلِ هَذِهِ الأَرْضِ أَصَابَهَا الْغَيْثُ، فَأَنبَتَتْ وَأَمرعَتْ** يفسر آية الأعراف على أنّها مَثَل، {وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ} يعني المؤمن سمع القرآن، نزل القرآن عليه {يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ}.

{والّذي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا}[2] **أَيْ: إلا عَسِرًا، فَهَذَا مَثَلُ الْكَافِرِ قَدْ سَمِعَ الْقُرْآنَ، فَلَمْ يَعْقِلْهُ، وَلَمْ يَأْخُذْ بِهِ، وَلَمْ يَنْتَفِعْ بِهِ، كَمَثَلِ هَذِهِ الأَرْضِ الْخَبِيثَةِ أَصَابَهَا الْغَيْثُ، فَلَمْ تُنْبِتْ شَيْئًا، وَلَمْ تَمْرَعْ شَيْئًا.**

بَابُ: فِي حُسْنِ الصَّوْتِ بِالْقُرْآنِ

روي عَنْ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ أنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (للهُ أَشَدُّ أَذَنًا إِلَى الرَّجُلِ الْحَسَنِ الصَّوْتِ بِالْقُرْآنِ، مِنْ صَاحِبِ الْقَيْنَةِ إِلَى الْقَيْنَةِ)[3]. قَالَ الأَوْزَاعِيُّ: أَذَنًا يَعْنِي: اسْتِمَاعًا.

(1) سورة الأعراف: ٥٨.

(2) سورة الأعراف: ٥٨.

(3) أخرجه أحمد (20/6).

روى الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ عَنْ رَسولِ اللهِ–صلّى الله عليه وسلّم–أنه قال: (زَيِّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ). وسئل أحمد بن حنبل مَا مَعْنَاهُ؟ قَالَ: (التَّزْيِينُ أَنْ يُحَسِّنَهُ)[1].

لا يقصد أن يكون صوتك جميلًا، إنّما تبذل جهدك أن تحسّن صوتك في القرآن، فالله –عزّ وجلّ– يستمع إلى هذا الّذي يحسّن صوته، فلا تقرؤوا بصورة غير لائقة.

(يَنْبَغِي لِمَنْ رَزَقَهُ اللهُ حُسْنَ الصَّوْتِ بِالْقُرْآنِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللهَ –عزّ وجلّ– قَدْ خَصَّهُ بِخَيْرٍ عَظِيمٍ، فَلْيَعْرِفْ قَدَرَ مَا خَصَّهُ اللهُ – عزّ وجلّ– بِهِ، وَلْيَقْرَأْهُ للهِ، لا لِلْمَخْلُوقِينَ، وَلِيَحْذَرْ مِنَ الْمَيْلِ إِلَى أَنْ يُسْتَمَعَ مِنْهُ لِيَحْظَى بِهِ عِنْدَ السَّامِعِينَ، رَغْبَةً فِي الدّنيا، وَالْمَيْلِ إِلَى الثَّنَاءِ، وَالْجَاهِ عِنْدَ أَبْنَاءِ الدّنيا، وَالصَّلاةِ بِالْمُلُوكِ دُونَ الصّلاة بِعَوَامِّ النَّاسِ، فَمَنْ مَالَتْ نَفْسُهُ إِلَى مَا نَهَيْتُهُ عَنْهُ خِفْتُ أَنْ يَكُونَ حُسْنَ صَوْتِهِ فِتْنَةً عَلَيْهِ، وَإِنَّمَا يَنْفَعُهُ حُسْنُ صَوْتِهِ إِذَا خَشِيَ اللهَ –عزّ وجلّ– فِي السِّرِّ وَالْعَلانِيَةِ. وَكَانَ مُرَادُهُ أَنْ يُسْتَمَعَ مِنْهُ الْقُرْآنُ لِيَنْتَبِهَ أَهْلُ الْغَفْلَةِ عَنْ غَفْلَتِهِمْ،

هذا المراد الصّحيح من قراءته للقرآن أن يقرأ القرآن بصوت جميل من أجل أن ينتبه أهل الرّقدة.

فَيَرْغَبُوا فِيمَا رَغَّبَهُمْ اللهُ عزّ وجلّ، وَيَنْتَهُوا عَمَّا نَهَاهُمْ عَنْهُ. فَمَنْ كَانَتْ هَذِهِ صِفَتُهُ انْتَفَعَ بِحُسْنِ صَوْتِهِ، وَانْتَفَعَ بِهِ النَّاسُ.

روي عَنْ جَابِرٍ–رضي الله عنه–أنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَحْسَنُ النّاس صَوْتًا بِالْقُرْآنِ، الّذي إِذَا سَمِعْتَهُ يَقْرَأُ حَسِبْتَهُ يَخْشَى اللهَ –عزّ وجلّ–)[2]. إذا سمعته يقرأ، حسبتَه يخشى الله عزّ وجلّ؛ لأنّ الله –عزّ وجلّ– يلقي في قلب السّامعين صدق مشاعر القارئ، مثلما نسمع الأئمة في الحرم يُلقى في قلبنا صدقهم.

وَأَكْرَهُ الْقِرَاءَةَ بِالأَلْحَانِ وَالأَصْوَاتِ الْمَعْمُولَةِ الْمُطَرِّبَةِ، –الّذين وصلوا أن يكلّموك عن المقامات– **فَإِنَّهَا مَكْرُوهَةٌ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ،**

(1) أخرجه أحمد صحيح الإسناد.

(2) أخرجه ابن ماجه (1339) وصحّحه الألبانيّ.

-مكروهة في الزّمن الماضي معناها حرام- **مِثْلِ: يَزِيدَ بْنِ هَارُونَ، وَالأَصْمَعِيّ، وَأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلَ، وَأَبِي عُبَيْدٍ الْقَاسِمِ بْنِ سَلامٍ، وَسُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ، وَغَيْرِ وَاحِدٍ مِنْ الْعُلَمَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، يَأْمُرُونَ الْقَارِئَ إِذَا قَرَأَ أَنْ يَتَحَزَّنَ، وَيَتَبَاكَى، وَيَخْشَعَ بِقَلْبِهِ.**

روي عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ السَّائِبِ أنه قَالَ: قَدِمَ عَلَيْنَا سَعْدُ بْنُ مَالِكٍ بَعْدَمَا كُفَّ بَصَرُهُ، فأتيته مُسَلِّمًا، وَانْتَسَبَنِي، فَانْتَسَبْتُ لَهُ، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِابْنِ أَخِي، بَلَغَنِي أَنَّكَ حَسَنُ الصَّوْتِ بِالْقُرْآنِ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ-صلّى الله عليه وسلّم-يَقُولُ: (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ نَزَلَ بِحُزْنٍ، فَإِذَا قَرَأْتُمُوهُ فَابْكُوا، فَإِنْ لَمْ تَبْكُوا فَتَبَاكَوْا، وَتَغَنَّوْا بِهِ، فَمَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِهِ، فَلَيْسَ مِنَّا)[1]. حسن الصّوت فأنت تجعل صوتك رخيمًا؛ بحيث يحصل الحزن في قلبك وقلب من يسمع، من الخشوع، "نزل القرآن بحزن" بمعنى أنّه يحرّك القلب للتّفكير فيما عند الله عزّ وجلّ، فهذا يورث الحزن.

يحزنك على ما أنت فيه من الدّنيا، لا بدّ أن يأتي منك الحزن لأنّه إمّا حسرة على الأعمال الّتي عملتها، وإمّا حسرة وخوف على الانقطاع عن باب الله عزّ وجلّ.

(فَأُحِبُّ لِمَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ أنْ يَتَحَزَّنَ عِنْدَ قِرَاءَتِهِ -ماذا تفعل لتأتي بالحزن- **وَيَتَبَاكَى، وَيَخْشَعَ قَلْبُهُ، وَيَتَفَكَّرَ فِي الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ، لِيَسْتَجْلِبَ بِذَلِكَ الْحُزْنَ. أَلَمْ تَسْمَعْ إِلَى مَا نَعَتَ اللهُ -عزّ وجلّ- مَنْ هُوَ بِهَذِهِ الصِّفَةِ، وَأَخْبَرَ بِفَضْلِهِمْ، فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ}**[2].

الكتاب المتشابة فهمه يسبّب أن تقشعر جلود الّذين يخشون ربّهم، ثمّ تلين جلودهم وقلوبهم.

(ثُمّ ذَمَّ قَوْمًا اسْتَمَعُوا الْقُرْآنَ، فَلَمْ تَخْشَعْ لَهُ قُلُوبُهُمْ، فَقَالَ عزّ وجلّ: (أَفَمِنْ هَٰذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ* وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ * وَأَنتُمْ سَامِدُونَ) [3] **يَعْنِي: لاهِينَ.** -المفترض ألّا يلتهي قلبك عن القرآن إنّما قلبك مع القرآن- **ثُمَّ يَنْبَغِي لِمَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ أنْ يُرَتِّلَ**

(1) أخرجه ابن ماجه (1337).

(2) سورة الزّمر: ٢٣.

(3) سورة النّجم: ٥٩-٦١.

كَمَا قَالَ اللهُ عزّ وجلّ: {وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا}[1] قِيلَ فِي التَّفْسِيرِ: يَتَبَيَّنُهُ تَبْيِينًا. -يقرأ جملة جملة من أجل أن يفهم ما يقرأ- وَاعْلَمْ أَنَّهُ إِذَا رَتَّلَهُ وَبَيَّنَهُ انْتَفَعَ بِهِ مَنْ يَسْمَعُهُ مِنْهُ، وَانْتَفَعَ هُوَ بِذَلِكَ؛ لأنهُ قَرَأَهُ كَمَا أُمِرَ؛ قَالَ اللهُ -عزّ وجلّ- {وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النّاس عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا}[2] يُقَالُ: عَلَى تُؤَدَةٍ.روي عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ-رضي الله عنه-فِي هَذِهِ الآيَةِ {وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا}[3]: (بَيِّنْهُ تَبْيِينًا)[4].

وَالْقَلِيلُ مِنْ الدَّرْسِ لِلْقُرْآنِ مَعَ الْفِكْرِ فِيهِ، وَتَدَبُّرِهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ قِرَاءَةِ الْكَثِيرِ مِنْ الْقُرْآنِ بِغَيْرِ تَدَبُّرٍ، وَلا تَفَكُّرٍ فِيهِ -الكميّة ليست المقصد، المهم أن تتفكّر- وَظَاهِرُ الْقُرْآنِ يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ وَالسُّنَّةُ، وَقَوْلُ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ.

روي عَنْ أَبِي جَمْرَةَ الضُّبَعِيِّ أنه قَالَ: قُلْتُ لابْنِ عَبَّاسٍ: إِنِّي سَرِيعُ الْقِرَاءَةِ، إِنِّي أَقْرَأُ الْقُرْآنَ فِي ثَلاثٍ، قَالَ: لأَنْ أَقْرَأَ الْبَقَرَةَ فِي لَيْلَةٍ، فَأَتَدَبَّرُهَا، وَأُرَتِّلُهَا أحبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقْرَأَ كَمَا تَقُولُ[5].

وسُئِلَ مُجَاهِدٌ عَنْ رَجُلٍ قَرَأَ الْبَقَرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ، وَرَجُلٍ قَرَأَ الْبَقَرَةَ قِرَاءَتُهُمَا وَاحِدَةٌ، وَرَكُوعُهُمَا، وَسُجُودُهُمَا، وَجُلُوسُهُمَا أَيُّهُمَا أَفْضَلُ؟ قَالَ: (الّذي قَرَأَ الْبَقَرَةَ، ثمّ قَرَأَ {وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النّاس عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا}[6])[7].

(يقارن بين واحد قرأ البقرة وآل عمران وواحد قرأ البقرة وركوعهما وسجودهما واحد أيّهم أفضل؟ الّذي قرأ البقرة؛ لأنّه سيجمع قلبه أكثر.

(1) سورة المزّمل: ٤.

(2) سورة الإسراء: ١٠٦.

(3) سورة المزّمل: ٤.

(4) أخرجه ابن أبي شيبة (255/2).

(5) إسناده صحيح.

(6) سورة الإسراء: ١٠٦.

(7) إسناده صحيح.

جَمِيعُ مَا قُلْتُهُ يَنْبَغِي لأَهْلِ الْقُرْآنِ أَنْ يَتَخَلَّقُوا بِجَمِيعِ مَا حَثَثْتُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ جَمِيعِ الأَخْلاقِ، وَيَنْزَجِرُوا عَمَّا كَرِهْتُهُ لَهُمْ مِنْ دَنَاءَةِ الأَخْلاقِ. وَاللهُ الْكَرِيْمُ يَهْدِينَا وَإِيَّاهُمْ إِلَى سَبِيلِ الرَّشَادِ.)

الحمد لله وصلّى الله على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.

سبحانك اللّهمّ وبحمد أشهد أن لا إله إلّا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

الفهرس

الْمُقَدِّمَةُ 5
بَابُ: فَضْلِ حَمَلَةِ الْقُرْآنِ 39
بَابُ: فَضْلِ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ 52
بَابُ: فَضْلِ الاجْتِمَاعِ فِي الْمَسْجِدِ لِدَرْسِ الْقُرْآنِ 60
بَابُ: ذِكْرِ أَخْلاقِ أَهْلِ الْقُرْآنِ 64
بَابُ: أَخْلاقِ مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ لا يُرِيدُ بِهِ اللهَ -عزّ وجلّ- 116
بَابُ: أَخْلاقِ الْمُقْرِئِ إِذَا جَلَسَ يُقْرِئُ لِوَجْهِ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- مَاذَا يَنْبَغِي لَه أَنْ يتخلّق بِه 147
بَابُ: ذِكْرِ أَخْلاقِ مَنْ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ عَلَى الْمُقْرِئِ 166
بَابُ: آدَابِ الْقُرَّاءِ عِنْدَ تِلاوَتِهِمْ الْقُرْآنَ مِمَّا لا يَنْبَغِي لَهُمْ جَهْلُهُ 171
بَابُ: فِي حُسْنِ الصَّوْتِ بِالْقُرْآنِ 177